

# مختصر لآلة الخرافات

تأليف  
نخبة من الباشين السرايين



الطبعة الأولى

١٩٩٩







حَمْدُ اللَّهِ الْعَرَقِ



# حَضْرَةُ الْعِرَاقِ

تأليف  
نخبة من الباحثين العراقيين

الجزء التاسع

بفستاد ١٩٨٥



# العصر العربي الإسلامي

(٥)

القارة العربية الإسلامية



## الفصل الأول

# تخطيط الشرق

د . عيسى سلمان حميد

كلية الآداب - جامعة بغداد

تعالى مكانة التراث العربي الاسلامي بين تراث الامم. كلما توسعت وتعمقت الدراسات الرائدة لابعاد وجوه النتاجات الفنية والعلمية التي جادت بها عبقرية العرب الذين اختارهم الله تعالى لحمل رسالة الاسلام . فادوا الامة بهمة عالية وتفان متميز وسلوك السامي رافع ، فكانت ثورة الحق على الباطل ، ثورة البناء الجديد على القديم البالي ، ثورة بناء الانسان الجديد المؤمن الملتزم ، اسان المبادئ والاخلاق والقيم والابداع . فصيغت قرارات واتخذت اجراءات في مجالات مختلفة متنوعة عبرت وبدقة علمية عن مدى التقدم الحضاري الذي كانت عليه الامة العربية عند بداية اسلامها .

ان اختيار الامة العربية لحمل رسالة الاسلام هو بحد ذاته البرهان الساطع على ما كانت عليه امة العرب من تحضر . وتكشف جملة من قرارات اتخذها قادة الدولة العربية الاسلامية عن سعة اطلاع والمأم شامل وشمولية عيقة ووضوح رؤيا واستشراف لآفاق المستقبل . ويتجلى هذا الامر في

قرار الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بتصميم الامصار . فان ما أوصى به في اختيار المواقع والتصميم الهندسي للمدن التي أمر بتصميمها وما وجه من تعليمات لقادته حول الدور وتحديد عدد الغرف فيها وارتفاعها انما ينم عن ملكات الابداع الحضاري الذي كان عليه العرب آنذاك .

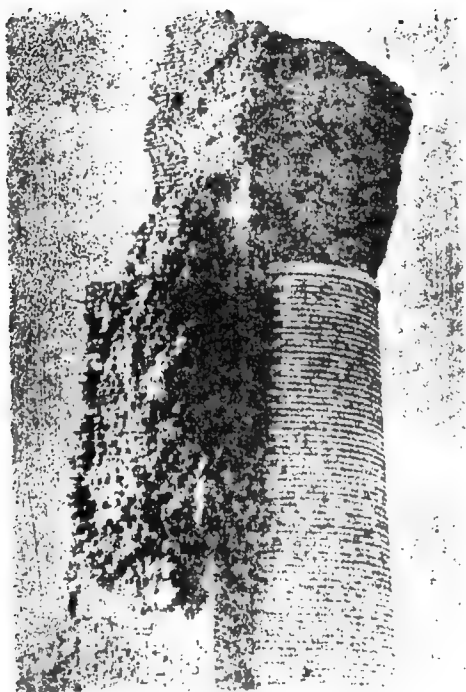
بدأت حركة تصميم الامصار في العراق بعد ان انجز المجاهدون تحرير الارض المفتتة واجلاء قوى السيطرة والبنى والعدوان فقرروا عدم السكن في المدن المأهولة التي قد لا تتناسب وطبيعة الجيوش المقاتلة . فاقترح قادة الجيوش العربية الاسلامية في العراق على الخليفة عمر بن الخطاب (رض) انشاء معسكرات ( مقرات ) او مدن جديدة لجيوشهم تكون مكانا للراحة بعد الحرب ودار هجرة للمسلمين ، من عوائل المقاتلين ، ومراكز لنشر الدين الجديد . ولم يتردد الخليفة في اقرار المقترح فوضع مواصفات وشروطا اساسية في اختيار مواقع المقرات الجديدة وتصميمها الهندسي وسعة الوحدات السكنية وارتفاعها .

فقرر الخليفة ان تكون المواقع المختارة على طرف البادية غير بعيدة عن الماء والمرعى ولا يفصلها عن المدينة موانع طبيعية . أما التصميم الهندسي فيجب أن يتوسط المسجد الجامع المدينة ويجب ان يكون عرض شوارعها الرئيسية وفروعها وأزقتها محددًا وتتخلل خطط القبائل ساحات . وأمر أن لا تزيد غرف الدار الواحدة عن ثلاث وان تكون الدور متلاصقة ولا ترفع اكثر من طابق واحد . ان القاء نظرة فاحصة على شمولية القرار تكشف الصورة العسكرية والدينية والاقتصادية والبشرية لهذه الامصار التي تطورت وبسرعة مذهلة لتكون دار هجرة للمسلمين ومعقل ثورية لنشر الدين، ومراكز علمية للثقافة والعلوم ومواقع زراعية وصناعية وتجارية لمدة قرون وبموجب هذه المواصفات اختار القائد عتبة بن غزوان موقعا لجيشه وفعل ذلك أيضا القائد سعد بن أبي وقاص .

## البصرة

مصرت البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام ١٤ هـ / ٦٣٥ م .  
فهي أول وأقدم الامصار العربية الاسلامية التي انشئت خارج شبه جزيرة  
العرب . والمعروف أن هذه المدينة قد عاشت ما يقرب من الف عام وهجرت  
وانتقل سكانها الى المدينة الجديدة التي تقع على مقربة من شط العرب والتي  
دعيت بأسم المدينة القديمة . ومما لاشك ان جفاف نهر معقل الذي كان يغذي  
المدينة بالماء كان العامل الاساسي في أندثارها . وجاء دور الجبل والمناخ  
والمح ليحول اطلالها الى تلول ووديان تنتشر على مساحة من الارض  
تبعد حوالي ١٤ كيلومترا جنوب غربي البصرة الحديثة ، وتجاور مدينة الزبير  
شرقا . وامتدت ابنية مدينة الزبير خلال السنوات القليلة الماضية فغطت  
اجزاء مهمة من اثار بصرة عتبة بن غزوان من الناحية الغربية والشمالية  
الغربية .

لم يبق من آثار البصرة الشالصة الا جزء من مسجد الجامع الذي  
جدد ووسع وعمر عدة مرات كان آخرها ما أمر به الخليفة العباسي المستنصر  
بالله عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢١ م حيث اعاد اليه بهجته وعظمته فأشتهر بفخامة بنائه  
ودقة نقوشه وارتفاع اعمدته وحلية سقفه . وكل ما تبقى من هذه العمارة  
الركن الشمالي الغربي وقاعدة المآذنة التي كانت تركز عليه ( لوح ١ ) واروع  
ما في هذا الجزء العشوات الزخرفية المحفورة في الحجر التي تزين قاعدة  
المآذنة . والحقيقة ان الجهات المعنية قامت بتحري موقع مسجد البصرة الجامع  
فتوصلت الى نتائج مهمة تخص مساحته وتخطيطه وتصميمه خصوصا على عهد  
زياد بن أبيه الذي ولي المدينة بين سنتي ٤٥-٥٥ هـ / ٦٥٥-٦٧٥ م . وقد  
ورد بان هذا الوالي جدد الجامع وبناه بالطابوق والجص ورفع سقفه على  
اصعدة حجرية ثم جعل له مقصورة ومآذنة وامتدنا كتب التاريخ والجغرافية



السوح - ١

قاعدة ماذنة جامع البصرة وما تبقى من الركن الشمالي الغربي

بمعلومات قيمة عن الزبادات والتعميرات والتوسعات التي طرأت على هذا المسجد الجامع في العهد العباسي .

راودت القائد عتبة بن غزوان احد قادة الجيش العربي الاسلامي في العراق فكرة انشاء مقر دائم لجيشه بمد ان افلح في تحرير عدد من اقاليم الخليج العربي واجزاء واسعة من جنوبي العراق . فكتب بذلك الى الخليفة عمر بن الخطاب عام ١٤ هـ / ٦٣٥ م ما كان يدور بذهنه معبرا عن ذلك بما قل ودل فقال « انه لا بد للمسلمين من منزل يشتمون به اذا شتوا ويسكنون فيه اذا أنصرفوا من غزوهم » . وافق الخليفة على ذلك وكتب الى عتبة بن غزوان قائلا « أن أجمع أصحابك في موضع واحد وليكن قريبا من الماء والمرعى وكتب الي بصفتي » . سر قائد الجيش العربي الاسلامي بتوجيه الخليفة بآشر البحث عن المكان المناسب الذي يتلاءم ورغبة الخليفة وتوجيهاته . وكان جيش عتبة بن غزوان يسكن انذاك في موقع يدعى الخريبة . وبعد استطلاع وتحريات وقع اختيار عتبة على مكان مناسب وصفه للخليفة بقوله : « اني وجدت ارضا كثيرة القصب في طرف البر الى الريف دونها مناقع ماء فيها قصب » . أقر الخليفة رأي عتبة بن غزوان ورد عليه أن « هذه أرض لخرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب » . وأمره بأن ينزلها الناس فانزلهم اياها . ويظهر ان أسم المدينة قد اشتق من صفة الارض المختارة . فقد صفت بانها : « أرض غليظة فيها حجارة بيض صلاب وارض هذه صنعتها تدعى البصرة » . وجاء ان البقعة كانت ارضا بكرأ خلوا من الابنية الا بعض مسالح قديمة وقصر قديم . اوكل قائد الجيش العربي الاسلامي عتبة بن غزوان أنزال الجيش الى أبي الحبراء عاصم بن دلف من تميم وذكر أن القائد نفسه قد حدد المسجد الجامع في وسط المدينة . واستعمل القصب في البداية كمادة في بناء الدور وتعميد المرافق ، وكان القصب يجمع ويحزم

ويخزن عندما يتحرك الجيش الى امام ومن ثم يعاد ترتيبه اذا ما عاد الجيش الى البصرة . وحدث بعد سنوات أن تعرضت البصرة الى حريق أثنى على المادة الانشائية المستخدمة ، فتنبه الى ذلك والي البصرة أبو موسى الاشعري فأقترح على الخليفة عمر بن الخطاب أن يعاد بناء الدور والمراقب باللبن والطين بدلا من القصب . وافق الخليفة على مقترح الوالي وأرفق ذلك بتصميم هندسي متقن للمدينة . ويعتبر بحق نقلة نوعية واطافة كبيرة في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية . فقد اعتمد هذا التخطيط عند انشاء المدن العربية الاسلامية في العراق وبعد بناء البصرة .

كان الاسلام القضية المركزية في حياة العرب المسلمين ، وكان المسجد ومازال المكان الذي تمارس فيه طقوس الدين ، فشغل المسجد الجامع في المدن العربية الاسلامية مراكزها فله مكانة القلب في الجسم منه تنفرع الشرايين وفيه تصب الاوردة . فجعل وسط المدينة المسجد الجامع ودار الامارة ويحيط بهما فضاء تؤدي اليه الشوارع التي تفصل بين خطط المدينة وأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ان يكون عرض الشوارع الرئيسية ٤٠ ذراعا متجهة نحو الفضاء الذي يحيط بالمسجد الجامع ودار الامارة . أما الشوارع العرضية او الثانوية التي تربط بين الشوارع الرئيسية فعرضها ٢٠ ذراعا . وترتبط بين هذه الشوارع الثانوية مع بعضها بأزقة بعرض ٧ أذرع تربط الشوارع الثانوية طولا . وأمر الخليفة ان تكون دور الناس متلاصقة لا يزيد عدد غرف الواحدة منها عن ثلاث وان تتوسط كل محلة رجة مربعة طول ضلعها ٦٠ ذراعا . وكانت خطط مدينة البصرة قبليه أي جعل أفراد كل قبيلة في محلة خاصة بها .

نمت المدينة بسرعة وتذكر كتب التاريخ ان الخليفة عمر بن الخطاب قد شجع الهجرة اليها . وقيل انه سير اليها سبعين الفا من العرب المسلمين بينهم عدد كبير من الصحابة وكان لهم دور أساس في التحرير ونشر مبادئ

الدين الاسلامي . تصاعد نموها وتميزت في العهد الاموي وظلت أحد المراكز الادارية في العراق وتبوءت مكانة متقدمة في العمران فتوسعت المدينة واستخدم الطابوق والجص في البناء بدلا من الطين واللبن . واشتهرت بمساجدها وقصورها واسواقها ومنتوجاتها الاقتصادية فزاد عدد سكانها وبلغ ما بين ٣٠٠ - ٦٠٠ ألف نسمة .

ارتفعت مكانة المدينة في العصر العباسي الاول وقصدها طلاب العلم والمعرفة فتعالت قصورها وتوسعت مساجدها وصارت محطة اقطار الطامعين في السلطة اعداء الخلافة العباسية . فاحتلتها صاحب الزنج وعاث فيها فسادا وتدميرا عام ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م . ولم تسلم من القرامطة فدخلوها عام ٣١١ هـ / ٩٢٣ م وخربوا ودمروا ماشاء لهم التدمير والتخريب . ولكن المدينة اتعشت وحافظت على مكائتها بين مدن العراق الآهلة وحظيت برعاية الخلفاء العباسيين المتأخرين فعادت أحد أهم المراكز الحضارية في العراق . وذكرها الرحالة والجغرافيون والمؤرخون والى نهاية القرن السابع عشر الميلادي حيث هجرت تماما .

## الكوفة

أهتز عرش بني ساسان عرش الطغيان والاستبداد والجهالة ، أثار الانتصار الرائع الذي سطره جند القائد العربي سعد بن ابي وقاص على جيش رستم في ملحمة العرب الكبرى القادسية .

واندفع جيش العرب المسلمين شرقا نحو اندائن ليحطم مقر السلطة الساسانية ويكمل تحرير العراق من نفوذها . فهاض جيش سعد معركة ضارية في دجلة توجت بسخول جيشه مدينة طيسفون وانهزام يزيدجرد . دخل العرب المسلمون عاصمة بني ساسان تحت راية الاسلام بقيادة سعد بن ابي وقاص وهرب يزيدجرد شرقا لايلاوي على شيء وتبعه اصحابه الساسانيون

وبات من الضروري ان يكون للعرب المسلمين دار هجرة في العراق بعد ان تحرر من النفوذ الساساني . فلم يمانع سعد من اتخاذ خطط لجيشه فسي طيسفون والانبار . ولكن وبعد فترة وجيزة وفي ضوء ملاحظات الخليفة عمر بن الخطاب بخصوص طبيعة مناخ المنطقة وما يناسب افراد الجيش العربي الاسلامي وعوائلهم اخذ القائد يفكر في انشاء دار هجرة جديدة لجيشه تهاديا لما قد يحدث اذا ما أستر جيشه في العيش بطيسفون والانبار .

اعلم القائد سعد الخليفة عمر بن الخطاب بواقع الحال وطلب منه الموافقة على انشاء دار هجرة للعرب المسلمين تكون مقرا لهم منها يتحركون واليها يرجعون بعد اداء المهام . وافق الخليفة على مقترح القائد وابوصاه بما أوصى به عتبة بن غزوان في اختيار المكان المناسب وامر ان يقوم رائدا الجيش سليمان وحذيفة بن اليمان بمهمة الاختيار شرط ان يكون الموضع في طرف البادية قريبا من الماء والمرعى . وبعد تحريات لاماكن عديدة وقع الاختيار على موقع مرتفع بين الحيرة والفرات ، وصف بانه لسان برى مستدير يدعى بخد السدراء . أقر سعد هذا الاختيار وكتب الى الخليفة يصفه قائلا : « اني نزلت الكوفة منزلا بين الحيرة والفرات برىا بحريا ... وخيرت المسلمين بالمدائن ، فمن اعجبه المقام تركته فيها كالمسلحة فبقي اقوام من الاقناء .. واكثر بني عيس » ويظهر ان اسم المدينة او المصر الجديد قد اشتق من طبيعة الارض المختارة فهي مستديرة معروفة بنباتاتها البرية مثل الشيع والقيصوم وغيرهما .

مصرت الكوفة عام ١٧هـ / ٦٣٨م واورد المؤرخون والجغرافيون تفاصيل دقيقة عن خطط المدينة وتخطيطها . وكانت خطط الكوفة قليلة مثل خطط البصرة . وجعلت لكل قبيلة محلة خاصة سميت باسمها ودعيت الشوارع الرئيسة بأسماء تلك القبائل أيضا . وساعدتنا المخطومات خاصة

بخطط المدينة كثيرا في معرفة القبائل التي كان يتألف منها جيش سعد بن  
 أبي وقاص . وتكشف طبيعة الموضع المختار عن القيمة السوقية له فقد  
 جعلت الصحراء خط حماية للجيش العربي الاسلامي وخط دفاع مهم جدا  
 اذا ما تراجع الجيش غربا ، وهذه سمة مميزة للامصار العربية الاسلامية  
 التي نصرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، كما تميزت مواقعها بانها قرية  
 من المياه والاراضي الزراعية للذين هما حاجتان اساسيتان لنمو وازدهار  
 المدن ، وهذا ما حدث فعلا فقد ظلت الكوفة مركزا زراعيا وتجاريا مهما  
 لفترة طويلة وحتى الوقت الحاضر . ولعل اختيار موقع الكوفة الملائم لم  
 يكن وحده الصفة المميزة للمدينة حسب ، بل يتعداها الى التخطيط الهندسي  
 المنتظم للمدينة والنظرة العمرانية وآفاق مستقبل المدينة . فتخطيطها الهندسي  
 الذي اوصى به الخليفة عمر بن الخطاب ، يشير الى الاتقان والابتكار  
 ويعتبر - كما ذكرنا عند كلامنا عن البصرة - اضافة نوعية في هذا الحقل من  
 حقول الحضارة العربية الاسلامية فكانت خطط او محال القبائل التي نزلت  
 الكوفة تحيط بمركز المدينة من جميع الجهات ويفصلها عن المسجد  
 الجامع ودار الامارة فراغ تؤدي اليه جميع الشوارع الرئيسية التي تفصل  
 بين خطط القبائل وكانت بعرض اربعين ذراعا ، كما هو الحال في البصرة ،  
 وتربط بين هذه الشوارع عرضا شوارع ثانوية بعرض عشرين ذراعا تتفرع  
 منها ازقة بعرض سبعة اذرع وتتوغل هذه الازقة بين دور الناس . وتتوسط  
 كل محلة او خطة مساحة مربعة طول ضلعها ستون ذراعا . وسميت الشوارع  
 الرئيسية باسماء القبائل التي تقع على هذه الشوارع . واوصى الخليفة  
 عمر ان تكون الدور متراسة ولا تزيد عدد الغرف في الواحدة منها عن ثلاث  
 ولا يرتفع البناء فيها أكثر من طابق واحد . والحقيقة ان التصميم الهندسي  
 لمدينة الكوفة وقبلها البصرة هو بداية الطريق للشكل المدور لمدينة السلام .  
 استخدمت اخصاص القصب في بناء دور الكوفة فقد كانت الاخصاص تجمع

وتخزن عندما يتقدم جيش سعد بن ابي وقاص ويعاد ترتيبها عندما يعود الجيش . وتروي كتب التاريخ قصة احتراق دور الكوفة بمد عام واحد من انشائها فاذن الخليفة باستخدام اللبن والطين بدلا من اخصاص القصب في بناء الدور والمرافق العامة .

عاشت الكوفة رغم ما تعرضت له من تخريب . فقد كان لموقعها الجغرافي واهميتها الاقتصادية والعلمية والادارية اهمية خاصة في ديمومتها . وسلم من اثارها مسجدها الجامع ودار الامارة فيها . أما دورها وبقية مرافقها العامة فتغطيها ابنية المدينة الحديثة .

أكدت التحريات الفنية التي اجرتها الجهات المعنية في جامع الكوفة المعلومات التاريخية بشأن شكله وسعته وكشفت ان البناء قد شيد بطابوق جديد موحد القياسات وانه غير منقول من ابنية سابقة وبذلك ثبت خطأ نظرية من حاول أن يدس على العرب المسلمين بأنهم هدموا ابنية الحيرة واستخدموا طابوقها للأبنية في مدينة الكوفة وما لاشك فيه ان سعدا اشرف بنفسه على تخطيط جامع الكوفة . فقد روى انه امر رجلا قوي الذراع باطلاق اربعة اسهم في اتجاهات اربع وامر ان تجعل مواقع الاسهم حدودا للجامع وجعلت بهيمة خنادق تحيط به . وجاء ايضا ان القائد امر ان يسقف بيت الصلاة فيه وحملت ذلك السقف أعمدة رخامية جميلة . وكشفت التنقيبات ان مسجد الكوفة الجامع كان مربع الشكل طول ضلعه ١١٠ امتار . وفي ضوء ذلك فان سعته كانت كافية لاربعين ألف مصل . لقد جدد جامع الكوفة وزيد فيه عدة مرات . وكانت اهمها تلك التي امر بها الوالي الاموي زياد بن أبيه فأمر ان يبنى الجامع بالحصى والطابوق واقرن تخطيطه وبناءه . واستخدم زياد أعمدة رخامية جميلة لرفع مسقوفه وعثرت هينات التنقيب على أجزاء من هذه الاعمدة الرخامية الرشيقة وتيجانها ذات الزخارف المتقنة ( لوح ٢ ) . واهتم العباسيون بالجامع ايضا فقد ذكره الرحالة العربي ابن



لوح - ٢

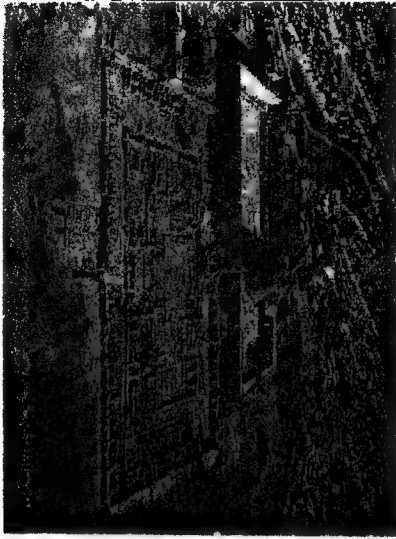
بعض تيجان وقواعد الأعمدة الرخامية التي كانت ترفع  
سقف جامع الكوفة على عهد زياد بن أبيه

جبر ووضح تفاصيل تخطيطه وتصليحه . وقد زار ابن جبر الكوفة عام ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م . وقال اعجاب الرحالة العربي ابن بطوطة الذي زار الكوفة عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م فوصفها بدقة . وتمود أبنية الجامع الحالية أو معظمها وخصوصا جدرانه الخارجية الى العهد الايلخاني وتقع اسس بناءه الاول على عمق ٥٥ متر عن مستوى ارضيته الحالية . وطرز جامع الكوفة حيري وهو الطراز السائد في العراق انذاك .

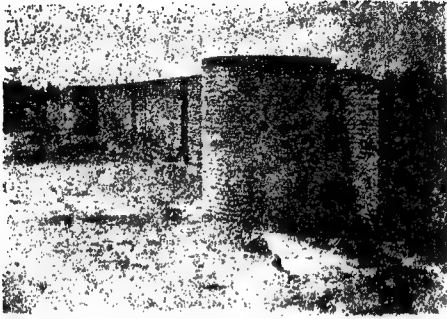
واظهرت التقيبات التي اجريت في دار امانة الكوفة معلومات هامة بخصوص سعتها وعلاقتها بالمسجد الجامع عند تأسيسها . فكانت بسعة الجامع غير ملتصقة به . واهم تغيير حدث فيها ذلك الذي امر به زياد بن ابي فاعاد البناء ودعم جدرانها الخارجية بابراج واستخدمت هذه الدار مقرا للوالي الاموي والعباسي والايلاخي ، فجددت عدة مرات وتوصلت هيئات التقيب الى تفاصيل ابنيتها في العصر الاموي والعباسي والايلاخي . وفي السنوات الاخيرة قامت الجهات المعنية بصيانة اجزاء من هذه الدار وسورها الخارجي ( لوح ٣ ) .

ازدهرت الكوفة ونست بسرعة خصوصا بعد ان اتخذها الامام علي ابن ابي طالب عاصمة للدولة العربية الاسلامية عام ٣٦ هـ - ٦٥٧ م . ولم يؤثر عليها كثيرا انتقال مقر الخلافة الى دمشق فقد اتخذها الامويون مقرا لوالي العراق وبالتبادل مع البصرة قبل بناء واسط . وبدأت فيها حركة فكرية وعلمية متميزة خلال العصر الاموي والعباسي وعرفت برجالها في هذا المجال . وكان لموقعها وقربها من الماء والاراضي الزراعية اثر كبير في استمرار توسعها وتطورها . وظلت مركزا اداريا لاجزاء واسعة من غربي القرات طيلة العصر العباسي والايلاخي . وقد تعرضت الكوفة شأنها شأن

منظر جوي لطابع الكوفة ودار إمامتها وتفصيل الجزء  
من أعمال الصيانة لسورها  
لوح - ٣



بقية المدن العراقية وبسبب الصراعات السياسية والاطماع الاجنبية الى ولايات  
وكوارث أثرت عليها نسييا . ولكن رغم ذلك فقد ظلت المدينة عامرة والسي  
يومنا هذا وظل مسجدها يستعمل للصلاة ويشغل مركز المدينة . والحقيقة  
ان أبنية المدينة الحالية تغطي أغلب المساحات التي كانت تشغلها أبنية المدينة  
القديمة . وبأسم هذه المدينة يسمى الخط العربي الجميل الذي أستخدم  
للكتابات التذكارية في مجالات متنوعة .



ملحق بلوح - ٣

## واسط

بعد أن ينس الحجاج بن يوسف الثقفي ، عامل الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان على العراق ، من كسب ود وثقة أهل المصرين الكوفة والبصرة ، وتيقن أنه لا يمكن لجند الشام العيش بأمان وأطمئنان فيهما أو اتخاذ أي منهما مقرا لهم ولعوائلهم . ولما كان للعراق من أهمية كبيرة بين أقاليم الدولة العربية الاسلامية ولما كان لأهل العراق من موقف معروف تجاه الخلافة الاموية خصوصا بعد نقل حاضرة الخلافة من الكوفة الى دمشق . وبسبب هذا الموقف بذل الحجاج جهودا جبارة لتثبيت السلطة في العراق والقضاء على كل من حاول شق عصا الطاعة في محاولات الانفصال وعلان الثورة ضد الخلافة الاموية . فأخمد كل الثورات الهادفة الى اضعاف سلطة الخلافة وتصدى لها ونجح في القضاء على الاضطرابات وحركات العصيان . وقد

تعرض الحجاج شخصيا للخطر في الكوفة والبصرة لذا قرر إنشاء مدينة تكون دار هجرة لجند الشامين ومقرا لادارة العراق وضمن مواصفات معينة فكتب بذلك الى الخليفة عبد الملك بن مروان يستأذنه في بناء مدينة جديدة فأذن له الخليفة .

لا يشق المؤرخون والاحكاميون وكتاب السير حول الابتداء في بناء مدينة واسط وحصر تاريخ الابتداء ما بين ٧٥ و ٨٣ هـ ويحتمل جدا أن الحجاج قد أمر ببدء البناء بعد أن أخذ المعارضة ووطد الامن والاستقرار في العراق وكان ذلك بعد مضي خمس سنوات من بده مهمته عام ٧٥ هـ / ٦٩٤ م . ومن المقول ان يكون الابتداء عام ٨٠ أو ٨١ هـ / ٦٩٤ م أو ٧٠٢ م . واستغرق البناء فيها ثلاث سنوات . واهتم الحجاج كثيرا باختيار الموضع المناسب لبناء مدينة جديدة فامر عددا من اصحابه من يثق بهم من ذوي المعرفة في الامور العسكرية والاقتصادية والصحية والاجتماعية وامرهم ان يطوفوا في العراق لاختيار الموضع المناسب فشدوا الرحال وطافوا في العراق ما بين عين التمر والبحر . وقرروا ان ما اختاره بنفسه هو أنسب الموضع من حيث المناخ وطبيعة الارض . وروى ايضا ان الوالي قد وجه رجلا يثق بمقنه ان يختار له موصعا مناسبها بمواصفات معينة منها ان يكون مرتفعا عن مستوى سطح النهر وان يكون على نهر جار عذب الماء والهواء لذيذ الطعام : فوجد المكان الذي تتوفر فيه هذه الصفات قرب قرية امضى فيها ليلة فاعجبه مناخها وعذوبة مائها وطيب طعمها . واربها ووصفها للوالي فأعجب بذلك ووافق على الاختيار ، وتؤكد بعض المصادر ، وكما ذكرنا ، ان الحجاج بن يوسف نفسه قد اختار الموضع وفق مواصفات يتمتع بها ذلك الموضع .

ان ايمان النظر في الموضع المختار ، لبناء مدينة الحجاج الجديدة والمنطقة المحيطة به يكشف عن العقلة المتميزة التي ارادت لهذه المدينة ان تكون معسكرا حصينا ، ارضا وبناء ، لجند الشام ودار هجرة لهم ولعوائلهم

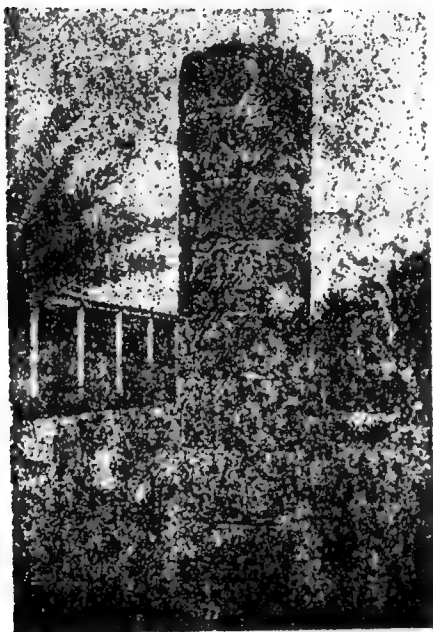
ومركزا اداريا تسهل الحركة منه الى كافة انحاء العراق حيث يبعد بحدود خمسين فرسخا ( ٣٥٠ كيلومترا ) عن البصرة والكوفة والاحواز والجبل ويقع بين دجلة والفرات في منطقة سهلة منبسطة خصبة عرفت بوفرة انتاجها الزراعي خصوصا بعد أن شقت الجداول والانهار لارواء ما حولها . وأراد الحجاج لمدينته الجديدة أن تكون مقرا لجيشه أو جيوش الخلافة الاموية التي اتجهت نحو الشرق وتوغلت بعيدا في آسيا . ولم يمض وقت طويل على انشاء المدينة حتى ازدهرت فيها التجارة والصناعة بالاضافة الى الزراعة وصارت من أهم المراكز السياسية والادارية في العراق .

لاشك ان أسم المدينة الجديدة واسط ، له علاقة مباشرة بموقعها بالنسبة للمدن العراقية وخصوصا المصرين والاحواز فهي تتوسط هذه المدن الثلاث ومن المؤكد ان اسمها جاء من موقعها هذا . وذكر ان الحجاج بعد ان فرغ من بنائها كتب الى الخليفة عبدالملك بن مروان قائلا : اني اتخذت مدينة في كرش الارض بين الجبل والمصرين وسميتها واسطا . وجاء ايضا ان الموضع المختار كان يدعى بواسط القصب لان أرضها كان فيها قصب والحقيقة ان أقرب هذه الروايات الى الواقع تلك التي تقول « واسط بلد سمي بالقصر الذي بناه الحجاج بين الكوفة والبصرة » . ومن المعروف ان قصر الحجاج يتوسط تماما الموضع المختار متميزا ببساطته ومظهره اذا ما قورن بالمسجد الجامع المجاور له .

من الملاحظ ان تخطيط واسط في الاساس لا يختلف عن تخطيط البصرة والكوفة . وهذا تابع في الغالب من الاهداف المشتركة لتصوير هذه الامصار ومن اتخاذ الحجاج وجنده كلا من المصرين دار هجرة ومسكنا قبل بناء المدينة الجديدة . ولكن المقارنة الدقيقة بين تخطيط المصرين وتخطيط واسط تكشف عن وجود بعض الاختلافات اقتضتها طبيعة المرحلة وبعد أن توطدت أركان الدولة العربية الاسلامية وظهرت متطلبات جديدة في

المجتمع العربي الاسلامي فقد جعل دار الامارة والمسجد الجامع مركزا للمدينة تحيط بهما مرافق الدولة ومبانيها الرسمية . ويفصل هذه المجموعة من الابنية عن خطط الناس فضاء واسع . أما خطط الناس فكانت بهذا الفضاء وهي بهيئة اربعة ارباع تفصلها شوارع عامة تنتهي في الفضاء وتتقاطع هندسيا عند دار الامارة وزيادة في تحصين المدينة فقد امر الحجاج ان تسور بسورين وخندق وان تجعل لاحد سورها ابواب فخمة تغلق اثناء الليل ولا يمكن لاحد الدخول اليها الا من هذه الابواب .

ومن المؤكد ان الحجاج رغب في أن يكون مبنى دار امارته ( قصره ) متميزا بضخامته واتساعه لكي تعكس هيبة السلطة واقتدارها . فأمر ان يكون طول ضلعها ٤٠٠ ذراع ( ٢٢٠ مترا ) وان تكون في مركز المدينة تماما . واوكل امر تخطيطها وهندستها الى مهندسين هما ابو شعيب بن الحجاج والقاسم بن اثار . وجعلت الدار ملاصقة للمسجد الجامع في جدار قبلته . وعرفت هذه الدار بقصر الحجاج واشتهرت بقبتها الخضراء العالية التي كانت تشاهد من مسافات بعيدة نسييا . وكان في القصر بركة ماء جميلة وحديقة واسعة . وكان الدخول اليه عن طريق اربع بوابات فخمة يؤدي كل منها الى احد الشوارع الرئيسية الاربعة التي تفصل بين خطط المدينة . ومسجد واسط الجامع مربع الشكل طول ضلعه ٢٠٠ ذراع ( ١١٠ أمتار ) شيد بالطابوق والجص وفرشت ارضه بالطابوق ايضا ويتألف من مصلى ومجنبتين ومؤخرة تحيط بباحة مكشوفة ورفعت بسقوفه على أعمدة اسطوانية فخمة من حجر رملي مزينة بنقوش هندسية ونباتية متداخلة متقنة وجميلة وتعبر عن ذوق العرب المسلمين والمستوى الفني الذي كان عليه النحت على الحجر انذاك ( لوح ٤ ) . ويتألف العمود الواحد من عدة قطع اسطوانية يربطها سفود في مركزها وكشفت التنقيبات التي اجرتها مديرية الآثار العامة عن كامل تخطيط جامع واسط على عهد الحجاج وهو لا يختلف



لوح - ٤

أحد أعمدة جامع واسط على عهد الوالي الحجاج بن يوسف الثقفي

في جوهره عن تخطيط جامع البصرة والكوفة . وكشفت التنقيبات بالإضافة الى ذلك ان جدراته كانت مدعمة بأبراج نصف اسطوانية من الخارج . وان هذا الجامع قد هدم عام ٤٠٠ هـ / ١٠١٠ م وأعيد بناؤه على شكله الاصلي ومما لاشك فيه ان الغرض من هدمه وإعادة بنائه هو تصحيح قبلته المنحرفة بـ ٣٤ درجة عن الخط القبلي . وهدم مرة أخرى عام ٥٥٠ هـ / ١١١٥ م وأعيد بناؤه بنفس السعة والتخطيط كما أجريت فيه بعض الإضافات في العصر الایلخاني ولم يكن مسجد المدينة الجامع هو الوحيد فيها عند بنائها بل كانت هناك مساجد صغيرة أخرى فيها .

وتكشف المعلومات المتوفرة عن تخطيط مدينة واسط ، العلاقة المباشرة مع تخطيط المصرين اللذين عاش فيهما العجاج وجند الشام . ولكن هناك سمات مهمة تميز واسط عن البصرة والكوفة . فقد امر العجاج ان تكون الاسواق مطلة على الفضاء الذي يفصل بين مركز المدينة وخطها وان يكون لاصحاب كل بضاعة سوق تنفرع من السوق الرئيسية . وامتدت حوايت هذه الاسواق على جانبي الشوارع الرئيسة الاربعة التي تقسم الى اربعة ارباع . ويحتمل ان هذه المدينة لم تكن قبلية فخصص قسم من المدينة للشاميين وقسم لاهل البصرة والآخر لاهل الكوفة او العراقيين العرب المسلمين بصورة عامة ويظهر انه منع بعض الناس من سكنى مدينته الجديدة . وبنيت دور واسط في الغالب بالجص والطابوق ولم ترد اشارات الى سعة هذه الدور . ومعروف ان هناك ساحات واسعة مربعة طول ظلع كل منها ٣٠٠ ذراع تتوسط خطط المدينة وهي كما الحال في البصرة والكوفة مرابط خيل اهل المحلة . والظاهر ان هناك شوارع ثانوية وازقة توصل بين الشوارع الاربعة الرئيسية التي كانت بعرض ٨٠ ذراعا ( ٤٠ مترا ) . اراد العجاج لمدينته ان تكون حصنا منيعا ومعسكرا دائما للجنود الشاميين فاحاطها بسورين وخنق ونصب ابوابا حديدية ضخمة لابيواب

السور الرئيسة بحيث لا يمكن الدخول الى المدينة الا عن طريق هذه الابواب . ويظهر ان هذه الابواب تؤدي الى الشوارع الاربعة الرئيسة في المدينة كما هو الحال مع مدينة السلام . ولم نعرف بالضبط عدد من سكن واسط عند انشائها ولكن اعتماد سعة مسجدھا الجامع الذي قد يتسع لعشرين ألف مصلّ وهم على الاكثر عدد الجند الشاميين وغيرهم وإذا اضيف الى هذا الرقم ستون الفا من نساء واطفال وشيوخ ومهاجرين آخرين فانه من المحتمل جدا ان عدد سكان المدينة كان يحدود ٨٥٠٠٠ نسمة . اما سعة المدينة فانھا غير معروفة تماما وتنتشر اثارھا الان على مساحة من الارض غربي عتيق نهر النجيلة بحدود الف متر من الشرق الى الغرب وألفي متر من الشمال الى الجنوب وتؤشر هذه السعة حقيقة هي ان توسعھا كان في الجانب الشرقي من دجلة باتجاه مدينة كسكر التي تقابلھا وقد تم اقامة جسر يربط بين الجانبين .

ان تخطيط مدينة واسط مهم جدا فهي شبه مدورة وكشفت تحريات مديرية الآثار العامة عن بقايا السورين والخندق وتشكل القوة الدفاعية هذه نصف دائرة تحيط بالمدينة وتفتح على النجيلة . والحقيقة ان تخطيط واسط هو حلقة الوصل القوية بين تخطيط المصريين وتخطيط مدينة السلام . وتتجلى مظاهر التقدم او التطوير بالنسبة للمصريين في سعة قصر الحجاج فهو اكبر من دار امارة البصرة والكوفة وقد جعل مركزا للمدينة بدلا من المسجد الجامع وصارت مساحتھا ضعف مساحة المسجد في واسط والبصرة والكوفة . ومعروف ان الحجاج هدم جزء من دار امارة البصرة واراد ان يغير مادة البناء فيها ولكنه عدل عن ذلك وامر بتشييد قصر له خارج البصرة وعلى بعد فرسخ واحد منها فقط . ومما لاشك فيه انه كان قد اقام فترة في دار امارة الكوفة التي هدمت ووسعت وأعيد بناؤها في عهد ولاية زياد بن أبيه . ويحتمل جدا ان تخطيط قصر الحجاج لا يختلف كثيرا عن تخطيط دار امارة

الكوفة. ومن هذه المظاهر ايضا سعة الشوارع الرئيسية فهي ضعف سعة شوارع البصرة والكوفة ، وعددتها في واسط اربع فقط اما في البصرة والكوفة فهي بعدد القبائل التي هاجرت اليها . ويحتمل ايضا ان الحجاج اراد لواسط وخصوصا قصرها ومسجدها وسعة شوارعها ان تكون اكبر مما عليه الحال مع المصريين . ومن الامور المهمة ايضا ان الحجاج قد جعل ابنية الدواوين وبيت المال وغيرها من المرافق الحكومية حول القصر والجامع . واهم ما تميزت به مدينة الحجاج القوة الدفاعية فيها التي لانجدها في المصريين فلم تكن البصرة والكوفة مسورتين .

نمت واسط بسرعة وظلت المركز الاداري الوحيد للعراق طيلة فترة حكم الامويين . ولم يؤثر عليها كثيرا انشاء مدينة السلام ، فكانت وبسبب مناخها اللطيف مكان نزهة وراحة للعراقيين وخاصة اهل مدينة السلام . وازدهرت الحياة الاقتصادية فيها فأرضها الزراعية المعروفة وكثرة جداولها وترعها وخصوبتها جعلها تحتل المكان الاول في انتاجها الزراعي وتكون مركزا تجاريا مهما تؤدي اليها الطرق البرية والنهرية وتصل بضاعتها الى الخليج والشمال والشرق والغرب . وقد عرفت واسط بنهضة حضارية واشتهرت بأقلام خاصة تدعى بالأقلام الواسطية . توسعت المدينة وتم ربطها بالجانب الشرقي بجسر كما ذكرنا ، وتعالّت مكانة واسط في العراق وخرجت الكثير من العلماء والادباء والفقهاء وغيرهم وعرفت بمدارسها ومساجدها وقصورها .

الحقيقة ان الصراعات السياسية في العراق وما نجم عنها من تخريب قد اثرت على المدينة وكان للغزو المغولي الوحشي اثر كبير في تهديم معالمها الحضارية وقتل اهلها . فقد دخلها جيش المغول عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وعاث بها خرابا وتدميرا ، ودخلها ايضا جيش تيمورلنك عام ٧٩٥ هـ / ١٣٩٥ م وخرّبها ايضا . ورغم التخريب والقتل اللذين تعرضت لهما هذه المدينة عادت الحياة الطبيعية اليها. وظلت عامرة الى ان بدأ نهر الدجيلية يغير مجراه في القرن

الثامن عشر الميلادي فهجرت وتفرقت اطلالها على مر الايام وتحولت السى  
 تلؤل ووديان ولم يبق من آثارها الشاخسة سوى مدخل المدرسة الشرايية  
 التي أمر ببنائها الوزير أقبال الدين الشرايي عام ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م • وهذا  
 الاثر الشاخص هو في الحقيقة تحفة معمارية من حيث التكوين والتشكيلات  
 الزخرفية التي تزينه فقد نقشت حفرًا على الأجر وبمستويات مختلفة واشكال  
 متنوعة ( لوح ٥ ) •



لوح ... ٥

بوابة المدرسة الشرايية في واسط.

## مدينة السلام

بعد أن نجح العباسيون في اسقاط الخلافة الاموية عام ١٣٣هـ / ٧٥٠م لم  
 يدروا في ظلهم اتخاذ دمشق حاضرة الدولة العربية الاسلامية المترامية الاطراف  
 فقرروا ان تكون حاضرة دولتهم في المراق ولأسباب معروفة منها موقع

العراق ودور اهل العراق في دعم الحركة والثورة العباسية ثم الثقل الاقتصادي والسياسي والبشري الذي يتصف به العراق . فاتخذ قائد الثورة ومؤسس السلطة العباسية الخليفة عبدالله بن محمد بن علي الملقب بالسفاح من الانبار حاضرة للخلافة العباسية . ويظهر ان مناخها غير جيد وموقعها غير متميز فكانت معروفة بكثرة ذبابها فتحول الخليفة الى الهاشمية وظل فيها الى ان تسوفاه الله . وعندما تولى الخلافة ابو جعفر المنصور ظلت الهاشمية عاصمة للدولة العباسية ولكن وبعد فترة وجيزة من حكمه قرر ان يشيد مدينة جديدة تخذ اسمه وتعبر عن طموحاته وتتميز بمواصفات عسكرية وادارية واقتصادية ومناخية وصحية جيدة .

تبدأ قصة انشاء المدينة الجديدة باختيار الموضع المناسب لها . ولقد اهتم الخليفة اهتماما كبيرا بهذا الموضوع اذ قام بنفسه في اختيار الموضع الذي انشئت عليه مدينته الجديدة . ولكن اغلب كتب التاريخ والجغرافيا والسير تذكر ان الخليفة امر مجموعة ممن يثق بهم من اهل المعرفة والعلم والفضل في مثل هذه الامور لتطوف بلاد ما بين النهرين وتختار الموضع الذي تتوفر فيه مستلزمات اساسية تتطلبها طبيعة المرحلة وتتماشى مع تطلعات وطموحات الخليفة العباسي . وقع اختيار اصحابه على موقع يتوسط بلاد ما بين النهرين على دجلة من الناحية الغربية في ارض سهلة زراعية يمكن الوصول برا وبحرا اليها بسهولة وتتميز ايضا بمناخ جيد وحصانة عسكرية وقد ارتاد الموضع وخبره بنفسه واستفسر من الذين كانوا يسكنون فيه وأمر ان يبدأ البناء به عام ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م .

يمثل تخطيط مدينة السلام قمة ما وصل اليه فن تخطيط المدن في العالم العربي الاسلامي . وقد نال هذا التصميم اعجاب من كتب عنها من المؤرخين والجغرافيين العرب والباحثين الغربيين . فاشادوا بها وذكروها ووعتها واتقان تخطيطها وموقعها بين المدن السابقة لها واللاحقة بها . وجاء ان

الخليفة أبا جعفر المنصور هو الذي خططها واراد ان يرى شكل المدينة على الارض قبل ان يبدأ البناء بها . فأمر ان يعلم تخطيطها على الارض بمادة قابلة للاشتعال فأشعل النار فيها ليلا وظهرت المدينة على حقيقتها ، فسر الخليفة بشكل مدينته الجديدة . ولكن الاكثريه تقول ان المهندس الحجاج ابن ارطاة هو الذي قام بتصميم المدينة الجديدة وعلى الرغم من ذلك فأن احتمال قيام الخليفة بوضع التخطيط او التوجيه بذلك امر متوقع جدا خصوصا اذا ما اخذنا العلاقة بين تخطيط واسط ومدينة السلام .

فالتشابه واضح في موقع القصر والجامع ومساحتها وتقسيم المدينة الى اربعة ارباع ومكان الاسواق فيها ، وتمصيناتها ، اذ كان للمدينة واسط سوران وخندق وللمدينة السلام ثلاثة اسوار وخندق كما تنحرف قبله مسجدهما بمقدار ٣٤ درجة عن خط القبلة اضافة الى استخدام ابواب سور واسط الحديدية لمداخل سور مدينة ابي جعفر المنصور . ولم يكن هذا التشابه مجرد تأثير تخطيط مدينة على مدينة اخرى غير بعيدة جدا عنها ، فقد جاء ان الخليفة أبا جعفر المنصور مكث في واسط حيناً من الزمن واستعان بصناعها من مهندسين وبناءين وفعلة عندما بنى مدينة السلام . والحقيقة ان التشابه هذا يمتد الى تسمية قصره في مدينة السلام بقصر القبة الخضراء كما كان يدعى قصر الحجاج .

وكيفما كانت الحال فان تصميم مدينة السلام متقن جدا وتدويرها تام . اسوارها ضخمة ومتينة . اسواقها معزولة، ويخطط الناس فيها محصورة. القصر قلبها . ومساحة جامعها نصف مساحة قصرها ، يلاصق القصر الجامع في جدار القبلة ، يحيط بالقصر والجامع دواوين الدولة داخل فناء واسع . فجعلت المدينة بيئة حلقات تتسع كلما ابتعدت عن مركزها وتتكون مدينة السلام من منطقة مركزية واسعة تضم القصر والجامع ودواوين الدولة يفصلها عن السور الداخلي فضاء واسع نسبيا . ويحيط بهذا الفناء ثلاثة

اسوار ، السور الداخلي والسور الاعظم ثم السور الخارجي • وجعلت خطط الناس بين السور الاعظم والسور الداخلي ، ووضعت الخطط بهيئة هندسية متقنة حيث تخترقها شوارع مستقيمة تؤدي من جهة الى السور الداخلي ومن جهة اخرى الى السور الاعظم • اما الفراغ بين السور الاعظم والسور الخارجي فخال من السكن • ويطل السور الخارجي على خندق المدينة الذي يمكن اجتيازه عن طريق اربعة جسور يؤدي كل منها الى احد ابواب الاسوار التي جعلت على خط محوري واحد ، بحيث تقسم المدينة الى اربعة ارباع • وافردت جوانب هذه الشوارع بمنطقة الطاقات لحوائيت التجار •

احتل قصر الخليفة قلب أو مركز المدينة وكان مربع الشكل ، مثل قصر الحجاج في واسط ، طول ضلعه ٤٠٠ ذراع ( ٢٠٠ متر تقريبا ) • شيد القصر بالجص والطابوق ومعلوماتنا عن تخطيطه وصفته معدومة عدا إشارة واحدة عن غرفة نوم الخليفة التي تطل على رواق ترفع سقفه اعمدة ويشرف على صحن • دعى قصر المنصور هذا بقصر القبة الخضراء نسبة الى القبة الخضراء المالية التي كانت تميزه • وسمى ايضا بقصر باب الذهب أو قصر الذهب • وتذكر كتب التاريخ ان القبة الخضراء التي كانت ترتفع بحدود ٤٠ مترا من مستوى سطح الارض كانت تقوم فوق ايوان مجلس وكان على رأسها ، مثل قبة قصر الحجاج ، تمثال لفارس يمسك برمح ويدور مع الريح • ومما لا شك فيه انه يؤثر اتجاه الريح • وجاء ان رأس القبة قد سقط بسبب عاصفه رعدية عام ٣٣٩ هـ / ٩٤١ م • اما القبة فقد ظلت حتى عام ٦٥٣ هـ - ١٢٥٣ م حيث سقطت بسبب الفيضان الذي اغرق مدينة السلام • والمعروف ان قصر القبة الخضراء لم يسكنه احد من الخلفاء بعد ابي جعفر المنصور الا الخليفة الامين عندما بويع بالخلافة وكان قبل ذلك يسكن قصر الخلد الذي انشأه خارج اسوار مدينة السلام عام ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م بأمر من الخليفة ابي جعفر المنصور •

أما مسجد مدينة المنصور الجامع فقد شيد باللبن والطين وكان ملاصقا للقصر من الجهة الشمالية الشرقية . وكان طول ضلعه ٢٠٠ ذراع ( ١٠٠ متر تقريبا ) مثل جامع مدينة واسط . ويحتمل جدا ان تخطيطه يشبه تخطيط جامع واسط . ولم يبق جامع مدينة السلام على حاله الا اول فقد امر الخليفة هارون الرشيد عام ١٩٢هـ / ٨٠٨م بهدمه وتوسيعه واعادة بنائه بالطابوق والجص . ويظهر انه ضاق بالمصلين أيام الخليفة المعتضد فأمر عام ٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م بتوسيعه بإضافة جزء من القصر اليه . وظل مسجد مدينة السلام الجامع مستخدما للصلاة حتى بعد سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م فقد ذكره الرحالة ابن بطوطة الذي كان ببغداد عام ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م فقال عنه انه كان سليما . ويحتمل ان المحراب الرخامي الجميل المعروف بمحراب جامع الغاصكي والمروض الان في المتحف العراقي هو محراب جامع مدينة السلام ( لوح ٦ ) . وهذا المحراب عبارة عن قطعة رخامية واحدة حفرت عليه الزخارف بدقة وهو في الحقيقة تحفة رائعة تمثل ما وصل اليه فن النحت على الحجر في ذلك العصر الزاهي من عصور الخلافة العباسية .

تطوق القصر والجامع جملة ابنية وقصور شغلتها دواوين الحكومة . ويفصل هذه المجموعة من الممارات عن خط المدينة السور الداخلي المشيد باللبن والطين ويظهر ان هذا السور لم يكن ضخما مرتقا مثل السور الاعظم . اما دور اهل المدينة فكانت بين السورين ، الاعظم والداخلي ، في فناء واسع بعرض ١٥٠ مترا تقريبا وتخطيط هذا الجزء هندسي متقن فكانت الخطط مفصولة بشوارع مستقيمة تؤدي الى طريق يدور حول السور الداخلي ويتصل بقلب المدينة عن طريق اربع بوابات هي امتداد للابواب الرئيسية الاربعة التي تقع على الشوارع الاربعة التي تقسم المدينة الى اربعة ارباع . وتؤدي الطرق التي



#### لوح - ٦

محراب جامع المنصور في مدينة السلام

تفصل بين خطط اهل المدينة من الجهة الثانية الى شارع واسع يوازي السور  
الاعظم . سقفت الشوارع الرئيسة الاربعة في هذا الفاصل وجعلت بهيئة  
دهاليز مشغولة بطاقات أو حنايا خصصت للبطانة أو الاسواق كما ذكرنا .  
واضحهم اسوار مدينة السلام هو السور الاعظم وكان ارتفاعه محدود

٣٠مترا ومشيدا باللين والطين. ويقال : ان عرضه عند اساسه ٥٠مترا وتناقص كلما ارتفع البناء الى ان يصبح بعرض ١٢ مترا . وزيادة في قوة هذا السور فقد دعم بأبراج نصف اسطوانية عددها ١١٣ برجاً ، وتخرق هذا السور ايضا اربعة مداخل ذات طابع دفاعي سميت باسماء المدن او الاقاليم المتجهة نحوها فسمى الشرقي بباب خراسان والجنوبي بباب البصرة والجنوبي الغربي بباب الكوفة والرابع بباب الشام . ويفصل السور الاعظم عن السور الخارجي فيصل بعرض ٥٠ مترا خال من السكن . والسور الخارجي يطل على الخندق وتفصله عنه مسناة متينة مشيدة بالطابوق والنورة . ومما لا شك فيه ان السور الخارجي لم يكن مثل ضخامة وارتفاع السور الاعظم . وخندق مدينة السلام يمثل اخر الحلقات في الخطوط الدفاعية للمدينة . وكان يأخذ مائه من نهر كرخايا ويمكن اجتيازه عن طريق اربع قناطر تؤدي الى البوابات الاربع التي تخرق السور الخارجي وتفيد رواية اوردها الخطيب ان مداخل المدينة كانت مصممة وفق اسلوب البوابات ذات المداخل الموزع ، الهدف منه زيادة القوة الدفاعية لها ، ( لوح ٧ ) .

لا يمكن الجزم في ان أي من مداخل أسوار مدينة السلام قد استُخدمت الابواب الحديدية الضخمة التي قُلت من واسط فهناك من يقول انها جعلت لمداخل السور الاعظم ويعتقد اخرون انها نصبت لبوابات السور الخارجي . والمعروف ان الخليفة أبا جعفر المنصور قد استعان بعدد كبير من الصناع والمهرة والمهندسين من كافة اقاليم الدولة العباسية ويقال ان عددهم بلغ مائة ألف عامل وكانت تدفع لهم أجور انماهم وأوكل الاشراف على ذلك الى الفقيه المعروف للنعمان بن ثابت ( ابو حنيفة ) . وقد استغرق البناء فيها



لوح - ٧  
تخطيط مدينة النصور المدورة  
( مقتبس )

حوالي خمس سنوات تم في البداية اكمال القصر والمسجد الجامع وقصور  
الامراء ودواوين الدولة ثم الاسوار والضدق . ارتفعت مكانة مدينة السلام  
بسرعة وعلت شهرتها ونالت اعجاب من زارها ولكنها لم تمر طويلا او تتوسع  
بالطريقة التي توسعت فيها البصرة والكوفة وواسط . هناك عوامل عدة  
ادت الى عدم نموها وازدهارها وزيادة استيطان الناس فيها . فالمكان المخصص  
لسكنى الناس محدود جدا ولم تمض فترة طويلة على اكمالها حتى امر الخليفة  
باخراج الباعة والتجار فيها الى ربض الكرخ . وكان للصراعات السياسية  
وخصوصا تلك التي وقعت بين الاخوين الامين والمأمون حيث حاصر جيش  
المأمون مدينة السلام التي كان يقيم فيها الامين ، واثار الاقبال على السكنى في  
الرصافة والكرخ وازدهار الحركة التجارية فيها تأثيرا مباشرا على مدينة  
السلام وعدم الرغبة في السكن فيها . وكان لقرار الخليفة المعتصم بالله بانشاء  
مدينة جديدة عام ٢٢١هـ / ٨٣٥م لتكون عاصمة الدولة العباسية بدلا من مدينة  
السلام ، اكبر الاثر في احوال المدينة . ومما زاد في سرعة هجرانها وتهديمها  
الفيضانات التي تعرضت لها من دجلة والفرات وكان لطبيعة المواد الانشائية  
التي بنيت بها الاسوار ودور الناس ، أي اللبن والطين ، اثر في سرعة التخریب  
والاندثار هذه العوامل مجتمعة ادت الى عدم بقاء المدينة كما اراد لها الخليفة  
ان تكون . وكان يربطها بمعسكر المهدي جسر ومنذ البداية بنيت عدة قصور  
خارج المدينة ومنها قصر الخلد الذي كان يقع على دجلة . وبعد عودة الخلفاء  
من سر من رأى ، فضلو الاقامة في الرصافة فكثر قصور الخلفاء والقادة  
هناك وزاد الاقبال على سكن الناس في الكرخ والرصافة . فاندثرت مدينة  
السلام واختفت معالمها تدريجيا ولم يبق من اثارها أي شيء ظاهر للعيان  
والسؤال اليوم ابن كانت تقوم مدينة السلام بالضبط ؟ وكل ما يمكن ان

يقال هو انها كانت في البقعة المحصورة بين محلة الكرخ جنوبا وبلدة الكاظمية شمالا ونهر دجلة شرقا ومجرى نهر الداودي غربا . وقيل سنوات قامت بعثة فنية في قسم الآثار في كلية الاداب بجامعة بغداد ، بالتحري في منطقة العطيفية في محاولة لايجاد بقايا من مدينة السلام . وعثرت الهيئة على بقايا جدران ضخمة مشيدة باللبن ومغطاة بتشكيلات من زخارف جصية جميلة مع جملة من اللقى الاثرية كلها تشير الى عصر انشاء مدينة السلام ولكن المياه الجوفية منعت البعثة من متابعة الجدران والنزول الى مستوى أعق . وتجدر الاشارة الى الآثار البنائية الكثيرة التي تظهر صيفا على شاطئ دجلة الغربي في محلة العطيفية الثانية التي تؤثر بوضوح هوية هذه المنطقة والآثار الابنية التي كانت تقوم فيها .

أرابط ببناء مدينة السلام انشاء معسكر المهدي في الجانب الشرقي من دجلة قبالة المدينة المدورة . وربط بينهما الخليفة ابو جعفر المنصور بجسر . ويظهر ان الخليفة العباسي اراد ان تكون ثكنات للجيش الذي كان يقوده ابنه محمد المهدي ، ولي العهد ، خارج العاصمة ، ابتداء البناء بمعسكر المهدي عام ١٥١ هـ / ٧٦٨ م بعد عودة الجيش من الرى ، وكمل عام ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م وجعل الخليفة لمعسكر المهدي سورا وخندقا وكان يأخذ ماءه من دجلة . ويظهر ان محمد المهدي بعد أن بويع بالخلافة قرر ان يسكن هناك فأمر بانشاء قصر ضخم ومسجد جامع يضاهي جامع مدينة السلام . ونتيجة لذلك رغب الناس في الاقامة بها ودعيت بالرصافة فأخذت تتسع تدريجيا وتزدهر الحياة فيها وتم نقل دواوين الدولة اليها وسكنها معظم الخلفاء الذين خلفوا محمد المهدي . واتسعت أكثر عندما عاد الخلفاء الى مدينة السلام بعد ان هجرت مدينة سر من رأى .

واشتهرت الرصافة بقصورها ومساجدها ودور العلم فيها بالإضافة الى دور الخلفاء وعرف من قصورها الجعفرى والتاج والقردوس ودار الشجرة • وتم تشييد سور للرصافة مدعم بخندق عميق زيادة في تحصين المدينة ضد الطامعين واشتهر هذا بمدخله الضخمة ذات الطابع العسكري ومنها باب السلطان وباب الظفرية وباب الحلبة ( الباب الوسطاني ) الذي لا يزال قائما الى يومنا هذا وباب الطلمس الذي امر بتشيعده الخليفة الناصر لدين الله • وشييد السور في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) • ولم يقتصر البناء والعمران على الرصافة فقط بل امتد الى الكرخ الذي كان يرتبط بالرصافة بعمدة جسور • واطلق على الرصافة والكرخ اسم بغداد وتماثلت مكانة بغداد في العصر العباسي المتأخر سياسياً واقتصادياً وعلمياً وعمرانيا وقد اشتهرت بكثرة مساجدها ومدارسها ومنشآتها العامة والخاصة ولكن دخول المغول التتر فيها عام ١٢٥٦هـ / ١٢٥٨م وقتل عدد كبير من أهلها وحرقت مكتباتها وتهديم دور العلم فيها اثر على هذه المدينة العربية الاسلامية التي قادت العلم والمعرفة في العالم العربي الاسلامي لعنة قرون •

### سر من رأى

قرر الخليفة المباسمي المعتصم بالله عام ٢٢٠هـ / ٨٣٥م الخروج من مدينة السلام بعد ان زادت مضايقات جنده الاتراك لاهل المدينة فتصاعدت الشكاوي ضدهم وحدثت صدامات عديدة اثرت على حركة الحياة في العاصمة ومعروف ان المعتصم بالله قد استخدم الاتراك عندما كان وليا للمهد واكثر منهم بعد ان بويع بالخلافة فكون منهم جيشا كبيرا اعتمد عليه ووثق به • وكانت لطبيعة الجند الاتراك وعسكريتهم أكبر الاثر في سلوكيتهم الخشنة التي لا تنسجم وطبيعة مجتمع مدينة السلام المتحضر •

اتجه الخليفة وجيشه الكبير شمالا لاتخاذ منطقة القاطول وقصر الخليفة  
هارون الرشيد هناك مكانا له ولجنده . فنزل الموضع ومكث في قصر الرشيد  
وأمر ان تنشأ الابنية والمرافق لصناعته وجيشه هناك . والموضع هذا يقع الى  
شرق دجلة جنوب مدينة سامراء العالية .

ويظهر ان الخليفة ، بعد ان استطلع المنطقة جيدا ، غير رأيه وقرر بناء  
مدينة جديدة تحمل اسمهُ وتؤدي اصحابه وتكون حاضرة للدولة العباسية .  
فوقع اختياره على موضع شمال قصر الرشيد يتميز بحصانة طبيعية حيث  
تحيط به الانهار من جميع الجهات فدجلة من الغرب والقاطول الاعلى  
( الرصاصي ) من الشمال والشرق والقائم من الجنوب . والمكان واسع خال  
تقريبا من المستوطنات ارضه خصبة ويقع وسط منطقة زراعية ذات مياه  
وافرة . المناخ طيب والارض مرتفعة عن مستوى سطح النهر وغير معرضة  
للغرق ، هذا بالاضافة الى سهولة الوصول الى المكان الجديد برا وبحرا .  
ويبعد المكان المختار عن بغداد بحوالي ١٢٠ كيلو مترا . ولاول مرة يتم  
اختيار موقع شرق دجلة بعد الرصافة لو معسكر المهدي .

حشد الخليفة المعتصم بالله جمعا غفيرا من الصناع والقلة الماهرين من  
كافة اقاليم الدولة العباسية واعتمد على المهندسين في تخطيط المدينة وابتدأ  
العمل بها عام ٢٢١هـ / ٨٣٥م . ويظهر ان الخليفة اشرك جنده وقادة جيشه  
في بناء المدينة الجديدة . فقد طلب من المهندسين ان يختاروا افضل المواقع في  
الموضع المختار لانشاء المدينة الجديدة فنسب بناء القصور فيها . وأمر ان  
يقوم اصحابه من قادة الجيش واصحاب السلطة ببناء هذه القصور . فنسب  
ان يقوم خاقان عرطوج ابو الفتح بن خاقان ببناء الجوسق الخاقاني ، وعمر بن

فرج ببناء القصر المعروف بالعمري وابن الوزير ببناء القصر الوزيري . وجاء ان الخليفة خطط القطائع للقواد والكتاب والناس وخطط المسجد الجامع واختط الاسواق حول المسجد الجامع وجعلها متسعة وجعل كل تجارة منفردة مثلما رسمت عليه اسواق مدينة السلام .

ان تخطيط مدينة المعتصم الجديدة وخططها كما اوردها يعقوبي هي استمرار متطور لتخطيط وخطط مدينة السلام ومعسكر المهدي . فكان المكان الاحسن قد خصص للقصر ويليهِ المسجد الجامع ثم الاسواق التي تحيط بالجامع وتمتد مع امتداد الشوارع الرئيسية التي تتفرع من الفضاء الذي يحيط بالجامع وتتوزع خطط الناس على جانبي الشوارع الرئيسية وتخرقها شوارع وازقة ثانوية توصل بعضها مع البعض الآخر . ان التصميم الهندسي لهذا التخطيط لا يختلف جوهرًا عن تخطيط المدن العربية الاسلامية السابقة . ولكن الاختلاف هو في عدد القصور ومواقعها وشكل المدينة . فعدد القصور في سر من رأى يتناسب مع عدد الشخصيات الكبيرة ، ولي العهد ، الامراء ، الوزير ، وقادة الجيش . فلا بد من انشاء عدة قصور لهؤلاء وكان الجوسق الخاقاني هو دار الخلافة ولا يبعد كثيرا عن المسجد الجامع . أما شكل المدينة فهو شبه مستطيل كما تظهره الصور الجوية حيث تمتد مع دجلة وتتوازي بعض هذه الشوارع مع الرصيف الذي يفصل المدينة عن النهر .

لم يفعل الخليفة المعتصم بالله القضية الاساسية التي اقام هذه المدينة بسببها الا وهي الجند الاتراك واختلاطهم بالناس . فأفرد قطائع الاتراك غير بعيدة عن قطائع الناس وجعلهم منزولين لا يختلطون بغيرهم ولا يجاورهم أحبد الا

الفراغة • وجعل قطائعهم خارج المدينة او في اطراف المدينة في كل قطعة سوق ومسجد وحمام • واورد اليعقوبي مواقع بعض هذه القطائع وذكر ان الخليفة اقطع خاقان عرطوج واصحابه مما يلي الجوسق الخاقاني وامره بضم اصحابه ومنعهم من الاختلاط بالناس • واقطع اشناس واصحابه الموضع المعروف بالكرخ وضم اليه عدداً من القواد الاتراك والرجال وامره ان يبنى المساجد والاسواق • وما زال سور قطعة اشناس قائما الى يومنا هذا يقع على يمين الشارع الاعظم بين المتوكلية وسر من رأى • واقطع الخليفة وصيفاً واصحابه مما يلي الحير وبنى حائطا سماء حائط الحير • وذكر اليعقوبي ايضا ان الخليفة اقطع قوما آخرين فوق الكرخ سماء الدور • واقطع الافشين خيذر بن كاوس الاسروشي في آخر البناء مشرقا على قدر فرسخين سماء المطيرة وضم اليه اصحابه واقطع الحسن بن سهل اخر الاسواق • واثار اليعقوبي الى مواضع الاتراك وغيرهم من غير العرب فقال وصير قطائع الاتراك جميعا والفراغة والمجم بميدة عن الاسواق والزحام في شوارع واسعة ودروب طوال ليس في قطائعهم ودورهم احد من الناس يختلط بهم من تاجر ولا غيره • امتدت هذه القطائع على مساحة واسعة من المدينة يزيد طولها على اربعين كيلو متراً • واخترقت هذه القطائع ومركز المدينة شوارع طوال عريضة مستقيمة ذكرها اليعقوبي وكان شارع السريعة او الشارع الاعظم من أشهرها فهو يمتد من المطيرة جنوبا الى الدور شمالا ويبلغ عرضه بحدود ١٠٠ متر • وتتفرع من هذا الشارع دروب تتصل بدجلة او رصيف دجلة • وهناك ايضا شارع الحير الاول الذي يبدأ من شرق المدينة ويمتد الى وادي ابراهيم بن رباح ويخترق شارع برغامش

قطائع الاتراك والفراغة ومن بين شوارع المدينة الرئيسية شارع صالح العباسي . اما رصيف نهر دجلة فيعرف بشوارع الخليج حيث تنزل البضاعة المنقولة الى سر من رأى عن طريق نهر دجلة .

والحقيقة ان خطط الناس في البداية من غير الجند كانت حول المسجد الجامع ومنطقة القصور . وكانت قطائع الاتراك والجند عامة عبارة عن ثكنات عسكرية تحيط بالمدينة وتتصل معها . وحتى هذه الصيغة تكاد تكون ترجمة فعلية لمعسكر المهدي ومدينة السلام فان وجود ثكنات الجيش خارج المدينة وجد في مدينة السلام قبل سر من رأى .

ويذكر اليعقوبي ان المدينة اتسعت بسرعة وتواصل بناء الدور واسواق المركز مع القطائع حتى اصبحت قطعة الحصن بن سهل التي كانت في طرف المدينة وسط المدينة وكانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الفسحة وشوارعها المتسعة ومسجدها الجامع وغيره من المساجد فدعيت بسر من رأى .

زاد اقبال الناس على سكن العاصمة الجديدة وازدحمت خصوصا في عهد الخليفة المتوكل على الله الذي عرف بحبه للبناء وال عمران . وقد ضاق جامع المدينة بالمصلين فأمر الخليفة بهدمه وتوسيعه وإعادة بنائه . ومازال جامع المتوكل المعروف بمآذنه الملوية قائما حتى يومنا هذا وهو اكبر المساجد الجامعة في العالم الاسلامي وسوف تفصل القول فيه في الفصل الخامس بالمساجد الجامعة .

والحقيقة ان فترة حكم الخليفة المتوكل ٢٣٣ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٩١م تعتبر ازهى ما مرت به مدينة سر من رأى فقد تول الخليفة في الهاروني واتول

اولاده الثلاثة الجوسق وبلكواره والمطيرة • وأمر الخليفة بتشييد عدد من القصور منها السندان وبلكواره والبديع والبرج والجعفري والعروين والغريب والثورق والصييح والمتاز وغيرها • وامتد البناء الى الجانب الغربي من دجلة وشيئت قصور اخرى هناك منها العاشق والمعشوق وغيره • وتم تشييد جسر يربط بين المعشوق ودار الخلافة •

الظاهران الخليفة المتوكل لم يطمئن تماما الى الجيش في سر من رأى وبسبب مشاكل قادة الجيش التركي وتدخلاتهم المستمرة في شؤون الدولة قرر المتوكل العودة الى مدينة السلام ومنها الى دمشق واراد ان يجعل منها عاصمة للدولة العباسية ولكنه غير رأيه فعاد الى سر من رأى عام ٢٤٥هـ / ٨٥٩ م • وقرر بناء مدينة جديدة في موضع يعرف بالماهوزة بين دجلة والرافقة شمال سر من رأى بحوالي ٢٠ كيلو مترا ، دعت المدينة بالجعفرية او المتوكلية نسبة الى اسم الخليفة • فشيئت القصور فيها وبنى مسجدها الجامع الذي هو نسخة مصغرة من جامع سر من رأى تقريبا • وتكشف الصور الجوية للمدينة انها كانت مغطاة بسور مربع ولان الشارع الرئيسي فيها عريض ومستقيم ويتصل بشارع السريعة أو الشارع الاعظم • واكملت المدينة عام ٢٤٧هـ / ٨٦١م فانتقل الخليفة اليها وقل دواوين الدولة ايضا • ومما يفسد انه اغتيل بعد تسعة اشهر من انتقاله الى الجعفرية • فلم يسكنها من جاء من بعده ورجعوا الى سر من رأى وظل الخلفاء يحكمون من هناك حتى عام ٢٧٩هـ / ٨٩٢م حيث قرر الخليفة المعتمد على الله العودة الى مدينة السلام فهجرت سر من رأى وتحولت وبسرعة الى خطوط من تلؤل وتكرزت الحياة

حول مرقد الامام على الهادي وقامت المدينة الجديدة على جزء من انقاض  
مدينة المعتصم .

ولمدينة سر من رأى اهمية كبيرة بين مدن العراق فهي الوحيدة التي  
ظلت آثارها شبه شاخصة وفيها اروع مسجدين جامعين وبقايا عدد من القصور  
وتكشف هذه البقايا وما تم كشفه فيها عن مدى التقدم العمراني والحضاري  
الذي كان عليه العراق في القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) .



## الفصل الثاني

# المسارات الدينية

د. عيسى سلمان حميد

كلية الآداب - جامعة بغداد

### المساجد والمساجد الجامعة

يتبوأ المسجد مكانة متميزة في حياة الشعوب الاسلامية فهو بيت الله وفيه تمارس أهم الطقوس الدينية . حث القرآن الكريم المؤمنين على تعمير بيوت الله واعتبر ذلك ترجمة فعلية للإيمان العميق ببادئ الاسلام فقال تعالى ، بسم الله الرحمن الرحيم : انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة . والمسجد لغة أسم مكان من الفعل سجد والمسجد الجامع هو الذي تقام فيه صلاة الجمعة وانطلاقاً من أهمية الدين الاسلامي واعتباره القضية المركزية عند المسلمين فقد جعل الجامع مركزاً للمدن الجديدة التي عصرت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ( رض ) فكان مركزاً لمدينة البصرة ولمدينة الكوفة وفي المنطقة المركزية من واسط ومدينة السلام وسر من رأى .

كانت بيوت الله ومازالت المكان الطاهر الذي تقام فيه الصلوات

الخمس ومنه ترتفع الاصوات بذكر الله وتذكير الانسان بما عليه وله في الحياة، ولم تقتصر وظيفة المساجد على ذلك بل كانت المكان الذي تعلن فيه سياسة الدولة وتوجيه المؤمنين وتبصيرهم بواقع الامر ومن على منابر المساجد الجامعة كانت تعلن اخطر واهم القرارات السياسية والامور المهمة مثل اعلان اسم الخليفة الجديد واسم ولي العهد وعلان الحرب او قبول الصلح وغيرها وفي المساجد الجامعة كانت تقام الاحتفالات الدينية والسياسية والاجتماعية ومنها تنطلق الجيوش لحماية استقرار البلد والدفاع عنه وفيها ايضا كانت تتم التوعية والتفقيه بمبادئ الدين الاسلامي والرد على الملحدين والخارجين والمشاغبين وصار المسجد والمسجد الجامع مدرسة لتعليم مبادئ الدين والحديث والفقه وعلوم اللغة وغيرها وكثرت حلقات التدريس فيها ومن هنا نشأت المدارس التي لعبت دورا هاما وحاسما في حياة الامة وخلاصة القول ان وظائف المسجد والمسجد الجامع كانت دينية وتعليمية وسياسية واجتماعية واقتصادية بذل المسلمون الكثير في تعميمها وصيانتها وتحليلتها بما يتناسب ومكانتها في حياة الامة .

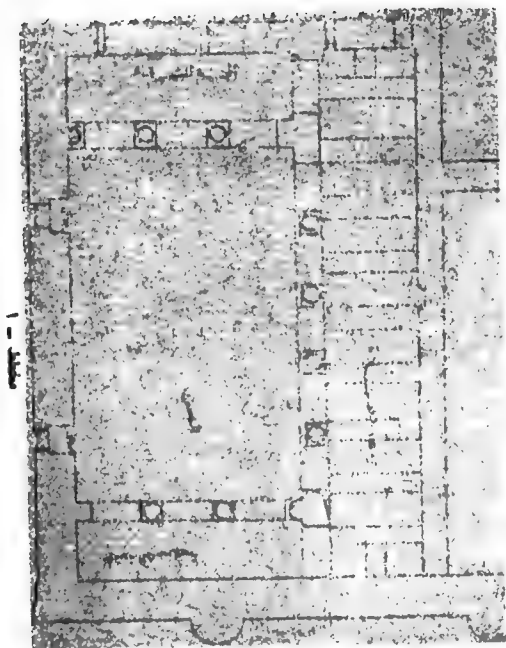
لمت الامصار العربية الاسلامية في العراق بسرعة وتطورت وتوسعت مرافقها المختلفة فانعكس ذلك على مساجدها الجامعة الاولى فجددت ووسعت عدة مرات واندثرت عندما تعرضت تلك الامصار ، البصرة والكوفة وواسط ومدينة السلام الى ويلات ومصائب وكوارث طبيعية وبشرية فزال مساجدها من الوجود ولكن قيام الجهات المعنية بتجديدها وتنقيتها في مدن البصرة والكوفة وواسط كشف عن اجزاء مهمة من تلك المساجد تخص تخطيطاتها وبعض مواد بنائها وتشكيلاتها الزخرفية وامامت اللثام عن اشكال تلك المساجد وتخطيطاتها وبعض عناصرها المعمارية

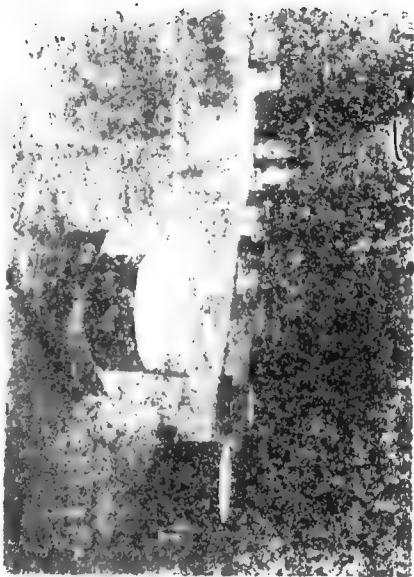
والتشكيلات الزخرفية التي كانت تزينا وزودتنا ايضا بمعلومات قيمة عن العمارة الدينية في العصور الراشدي والاموي والعباسي والتي تعكس عبقرية الامة العربية وابداعاتها في ظل الدين الاسلامي ففي تخطيطاتها وعناصرها المعمارية وتشكيلاتها الزخرفية اصالة واضحة واهتمام كبير يتناسب وعظمة الرسالة السماوية التي حملها العرب مبشرين وهادين ومعمرين للمدن وانها حقا لصورة حضارية قدمت للانسانية الكثير والله اعلم حيث يجعل رسالته .

### مسجد قصر الاخيرضر

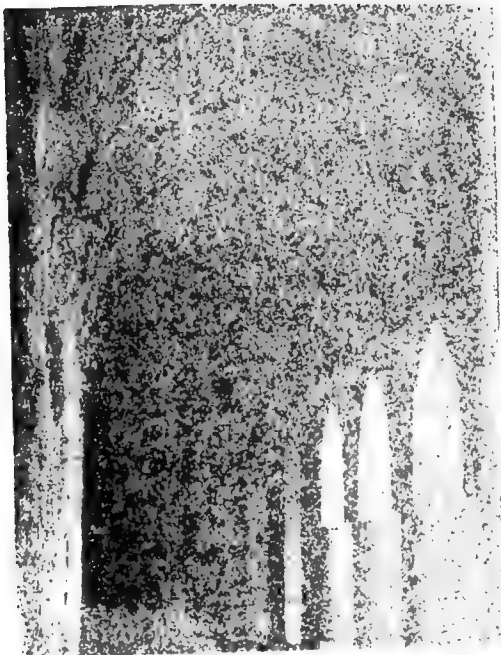
لانتصر اهمية هذا المسجد في كونه الدليل القاطع لتأكيد هوية القصر العربية الاسلامية بل تتعداها الى انه اقدم واحم المساجد الشاخسة في العراق من العصر العباسي الاول وقبل البدء في ذكره تجدر الاشارة الى ان تاريخ قصر الاخيرضر يقع في الغالب وفي ضوء التكوينات والعناصر المعمارية والاشكال الزخرفية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ( النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي ) اي في الفترة الزمنية التي عقت بناء مدينة السلام وقبل انشاء سر من رأى . ومسجد القصر صغير يشغل مساحة مستطيلة الشكل ( ٢٧×٣٣ ) مترا من الداخل ويحتل الجزء الشمالي الغربي من القصر . تهدمت سقوف مصلاه ومجنبتيه ولكن الجهات المعنية وقيل سنوات رمته وأعادت اليه شكله الاول شيدت جدرانه بحجر غير مهندم وجص وعقدت سقوفه بطابوق . ويتألف مسجد الاخيرضر من بيت للصلاة ومجنبتين شرقيه وغربية وصحن مستطيل ( مخطط ١ ) .

يتوسط المصلى محراب مجوف ذو عقد مدبب وهذا المحراب مهم جدا حيث يعتبر اقدم المحارب المعروفة في العراق اذا ملاستئينا محراب جامع





لوح - ١  
مسجد القصر قبل اكتمال اعمال الصيانة واعادة البناء



لوح - ٢

التشكيلات الزخرفية التي تزين سقف المصلى  
في مسجد القصر

الخاصكي الذي قد تصحح اولا تصحح نسبته الى جامع مدينة السلام واسكوب بيت الصلاة مستطيل وواسع نسبيا يطل على الصحن بخمس بوائك تستند اطراف عقودها على دعامات اسطوانية ذات قواعد مربعة \* وتتالف كل من المجنبتين من رواق واحد وتطل كل منهما بثلاث بوائك على الصحن وتجلس اطراف عقودها ايضا على دعامات اسطوانية ذات قواعد مربعة وسقف بيت الصلاة وكذلك المجنبتان نصف برميلي زين سقف المصلى بتشكيلات هندسية محفورة بدقة واتقان في الجص وتعتبر في الواقع من الامثلة الرائعة لاهتمام العرب المسلمين بتحلية بيوت الله وردا بالغا على الذين اتهموا العرب والمسلمين بعدم عنايتهم بالفنون وفي هذا الجزء من المسجد هناك الايداع العربي في تحويل القاعدة المربعة الى مشن ثم دائرية لتكون مناسبة لبناء قبة عليها ولكن المعمار هنا احتاج الى قاعدة لنصف قبة لتشغيل نهاية السقف النصف برميلي لبيت الصلاة فقد عالج ذلك بابتكار حنية ركنية تسهل عملية اقامة نصف قبة على مكان مستطيل ( لوح ١ ) وقد غطيت هذه التجويفة بتشكيلات هندسية لا تختلف عن تلك التي تزين السقف وعقد هذه التجويفة مدبب مثل عقد المحراب والعقد المدبب ابتكار عربي صرف وجدنا اقدم الامثلة له في قصر الاخضر في العراق اما التشكيلات الزخرفية التي تزين سقف المسجد فهندسية متنوعة ( لوح ٢ ) \*

### جامع المتوكل على الله

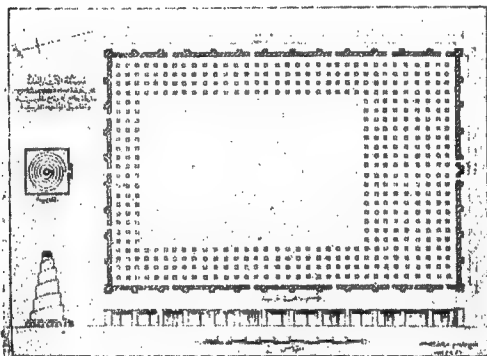
ذكرنا في بحثنا عن بناء سر من رأى ان الخليفة المعتصم بالله قد خطط مسجد المدينة الجامع في موضع يتوسط الاسواق والخطط غير متصل به وكشفت التنقيبات التي اجريت فيه والتضاوير الجوية التي اخذت للمدينة ، ان الجامع يقع على شارع السريعة ( الفوارع الاعظم ) ومتصل بدار تلاصق جدار القبلة فيه ويمكن الدخول الى هذا الدار عن طريق مدخلين على جانبي

المحراب والحقيقة ان جامع سر من رأى الحالي هو غير جامع المعتصم بالله . فمن المعروف ان الجامع الاول قد ضاق بالمصلين بعد ان اتسعت المدينة وزاد عدد سكانها زيادة كبيرة في عصر ازدهارها وزيادة العمران بها في ايام الخليفة المتوكل على الله ، المعروف بحبه للبناء والتعمير فقد أمر الخليفة بهدم الجامع الاول بهدف توسيعه واعادة بنائه ، فزاد في سعته وسور الفراغ الذي كان يحيط به فابتدأ البناء به عام ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م . وانجز عام ٢٣٧ هـ / ٨٥١ م ورغم الزيادة فقد ظل الجامع غير متصل بالاسواق وخطط الناس وامر الخليفة ايضا ان يكون البناء متقناً متميزاً بين مساجد المدينة ، فكان جامع المتوكل من ابرز معالم سر من رأى وما يزال يتبوأ مكان الصدارة من حيث السعة واتقان البناء وجمال المظهر بين جوامع العالم الاسلامي الاثيرة الشاخصة فقد قاوم عوامل التخريب البشرية والطبيعية مدة تزيد على الف ومئة عام .

وجامع المتوكل على الله مستطيل الشكل تواجه اضلاعه الاربعة الجهات الاربع تقريبا ويبلغ طول ضلعه من الشمال الى الجنوب ٢٤٨٧٠ مترا من الخارج وبدون الزيادة ومن الشرق الى الغرب ١٦٥٨٠ مترا من الخارج ايضا أما من الداخل فطوله ٢٣٨٦٠ مترا وعرضه ١٥٥٦٠ مترا وتخطيط جامع المتوكل مثل تخطيط جامع البصرة والكوفة وواسط يتألف من بيت للصلاة ومجنتين ومؤخرة تحيط بصحن مستطيل وكان في الصحن نافورة ( حوض للماء ) ذات شكل دائري تتكون من قطعة واحدة من حجر الجرانيت يقال انها جلبت من مصر ثم نقلت الى المدرسة الشراية في بغداد .

يتكون بيت الصلاة في هذا الجامع من تسعة اساكيب وخمس وعشرين بلاطة متساوية في سعتها عدا بلاطة المحراب فهي اوسع من غيرها ويبلغ عرضها ٤٢٠ متر ويطل المصلى على الصحن بتسع عشرة بالكة ، اما عمق المصلى

فيبلغ ٦٢ مترا وتتألف كل من المجنبتين الشرقية والغربية من اربعة أروقة تشتمل كل منهما على ٢٣ بلاطة اي تطل كل منها على الصحن بثلاث وعشرين بائكة وتتكون مؤخرة الجامع من ثلاثة أساكيب بخمس وعشرين بلاطة وبوائكه بعدد بوائك وبلاطات المصلى ( مخطط ٢ ) والبلاطة الوسطى بعرض بلاطة المحراب أيضا •



مخطط - ٢  
تخطيط جامع الجمعة في سر من رأى

بناء جامع المتوكل على الله متين وضخم جدا خصوصا جدرانه ومأذنته حيث قاومت عوامل التخريب وظلت شاخصة رغم ما أصابها من بعض التلف وأما سقف الجامع والدعامات التي كانت ترفعها ، فقد تهدمت تماما الا ان التنقيبات التي أجريت فيه اظهرت مواضع هذه الدعامات واسسها واستطعنا عن طريقها تخطيط هذا الجامع الضخم. شيد الجامع بطابوق وجص وفرشت أرضيته كلها بطابوق مربع صف بدقة واتقان وجدران الجامع ضخمة جدا

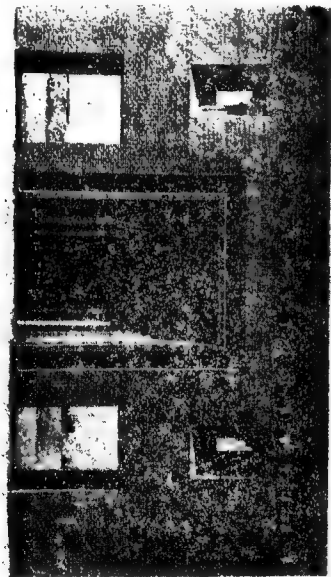
متميزة بارتفاعها الذي يبلغ احد عشر مترا ومسكها الذي يبلغ ٢٧٠ مترا بدون  
الابراج . والجدران هذه مدعمة بابراج نصف اسطوانية تجلس على قواعد  
مستطيلة عدا ابراج الاركان فهي شبه مستديرة يبلغ قطرها ٥ امتار ومجموع  
ابراج الجامع ٤٤ برجا قطرها ٣٦٠ مترا والمسافة بين كل برجين ١٤ مترا  
تدعم الجدار الشرقي ١٤ برجا ومثلها للجدار الغربي اما الشمالي فتدعمه  
ثمانية ابراج ومثلها للجنوبي ، ويمكن الدخول الى الجامع عن طريق ١٥ مدخلا،  
ثلاثة منها في الجدار الشمالي واثنان في جدار القبلة وخمسة في كل من الجدارين  
الشرقي والغربي وترتفع عقود هذه المداخل ستة امتار على مستوى ارض  
الجامع وتتوجها نوافذ ذات عقود مدببة ( لوح ٣ ) .



لوح - ٣

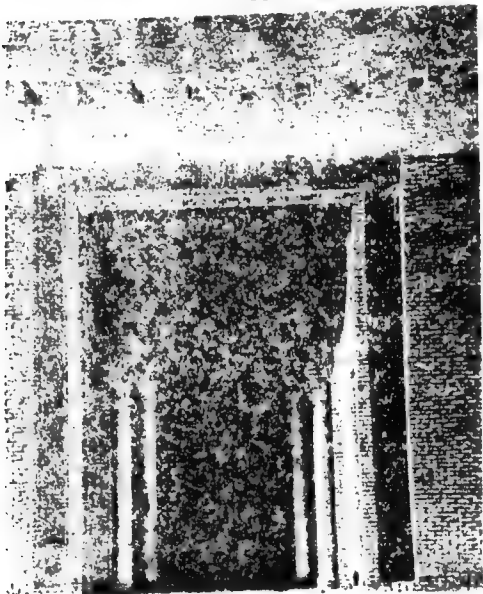
أحد جدران جامع الجمعة مع النوافذ ذات العقود  
المدببة التي تعلو أحد الابواب

واروع مافي جدار القبلة صف من نوافذ صغيرة عددها اربع وعشرون  
وتتفتح كل واحدة منها على احدى بلاطات بيت الصلاة عدا بلاطة المحراب  
فهي بدون نافذة ( لوح ٤ ) ومما لا ريب فيه ان وظيفة هذه النوافذ هي  
ادخال النور والهواء الى المصلى وجعلت على ارتفاع معين اقرب الى السقف  
منه ارضية الجامع وهذا النوافذ مستطيلة الشكل من الخارج منحدره الى  
الداخل وذات اقواس مفصصة ترتكز اطرافه على اعمدة آجرية شبه اسطوانية



النافذة - ٤  
نوافذ من جدار القبلة

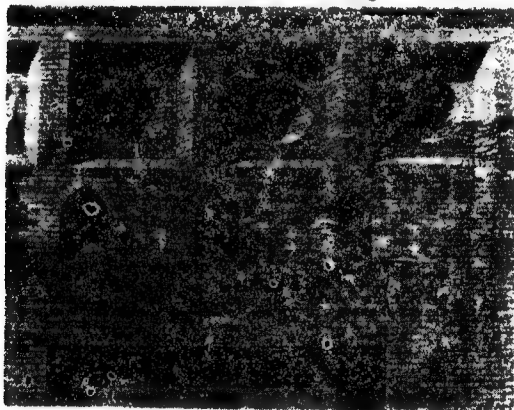
مندمجة اطرافها وهذه التشكيلة تزيد في جمال جدار القبلة الذي يتوسطه محراب ضخم ذو حنيه مجوفه مزدوجة المقود وستند اطراف عقوده على اعمدة رخامية اسطوانية رشيقة وهذا المحراب جديد قامت ببنائه هيئة صيانة الجامع ( لوح ٥ ) وتذكر كتب التاريخ ان جدار القبا في جامع المتوكل كان مغطى من الداخل بتشكيلات زخرفية رائعة .



لوح - ٥  
محراب جامع الجمعة

ولم تقتصر تشكيلات الزينة والتخلية على جدار القبلة او المصلى حسب بل امتدت الى أجزاء أخرى من هذا الجامع الكبير فقد زينت هامات الجدران من الخارج بسلسلة من دوائر مقعرة داخل شكل رباعي وتظهر هذه المقعرات وكأنها اكليل يحيط بالجامع وعددها ست بين كل برجين وقطرها متر واحد (لوح ٦) ويحتمل ان لجدران هذه المقعرات وظيفة أخرى هي تخفيف شدة ضغط الرياح على جدران الجامع الطويلة والمرتفعة • ولطهر ان دعائم الجامع ثمانية ومربعة الشكل تجلس على قواعد مربعة وكانت كل دعامة مزينة بربع اعمدة رخامية •

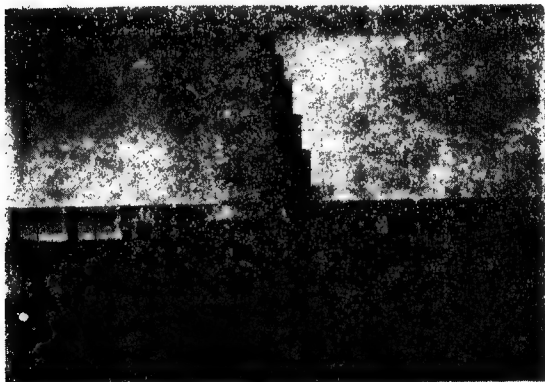
يتميز جامع المتوكل بمأذنة الملوية وهي اقدم واحم مأذن العراق الاثنية القائمة • ومأذنة جامع المتوكل فريدة بين مأذن العالم الاسلامي وتقع خارج



لوح - ٦

بعض الدوائر المقعرة التي زين هامات جدران الجامع

الجامع بمسافة ٢٧,٢٠ مترا عن الجدار الشمالي للجامع وتقع على الخط المحوري لمحراب الجامع. بدن الماذنة حلزوني يجلس على مصطبة مربعة الشكل ذات طيقتين طول السفلى منهما ٣١,٨٠ مترا والعليا ٣٠,٥٠ مترا وترتفع هذه المصطبة ٤,٢٠ مترا من مستوى وجه الأرض وتزينها حنايا ذات عقود مدببة عددها تسع في كل ضلع عدا الوجه الجنوبي فتشمله سبع فقط ، اذ تغطي جزء منه نهاية السلم المنحدر الذي يؤدي الى القاعدة ، وبدن الماذنة اسطواني الشكل يدور حوله سلم حلزوني ، يدور باتجاه معاكس لاتجاه عقارب الساعة ويخترق في قسمها العلوي ، الاسطوانة الاخيرة في البدن وينتهي بقمة الماذنة التي يبلغ قطرها ثلاثة امتار واروع ما في القسم العلوي من هذه الماذنة هو صف من المشاكبي المحرابية ، وعددها ثمان ، تتوج البدن وترتكز عقودها على اعمدة آجرية شبه اسطوانية مندمجة ( لوح ٧ ) .



لوح - ٧

ماذنة جامع الجمعة الكبير في سر من رأى ( المويدة )

ويبلغ ارتفاع هذه المئذنة نحو خمسين مترا عدا القاعدة ،تظل الملوية فريدة في طرازها بين مآذن جوامع العالم الاسلامي الاثرية والحديثة ورغم محاولات عديدة في نسبة شكلها الى حضارات سابقة الا ان تلك المحاولات لم تكن موفقة والحقيقة ان تصميمها ابتكار عربي صرف ويضم جامع المتوكل عناصر معمارية اخرى جديدة منها الاقواس المقصصة والمقرنات والحنايا المحراية التي ابدعها المعمار العربي المسلم وحقق فيها نجاحات مع استخداماتها .

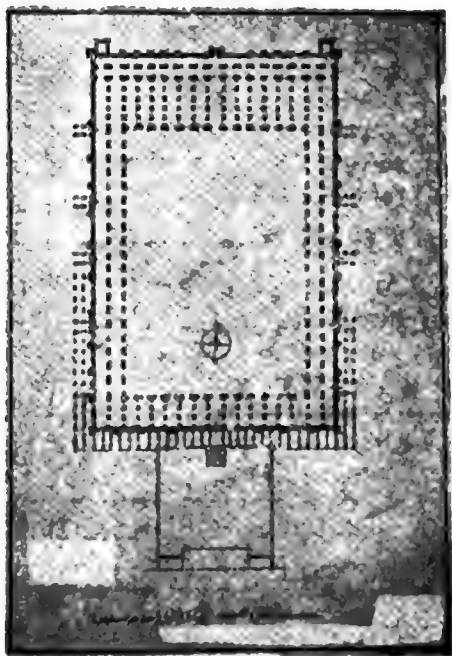
وجامع المتوكل مثل مسجد الاخضر زينت جدرانه بتشكيلات زخرفية هندسية ناتجة عن التفتن في صف الطابوق ودمج الاعمدة فهي تختلف في تقنياتها عن تشكيلات مسجد الاخضر التي حفرت على الجص وما يؤسف له ان التشكيلات التي كانت تزين بيت الصلاة قد تلفت ولم نعرف عنها شيئا .

### جامع ابي دلف

اراد الخليفة المتوكل على الله بجامع المتوكلية ( الجعفرية ) ان يكون مثل جامعته في سر من رأى من حيث الشكل والمآذنة ويظهر ان تسميته بجامع ابي دلف متأخرة فالمعروف ان ابا دلف كان زعيما مقداما وقالدا فذا قربه الخليفة هارون الرشيد واعتمد عليه المأمون وكان احد القادة الكبار لجيشه . توفي في بغداد سنة ٢٢٦هـ / ٨٤١م . يقع الجامع في القسم الشمالي الشرقي من الجعفرية غير بعيد عن قصور الخليفة والامراء واصحاب السلطة ، والجامع مستطيل الشكل ، اصغر مساحة من جامع سرمن رأى وشيدت جدرانه الخارجية بلبن وطين ، مثل معظم ابنية المتوكلية . اما دعاماته واقواسه ومآذنته فشيدت بالطابوق والجص . تهدمت الجدران الخارجية وظلت اغلب الاجزاء المشيدة بالطابوق والجص في حالة

جيدة ، مما سهل مهمة الجهة المعنية لترميم وصيانة هذه الاجزاء منه ويقوم اليوم الى يمين الطريق بين سامراء والدور ويبعد عن سامراء بحدود ٢٠ كيلو مترا ، وجامع ابي دلف مثل جامع سرمن رأى محاط بزيادة يقع فيها الدار المحقة به والملاصقة لجدار القبلة ومأذنته الملوينة في الجهة المقابلة وهو مستطيل الشكل ، ابعاد اضلاعه من الشمال الى الجنوب ٢٢٢ر٨٠ مترا ومن الشرق الى الغرب ١٣٨ر٢٤ مترا من الداخل ويتكون من مصلى ومجنبتين ومؤخرة (مخطط ٢) ويتألف بيت الصلاة فيه من سبعة اساكيب وسبع عشرة بلاطة ويطل على الصحن ثلاث عشرة بائكة اما عمق المصلى فيبلغ ٤٠ مترا وتتميز بلاطة المحراب فيه بسعتها كما هو الحال في جامع سر من رأى وهي هنا ٧ر٣٠ مترا . ويتصف ايضا بسعة الاسكوب الاول والثاني فيه من جهة جدار القبلة وتتكون كل من المجنبتين من رواقين بتسع عشرة بلاطة تفتح كل منها على الصحن بتسع عشرة بائكة اما المؤخرة فتتألف من ثلاثة اساكيب بسبع عشرة بلاطة توازي اساكيب بيت الصلاة وتناظرها . وصحن الجامع مستطيل ابعاده ١٥٥ر٧٥ طولا و ١٠٤ر٦٠ عرضا .

تهدمت جدران الجامع بفعل العوامل الطبيعية ولكن التنقيبات التي اجريت فيه كشفت عن تفاصيل ابعادها وابعاجها وقواعد تلك الابراج فالجدران سميكة مرتفعة ، تدعمها ابراج نصف اسطوانية عددها ٤٢ برجاً ، تجلس على قواعد مستطيلة مشيدة بالطابوق والجص ، عدا ابراج الاركان فانها شبه مستديرة وتجلس على قواعد مربعة وتوزع الابراج متناظر وتبلغ المسافة بين كل برجين ما بين ١٤ الى ١٥ مترا . وتتناظر الابراج في الجدارين الشرقي والغربي اما الجنوبي ( اي جدار القبلة ) فعدد ابراجه عشرة وعدد ابراج الضلع الشمالي ثمانية فقط وللجامع ثمانية عشر بابا ، ثلاثة منها في جدار



٢ - الحديقة

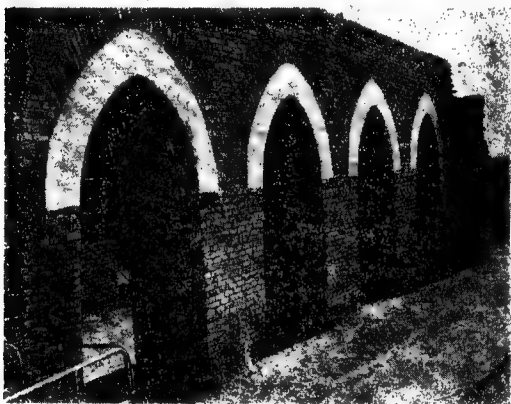
القبلة ومثلها في الجدار الشمالي وستة ابواب في كل من الجدارين الشرقي والغربي . محراب الجامع فريد في تكوينه ، فقد كشفت التنقيبات عن وجود محرابين احدهما يتقدم الآخر ( لوح ٨ ) ويتألف المحراب من تجويف مستطيلة



لوح - ٨  
محراب جامع ابي دلف

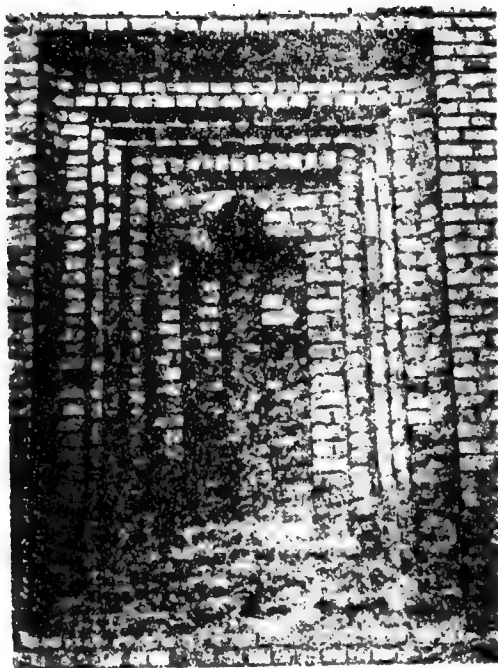
يحيط بها زوجان من اعمدة شبه اسطوانية مدمجة ويجاور المحراب بقايا المنبر الى يمينه ، ولهذا المنبر اهمية كبيرة فهو اقدم المنابر المعروفة ليس في العراق حسب بل في العالم العربي والاسلامي . يتميز جامع ابي دلف ببقاء دعامات مصلاه ومجنيبيه ومؤخرته وعقودها ويعود ذلك الى نوع المادة البنائية التي شيدت بها . والدعامات مستطيلة الشكل ضخمة ترتكز عليها اطراف العقود التي كانت تحمل سقف الجامع وعقوده مذبذبة منفوخة عمودية في اتجاهها

مثل قواعدها ، على جدار القبلة ( لوح ٩ ) والجدار الشمالي موازية للجدارين الشرقي والغربي اما عقود بوائك المصلى والمؤخرة المطلة على الصحن فهي موازية لجدار القبلة • وهناك وضعية خاصة في ترتيب عقود بيت الصلاة حيث الاسكوب الخامس نحو جدار القبلة بمقود موازية لجدار القبلة ، وكانت جدران جامع ابي دلف مكسوة بالجبص من الداخل والخارج واهتم المعمار بتزيين واجهات البوائك المطلة على الصحن بمشاكبي غائرة متدرجة، عقود بعضها مقصوفة وبعضها الاخر ثلاثية القصوص • واستخدم المعمار هنا شكل



لوح - ٩  
بعض عقود مصلى الجامع ( بمد الصيانة )  
العمودية على جدار القبلة

المحراب وهذه الصيغة ابتكار عربي صرف حيث استخدمت اشكال العناصر المعمارية كوحدة زخرفية في العمارات الدينية والمدنية ( لوح ١٠ ) •

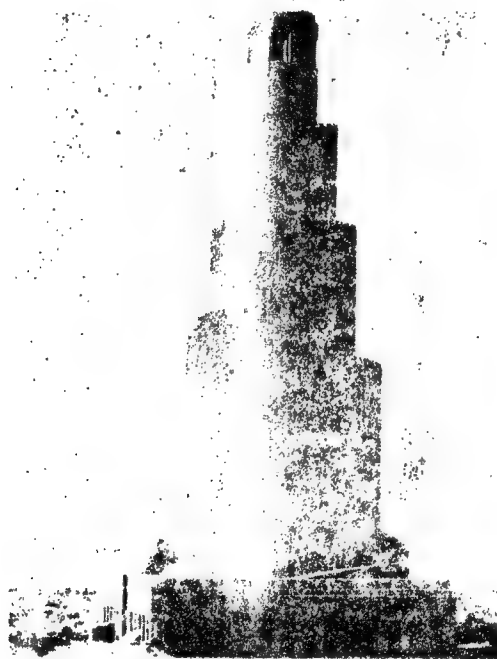


لوح - ١٠

أعلى الشاكي التي تزين جدران الجامع المطلة على الصحن

وماذة جامع أبي دلف حلزونية تجلس على قاعدة مربعة زيت واجاتها

بتجويفات محورية عددها ١٣ في كل من الوجه الشمالي والشرقي والغربي  
وشرة في الوجه الجنوبي ( لوح ١١ ) - حيث يشغل انكسار السلم جزء من



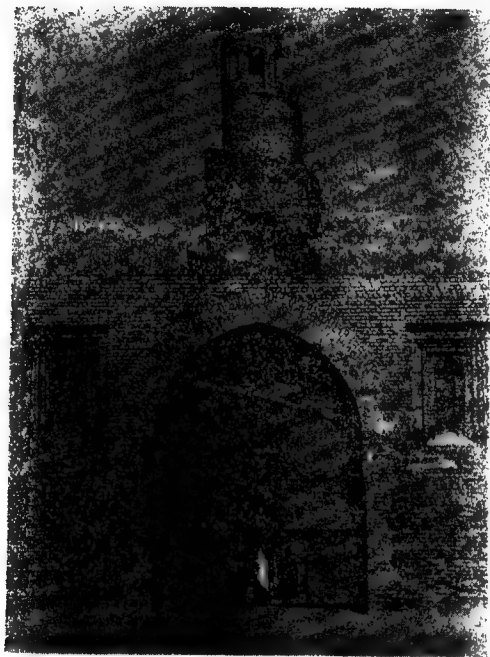
لوح - ١١

مقطع المخطط الممرية التي تسمى أحلى، واجهة المائدة الجنية

وسط هذه الواجهة والمآذنة غير متصلة بجدار الجامع الشمالي بل تقع على الخط المحوري لمحراب الجامع يتألف بدن المآذنة من أربع أسطوانات متدرجة في السعة يدور حولها السلم اما ارتفاعها فهو بحدود ٢٠ مترا بدون القاعدة وزينت قمة المآذنة بحنائيا محرابية على نمط محراب الجامع (لوح ١٢) والحقيقة ان الاسطوانة الرابعة من هذه المآذنة جديدة فقد تهدمت الاصلية منها وقامت الجهة المعنية باعادة بنائها على نمط ملوثة سامراء \* وفي جامع ابي دلف من العناصر المعمارية الجديدة القوس المدب المنفوخ وقد جعل كذلك لمعالجة سعة الاساكيب والاروقة \* وبرز محراب الجامع عن مستوى وجه جدار القبلة من الخارج وهذه ظاهرة جديدة ايضا اما بقية العناصر فان امثلتها الاولى نجدها في جامع سر من راي \*

مآذن عنه ، سنجار ، اربيل ، داقوق ، اليوسفية

العكست اثار التسلط الاجنبي البويهي والسلجوقي في العراق ، خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين على حركة البناء والعمران بصورة مباشرة ، فلم تذكر المصادر الادبية اخبار بناء عمارات دينية او مدنية مهمة في اي من مدن المشرق ولم نعرف منها غير دار السلطنة في بغداد والتي بنيت لتكون مقرا للمتسلطين الاجانب او من يمثلهم في العاصمة والتي امر بهدمها الخليفة الشجاع الناصر لدين الله ردأ على طلب من السلطان السلجوقي الذي كان يقيم في ايران فأمر بها وقال مقولته المشهورة التي عبر بها عن مدى كرهه للتسلط الاجنبي بعد أن قضى على كل ما له علاقة به فقال : ليس لنا حاجة ان تكون عندنا آثار الاعاجم \* تصاعدت حركة العمران والبناء بعد أن تحرر العراق من التسلط الاجنبي وتعتبر الفترة الزمنية ما بين السلاجقة وسقوط بغداد من الفترات المهمة حضاريا وسياسيا وعمرانيا في تاريخ العراق \*



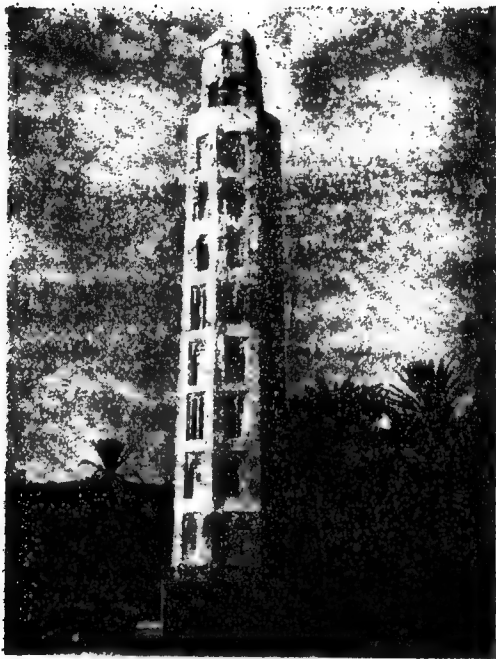
لوح - ١٢

حنايا محرابية تزين قبة ماذنة جامع ابي دلف

فقد بلغ التقدم الحضاري والعمراني الاوج وظلت اثار تلك الفترة تحكي هذا الازدهار والتقدم فالعبارات الدينية كثيرة ومتنوعة في اغلب مدن العراق. والشاخص منها رائع يتشثل في عدد من المآذن الجميلة وعدد من المساجد والمساجد الجامعة المتبيزة ومنها مأذنة عنه وسنجرار واربيل وداقوق واليوسفية والشيخ معروف ومساجد النوري والمجاهدي وقبرية والخفافين .

#### مأذنة عنه

يهد المسجد الذي انشئت له هذه المأذنة وتحول الى ركام ولكن المؤسسة العامة للآثار استطاعت تحري الموقع وكشفت عن بقايا جدرانها ورست صورة تخطيطية له ويظهر ان المأذنة قاومت عوامل التخريب وذات لتروي لنا صورة ماكانت عليه عبارة المآذن آنذاك وتقوم هذه المأذنة في جزيرة القلعة التي تتوسط الفرات قبالة مدينة عنه . وتتميز هذه المأذنة بشكلها المشن المنشوري والحقيقة ان اعمال ترميم وصيانة قد اجريت لها عام ١٩٣٤ م ( لوح ١٣ ) وفاعذتها مربعة ، بدنها مشن ورقبتها مشنة ايضا ورشيقة يبلغ ارتفاعها من مسنوى سطح الارض ٢٧ مترا يخترق بدنها سلم حلزونسي يؤدي الى حوضها وشيدت هذه المأذنة بحجر غير مهندم وجص وطلبت بالجص وبدن هذه المأذنة مقسم عرضيا الى ثمانية اقسام يشغل كل وجه من الوجوه الثمانية في الاقسام الثمانية مسكاة او نافذة مرتبة فردية وزوجية بالتناوب ، عقودها مفصصة وتد هذه التشكيلة الى الرقبة وتتميز عقود مشاكي الرقبة بكونها مدببة في سف ونصف دائرية في الصنف الاخر ، اما تاريخ انشاء هذه المأذنة فغير معروف فلم تذكره المصادر التاريخية وليس فيها وفي مسجدها كتابة تذكارية تشير الى تاريخها واعتدادا على عناصرها المعمارية ومقارنتها بالعناصر المتساربة في مشهدى محمد الدري في الدور والاربعين في تكريت يسكن ان تنسب الى الربع الاخير من القرن الخامس الهجري ( الحادي عشر الميلادي ) .



لوح - ١٢  
آلة عانة.

## • مأذنة سنجار

تقوم هذه المأذنة في جنوب غربي مدينة سنجار وتدعى المحلة التي تتوسطها بمحلة المنارة. وهذه المأذنة كمأذنة عنه يتيمة فقد تهدم جامعها وسقط جزء كبير من بدنها ورغم ذلك فهي مهمة جدا حيث تعمل تاريخ بنائها ، ومكسوة بشوب من التشكيلات الزخرفية المتقنة . شيدة بالطابوق والجص ويرتفع ما تبقى منها بحدود ١٢ مترا يرتكز بدنها الاسطواني الرشيق على قاعدة مثمثة نزين وجوه ست منها حنايا محرابية ذات عقود مدببة ومن صفين ( لوح ١٤ ) وشملت الحنايا هذه بتشكيلات زخرفية رائعة ويتوج القاعدة شريط من كتابة تذكارية هي الاولى من نوعها في مآذن العراق والكتابة يخط الثلث تقرأ ( بسم الله الرحمن الرحيم تطوع بعمارته ) اي المسجد ( العبد الفقير ..... ابن زكي الله اقسقر في شهر محرم سنة ٥٥٩ ) ويظهر ان اسم من بني الجامع قد ائلف عمداً ولكن تدقيق الاخبار يكشف ان من كان يحكم سنجار هو قطب الدين مسعود بن مودود الذي ظل يحكم سنجار حتى عام ٥٩٥هـ / ١١٩٩م . يتوج القاعدة حوض يستند قاعدته على حنايا ذات عقود مدببة بارزة الى امام . والحقيقة ان هذه الحنايا هي البداية لمنصر عماري مهم من ابتكار العرب المسلمين وهو المقرنصات التي تطورت خلال القرن الثالث عشر الميلادي وتنوع اشكالها واغراضها . كانت في البداية تهدف الى تهيئة قاعدة يستند عليها حوض المأذنة . أما بدن المأذنة فاسطواني يغترقه سلم حلزوني يؤدي الى قمته وتعتبر هذه المأذنة اقدم مآذن العراق ذات البدن الاسطواني وبذلك المعمار جهودا واضحة في تحلية البدن بالشرطة من تشكيلات زخرفية جميلة ناتجة من التنفن في صف الطابوق وقطعه باشكال هندسية جميلة والباقي من هذه الاشرطة

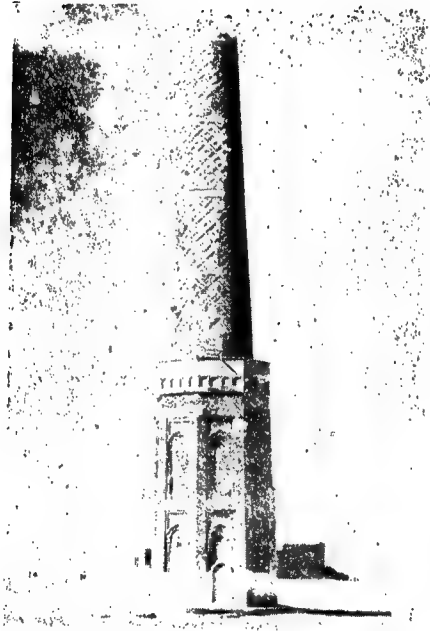


لوح - ١٢  
مالانہ سنجار

اثنا فقط وتجدر الإشارة هنا الى ان الحصول على تشكيلات زخرفية هندسية من التفنن في صف الطابوق هو ابتكار عربي صرف غير معروف قبل ظهور الاسلام .

### مأذنة اربيل

تذكر كتب التاريخ ان حاكم اربيل الاتابلي مظفر الدين كوكبري ( ٥٨٠ - ٦٣٠ هـ / ١١٥٥ - ١٢٣٣ م ) قد امر ببناء جامع كبير في اربيل يخلد اسمه ويفاهي المساجد الجامعة في المدن العراقية الاخرى . تهدم جامع اربيل ، مثل جامع سنجار ونظمت المأذنة التي سقطت قسمها العلوي ولا يعرف بالضبط تاريخ سقوط قسمها العلوي او انهدام الجامع . واليوم تقوم المظفرية ، كما تدعى ، في منطقة خالية من العمران وقامت تبيل سنوات الجبهة لمعنية بصيانتها وتحري موقع الجامع وظهر ان المأذنة تقوم في الركن الشمالي الشرقي منه ، بنيت المأذنة بالطابوق والجص وكذلك القاعدة عدا القسم الاسفل منها فقد شيد بالحجر والجص . قاعدة المأذنة مشنة الشكل ومرتعة مثل قاعدة مأذنة سنجار يبلغ ارتفاعها ستة امتار ، ويشغل ستة وجوه منها حنايا متراصة ذات عقود مدببة ومزخرف داخلها بتشكيلات زخرفية جميلة ومسا لاشات فيه ان الوجهين غير المحلين بحنايا كانا مكان اتصال المأذنة بجدار الجامع ويقتصر ذلك على الصف الاسفل من حنايا فقط ويذوق القائده شريط ضيق نسبيا يعلوه شريط اخر محلى بصف من الحنايا ويحتمل جدا ان الشريط الاول كان ملووا بكتابات تذكارية ، بد المظفرية رشيق نسبيا ( لوح ١٥ ) سقط القسم العلوي منه ولكن ما بقي يعكس مقدار الجهود التي بذلت لبناء وتزيين هذه المأذنة ويبلغ ارتفاع ما تبقى منه ١٤ مترا وكسي البدن بتشكيلات زخرفية تتألف من اربعة اشربة تفصلها انطقة ضيقة والتشكيلات هذه ناتجة عن التفنن في صف الطابوق ،



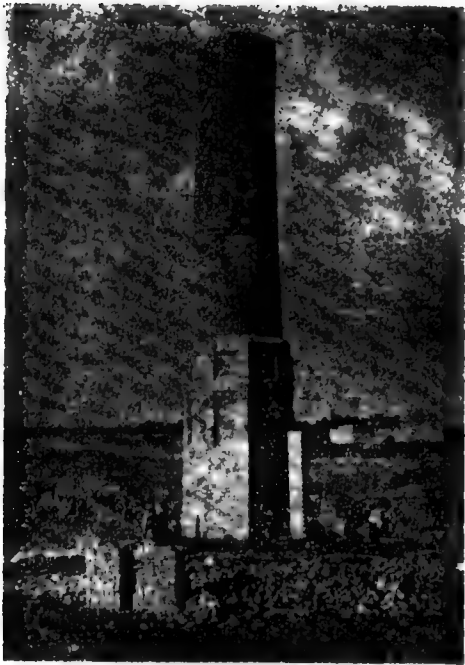
لوح - ١٥  
مآذنة ارييل

المؤدي الى اشكال هندسية متنوعة وعلى مستويات مختلفة وبالإضافة الى هذه التشكيلات زينت هذه المأذنة بتشكيلات أخرى ناتجة عن قص الطابوق لتكوين تشكيلات متنوعة وقد استخدم لهذا الغرض طابوق مزيج بلون شذري استخدم في تشكيلات الحنايا التي تزين القاعدة وتتميز المظفرية بوجود سلمين حلزوين يدوران في داخلها ولا يلتقيان الا في القمة يبدأ السلم الاول في القاعدة والثاني يبدأ من بداية البدن وهذه الحالة نجدها في مأذنة جامع النوري في الموصل ومئارة جامع الخلفاء في بغداد .

#### مأذنة داقوق

تتوسط هذه المأذنة اطلال مدينة داقوق الاثرية الواقعة على يسار الطريق العام الذي يربط الخالص وكركوك . ومثل مأذنة سنجار وارييل سقط قسم من بدنها وتهدم الجامع الذي انشئت له . وقيل سنوات قامت الجهة المعنية بصيانة وترميم ما بقي من هذه المأذنة . لم تذكر كتب التاريخ او كتب السير تاريخ بناء هذه المأذنة او من امر ببناء الجامع . ولكن المقارنة الدقيقة بينها وبين مئذنتي سنجار وارييل تكشف مطابقات في الشكل والتكوين المعماري والتشكيلات الزخرفية وفي ضوء ذلك يحتمل جدا ان بناء هذه المأذنة كان في نهاية القرن السادس او الربع الاول من القرن السابع الهجري وقد يكون مظفر الدين كزكبري هو الذي امر ببنائها ، حيث كانت مدينة داقوق خاضعة لسلطته .

المأذنة مشيدة بالطابوق والجص يقوم بدنها الاسطواني ( لوح ١٦ ) على قاعدة مئنة مرتفعة نسبيا ومحلاة بصفين من حنايا مجرانية والبدن محلى بتشكيلات زخرفية هندسية ناتجة عن التفتن في صف الطابوق، وما بقي منها لاربعة اشربة تفصلها انقطة ذات نقشات متميزة ويؤدي الى قمة المئذنة سلم



لوحة - ١٦  
ملانة داتوق

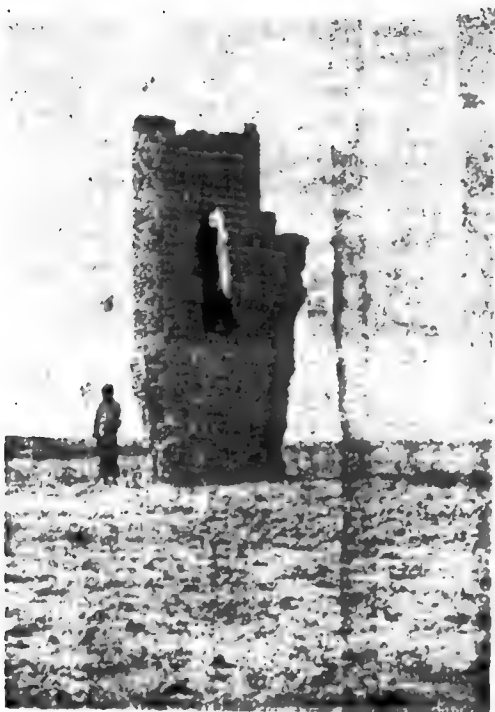
حلزوني يبدأ من قمة القاعدة ويخترق البدن باتجاه معاكس لاتجاه عقرب الساعة  
ويبلغ ارتفاع المأذنة ٢٣ متراً ، خمسة أرواق من القاعدية والبقية للبدن .

### مأذنة اليوسفية ( المكيطيمة )

سقط القسم العلوي من هذه المأذنة من عتباتها هذا الانسحاب كما  
تهدم مسجدها أيضاً ، وقد شيدها بالطابقين ، الجدران يبلغ ارتفاعها ما يقرب من  
١٤ متراً ، قاعدتها مخمسة وبدنها اسطوانتي والنافذة حالية من الترسيمات  
الزخرفية يخترق بدنها سلم حلزوني يبدأ من عند قاعدة البدن في الوسط  
يمحلى بتشكيلات زخرفية بطلايق ناتجة من الترسيم في الطابقين ، الم  
تقتصر الزخرفة على هذه الطريقة بل استخدام النور على الطابقين من اجل  
الحصول على اشكال جديدة والدرج المربع طابع له في فن العصر على  
الطابق وبلغ النورة في تشكيلات المنوعة المربعة والاشكال الزخرفية  
واعتمادا على شكل هذه المأذنة وتربع الترسيم في النورة التي تميزها عن  
المحتمل انها بنيت خلال الربع الأخير من القرن الثاني الهجري ، انتم  
الثاني عشر الميلادي ( لوح ١٧ )

### جامع النوري

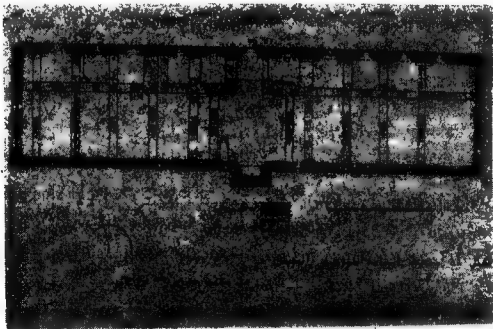
يتوسط هذا الجامع مدينة الموصل تقريبا وتندى النجاة التي تقوم فيها بمحلة  
الجامع الكبير . واشتهر الجامع الزينبي بمأذنته المربعة التي ارتفاعها ١٠٠ متر  
الموصل وبلغت شهرتها على شهرة الجامع قديما ، ويرى ان المأذنة المربعة في  
نور الدين محمود بن زنكي ، من الدولة الزنكية في الموصل  
وسمي باسمه ابتداء البناء به عام ٥٦٦/١١٧١ م واكتمل عام ٥٦٨/١١٧٣ م  
ويكشف هذا الجامع عن مقدار الحديد الكبير المنجز الذي بآل في بناءه  
وتحليته . ويظهر ان المؤسس اراد له ان يصابى جميع اعمام العراق ، ثم قهرها



لوح - ١٧  
مآذنة اليوسفية ( المكيطمة )

مظها وقوة ويتميز عليها بمآذنته الشامخة المكسوة بآحق التشكيلات الزخرفية واجملها ، فكان له ما اراد فجامع النورى جديد في تخطيطه وشكله وتصميمه وروعة التشكيلات الزخرفية التي نقشت في محرابه وجدران بيت الصلاة ومآذنته الشامخة .

يشغل جامع النورى مساحة أرض شبه منحرفة سعتها ٧١٠٠ متر مربع ، شيد بطابوق وجص ، وبناءه متين وجدرانه ضخمة مطلية بالجص من الداخل والخارج ، يتألف الجامع من مصلى مستطيل الشكل يشغل الجزء الجنوبي الغربي من البناء ، ابعاده من الداخل ٢٠ مترا من الشمال الى الجنوب و ٧١٥ مترا من الشرق الى الغرب ، وصحنه واسع ومآذنته تشغل الركن الشمالي الشرقي من الجامع يتكون بيت الصلاة فيه من ثلاثة اساكيب للقسم المعلق واسكوب واحد للقسم الذي يفتح على الصحن ببوائك ، ويبلغ عدد بلاطات المصلى اثنتى عشرة بلاطة ( مخطط ٣ ) وترفع سقوفه



مخطط - ٣

تخطيط جامع النورى في الموصل

دعامات ضخمة تحبل عقودا مديدة مطولة ، وجعلت عقود المصلى موازية لجدار القبلة وربت بلاطة المحراب بشكل خاص لتسهيل إقامة قبة على مساحة مربعة هي عرض بلاطتين . والحقيقة ان تخطيط هذا الجامع فريد اذا ما قورن بتخطيطات جوامع البصرة ، الكوفة ، واسط ، المتوكل وابي دلف ومسجد الاخضر فجامع النوري خال من مجنبتين ومؤخرة . وبيت الصلاة فيه يتألف من قسمين قسم شتوي مغلق يتصل بالقسم الصيفي بباب يقع على الخط المحوري للمحراب الذي يتوسط جدار القبلة والقسم الصيفي من المصلى يفتح على الصحن ببوائك ترتكز عقودها المديدة المنفوخة على اعمدة اسطوانية رشيقة ( لوح ١٨ ) وما لارب فيه ان هذا التصميم والتخطيط لمصلى الجامع قد اقتضته الظروف المناخية في الموصل فمعروف ان مناخ المدينة بارد قارس شتاء حار جاف صيفا . وهذا يتطلب مكان مغلق في الشتاء واخر مفتوح لإقامة الصلاة في الصيف ولم تقتصر وظيفة الجامع على إقامة الصلاة فحسب بل كانت تقام فيه حلقات الدرس والتعليم ايضا .

والحقيقة ان العنصر المعماري لهذه الظاهرة او بداياتها نجدها في مسجد القلعة في عنه ومسجد عمارة الاربعين في تكريت واللذين ينسبان الى نهاية القرن الخامس الهجري ، اذ ان مناخ هاتين البلدين في الواقع لا يختلف عن مناخ الموصل .

ويتميز مصلى جامع النوري بقبته ومحرابه والتشكيلات الزخرفية التي تزين جدرانه من الداخل ويحتمل جدا ان التعميرات والترميمات التي اجريت في المصلى لم تغير شكله بل اقتصر على اعادة بناء ما تهدم منه وترميم الايل للسقوط فقط ، جاء ان حاكم المدينة الذي حكم ما بين ٨٧١ و ٨٨٢ هـ ١٤٦٦ - ١٤٧٧ م ، أمر بتعمير القسم الايمن من المصلى وان تعميرات اخرى اجريت ما بين ١٢٨١ و ١٢٨٦ هـ ( ١٨٥٩ - ١٨٦٤ م ) وقامت مديرية الآثار

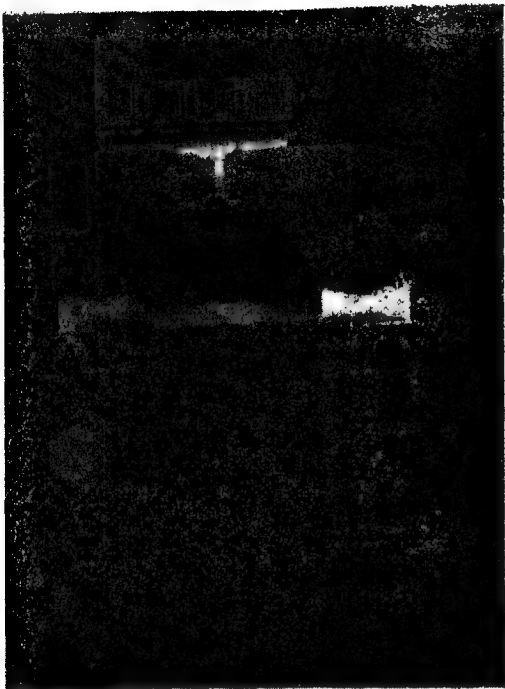


لوح - ١٨  
جزء من مصلح منار النوري السيفي  
والاعمدة التي ترشح بتوده

العام ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٤ م بصيانة الجامع ونقل محرابه والوواح من  
الزخارف التي كانت تزين جدرانه الى بغداد وهي الان معروضة في المتحف  
العراقي .

قبة الجامع مرتفعة نسبيا وتقوم على مربع يتقدم المحراب وهي مزدوجة  
نصف كروية من الداخل تجلس على رقبة اسطوانية ومخروطة مضلعة من  
الخارج ويحتمل جدا ان لهذه القبة وظيفة تكمل وظيفة المحراب ، فمن المعروف  
ان المحراب المحجوف يساعد على تقوية ونشر صوت الامام ويلاحظ في محراب  
جامع النوري الاصلي ان تجويفته غير عميقة مثل تجويف محراب جامع المتوكل والبي  
دلف فالقبة هنا تكمل وظيفة المحراب في تقوية ونشر صوت الامام ولم نجد  
مثل هذه القبة في المساجد السابقة .

يتوسط محراب الجامع جدار القبلة ويتصف بأنه قطعة واحدة من رخام  
أزرق حفرت عليه الزخارف المتنوعة والكتابات التذكارية بدقة وإبداع فحنيته  
غير عميقة ويستند عقده المذهب على عمودين مندمجين ويؤطر المحراب شريط  
يرسم مستطيلاً حوله والشريط مزين بكتابات من آيات قرآنية وتذكارية تذكر  
تاريخ عمل المحراب واسم صانعه ونقشت الكتابات بخط كوفي مورق على  
ارضية من الزخارف النباتية ويكشف لنا تاريخ عمله وهو ٥٤٣ هـ (١١٤٨م) ان  
هذا المحراب منقول من جامع أقدم من جامع النوري ويحتمل انه كان في  
الجامع الاموي في الموصل . اما محراب الجامع فمعمول من عدة قطع من  
الرّخام ( لوح ١٩ ) جميل التكوين رائع التشكيلات الزخرفية المنقوشة  
بعمق وإتقان والمتألّفة من اشكال نباتية وهندسية وحنايا محرابية والحقيقة ان  
هذه التشكيلات المحفورة على الرخام تمثل قمة ما وصل اليه فن الرقش العربي  
وهذا المحراب معروض الان في احدى قاعات المتحف العراقي .

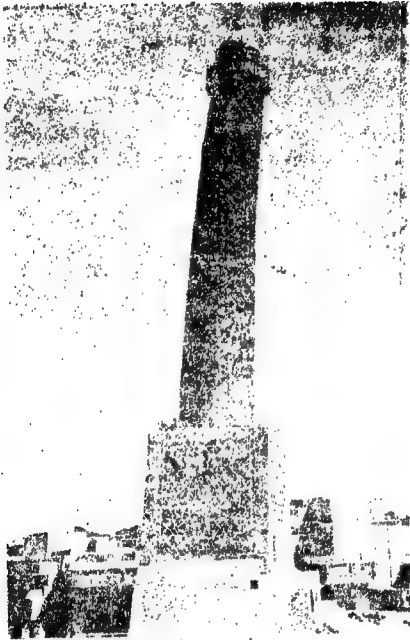


لوح - ١٩

محراب جامع النوري في الموصل معروض الآن في المتحف العراقي

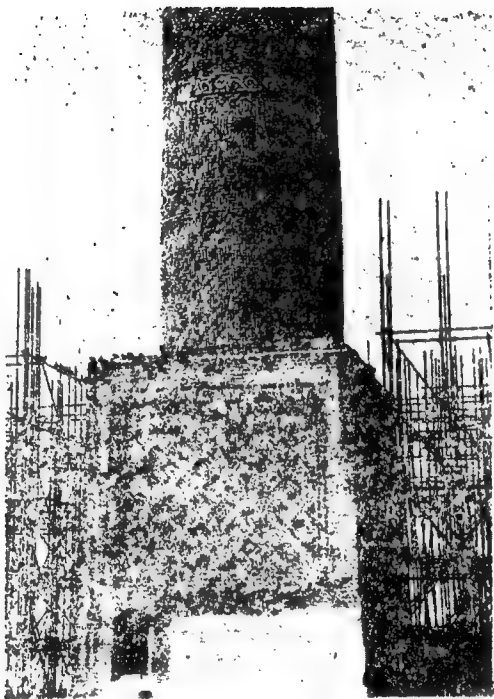
وكانت جدران المصلى مزينة بتشكيلات زخرفية محفورة على الجص وتم الكشف عن اجزاء منها نتيجة لاعمال التحري والصيانة التي اجريت في الجامع عام ١٣٩٤ هـ / ١٩٤٤ م ونقلت هذه اللوحات الى بستان كما ذكرنا وهي الان معروضة في المتحف العراقي وتتم هذه التشكيلات بتناسق مذهل بين العناصر النباتية والهندسية وأشكال المحاريب والكتابات الكوفية وهنا تتجسد الروعة والاتقان في تشكيلات الرقش العربي .

وابرز ما في جامع النوري مأذنته المائلة ( الحدياء ) التي يزيد ارتفاع بدنها ( ٥٦ ) مترا ، سقطت رقبته واعيد بناؤها بمادة تختلف عن تلك التي شيدت بها اصلا قبل سنوات قامت الجهة المعنية بمليقنية من اجل الحفاظ على المأذنة وحمايتها من السقوط ، قاعدة المأذنة مربعة منشورية ( لوح ٢٠ ) يبلغ ارتفاعها ٢١ مترا وطول ضلعها ٥٧٠ مترا ، تقوم على سن صخري وشيد القسم الاسفل من قاعدتها بحجر وجص وهذا الجزء خال من التشكيلات الزخرفية ، اما الجزء الاعلى من القاعدة فمبنى بالطابوق ومغطى بتشكيلات زخرفية غاية في الجودة والتنوع بدنها اسطوانى قطره ٢٤٥ رة مترا ويخترقه سلمان حلزونيان يدوران في داخلها ولا يلتقيان الا في الحوض . اما الرقبة فاقل قطرا من البدن تتوجها قبة نصف كروية ، ويبدأ السلطان في القاعدة وبدن المأذنة باكملة مزين بتشكيلات زخرفية آجرية ويحتل ايضا ان الرقبة كانت مزينة بمثل هذه الوحدات الزخرفية وقد طغت طريقة التفنن في صف الطابوق على غيرها في هذه التشكيلات واستخدمت صيغة تكويس الاشكال الزخرفية عن طريق قص ونجر الطابوق باشكال معينة من اجل الحصول على تشكيلات محددة وتتنوع الاشكال الهندسية من معينات ودوائر.



لوح - ٢٠  
مآذنة جامع النوري في الموصل ( الحديد )

ومثلثات ومربعات تربو على عشرة أشكال وجعلت جميعاً هيئة أشربة  
عريضة ( لوح ٢١ ) •



لوح - ٢١

تفاصيل التشكيلات الزخرفية التي تغطي بدن وقاعدة الحدباء

تلوق البدن والقاعدة وتفصلها عن بعضها انطقة ضيقة مشغولة بزخارف متنوعة ايضا . وتكشف هذه التشكيلات عن الجهود الكبيرة التي بذلت من اجل اظهار الصدا بنبوب قشيب رائع والحقيقة ان التشكيلات الزخرفية في جامع النوري سواء تلك التي حفرت على الرخام او الجص او الطابوق تعتبر اضمخم ثروة فنية من القرن الثاني عشر الميلادي وتجعل من هذا الجامع مدرسة الرقش العربي والعمارة الاسلامية .

### جامع مجاهد الدين قيمانز

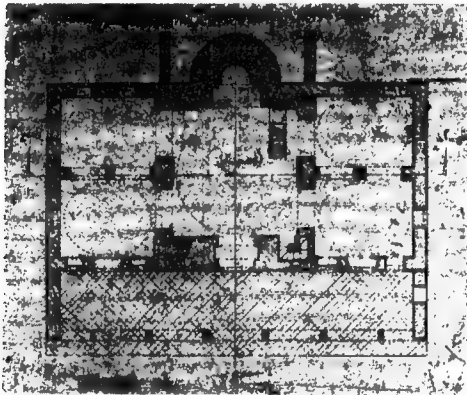
يقع الجامع الى الشمال من جسر الجمهورية في الموصل ويطل الان ، وكما كان على نهر دجلة من الجهة الغربية ويعرف بين الناس بجامع الخضر والجامع الاحمر . امر بتشيد مجاهد الدين قيمانز ، مدير دولة بني زكي ٥٧٢هـ / ١١٧٦م . وتم عام ٥٧٦هـ / ١١٨٠م ، ولم يدخر مجاهد الدين قيمانز وسعا في اتقان بناءه وتحليته اشاد به كل من شاهده من الرحالة والمؤرخين فهذا الرحالة العربي ابن جبير الذي زار مدينة الموصل عام ٥٨٠هـ / ١١٨٥م ، يقول في وصفه ( بنى مجاهد الدين قيمانز جامعا على شط دجلة لم ار وضع جامع احفل منه بناء . يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه وكل ذلك نقش في الحجر اما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ويطيف به شبابيك حديد تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد اشرف منها ولا احسن ) وذكره ابن بطوطة الذي كان في الموصل عام ٧٣٨هـ / ١٣٣٩م وسجل اعجابه به .

الجامع بدون ماذة وظل يستخدم للصلاة منذ اكماله والى يومنا هذا واهتم بتعميره وترميمه من حكم الموصل فهناك اكثر من كتابة تذكارية تثبت تواريخ هذه التعميرات فاحدها تذكر انه عمر عام ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م واخرى تشير الى تجديد اخر عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م .

ورغم هذه الترميمات فان الجامع مازال يحتفظ بشكله الاول ويظهر ان

اعمال الترميم اقتصرت على اعادة بناء ماقد تهدم منه او تبيخه واطافة بعض الابنية اليه .

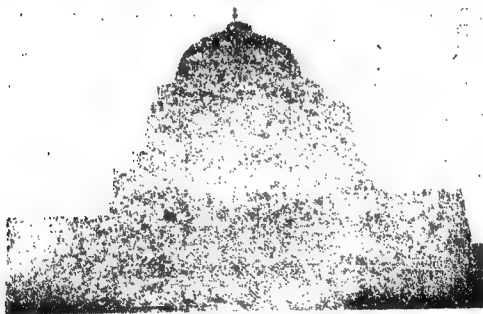
الجامع متين البناء مشيد بطابوق وجص وحجر وجص ، ويشغل في الوقت الحاضر ، مساحة ارض سعتها ٢٢١٠٠ يتالف من مصلى بسعة ٢٤٠٠ وصحن كبير نسبيا ومصلاه مستطيل الشكل ابعاده ١٥٨×٢٢٥ م من الداخل ويشغل القسم الجنوبي الغربي من الارض الخاصة به وتخطيط المصلى فريد من نوعه (مخطط ٤) يتالف من ثلاثة اساكيب بثلاث بلاطات ويتكون من مصلى شتوي واخر صيفي ، فالمصلى الشتوي فيه مطلق ويشغله اسكوبان فقط اما الصيفي فمفتوح ويطل على الصحن بخمس بوائك عقودها مديية تستند على اعمدة رخامية مربعة متوجة ومقعدة . يتميز المصلى الشتوي بصفات تجعله فريدا



مخطط - ٤

تخطيط جامع مجاهد الدين قيمان

ونموذجاً أقدم لعدد من جوامع ومساجد بنيت بعده ، فبلاطة المحراب فيه مربعة وجعلت كذلك لتسهيل مهمة إقامة قبة هي الأولى بين قباب جوامع العراق . أما الجدران التي تحمل القبة فسميكة ومتينة ومرتفعة قياساً بجدران الجامع الأخرى وجعل المعمار اقواس بلاطة المحراب مدببة منفرجة عمودية على جدار القبلة بخلاف بقية الاقواس التي توازي جدار القبلة وتتصف قواعد هذه العقود بضخامة واضحة لتتحمل ثقل القبة والمرحلة التحويلية واستغل المعمار المرحلة التحويلية اي تحويل القاعدة المربعة الى دائرة للزيادة في ارتفاع القبة فجعلها مدرجة وفتح في كل ضلع فيها نافذة تدخل الضوء الى المصلى وتساعد على حركة الهواء ، تجلس القبة ذات الرقبة القصيرة نسبياً وذات الشكل النصف كروي المدب قليلاً ، على هذه القاعدة وتدور حول هذه القبة سلسلة من حنايا ذات اشكال هندسية منخفضة قليلاً ومكسية بقراميد زرقاء شذرية . ويبلغ ارتفاع القبة عن مستوى سطح الارض بحدود ٢٠ متراً ( لوح ٢٢ )

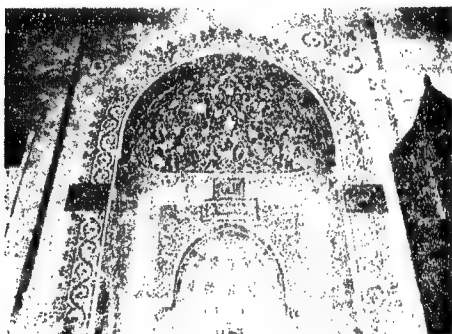


لوح - ٢٢

قبة جامع مجاهد الدين قيمار

ويتصل المصلى الشتوي بالمصلى الصيفي بثلاثة ابواب احدها يتوسط المصلى  
ويقع على الخط المحوري للمحراب الداخلي •

وعرف جامع مجاهد الدين بمحرابه الجميل الذي يمتاز بدقة الزخارف  
الجبسية التي تزين القسم العلوي منه • يتوسط المحراب جدار القبلة ويرتفع  
٦ر٦٠ مترا ويغور بعمق ٣ر١٠ مترا بحيث يبرز عن مستوى وجه جدار من  
الخارج • ويتكون من حنية ذات عقد مدبب تقع داخل حنية اخرى ( لوح ٢٣ )  
أكبر منها ومزينة بنقشة رائعة من التشكيلات الزخرفية النباتية المحفورة في  
الجص •



لوح - ٢٣

محراب جامع مجاهد الدين قيمانز

## جامع الخفافين

هو مسجد الحظائر الذي امرت بتشيعه عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م السيدة. زمرد خاتون ، أم الخليفة المشهور الناصر لدين الله وزوجة الخليفة المنتصر بالله ، المعروفة بحبها لأعمال البناء والعمران ، والمتوفاة عام ٥٩٩هـ / ١٢٠٣م وبما لا شك فيه ان التسمية مشتقة من اسم المحلة التي اقيمت فيها ، والتي بنيت فيها ايضا المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية ويعرف ايضا بجامع الصاغة وجامع الخفافين ويظهر ان هاتين التسميتين مشتقتان من نوع الحرف التي كانت تمارس في حوانيت الاسواق التي يتصل بها ، يطل هذا الجامع على دجلة ويقع الى الجنوب قليلا من المدرسة المستنصرية اما الدخول اليه فيكون عن طريق مدخل يتوسط جداره الشرقي ، جدد الجامع اكثر من مرة حسبما تذكر الكتابات التذكارية ، اذ تشير احداها الى انه عمر عام ٩٩٩هـ / ١٥٩١م ويكشف تخطيطه ونوع مادة البناء المستخدمة فيه وعناصر معمارية معينة ان اعمال التجديد ، قد شملت بيت الصلاة والمدخل ، ولكن هذا التجديد لم يغير التخطيط حيث يتشابه تخطيطه تقريبا مع تخطيط جامع النوري في الموصل من حيث الشكل العام . فهو مستطيل الشكل ابعاده ٣٨ x ٣٣ مترا ويتكون من مصلى شتوي وآخر صيفي . وعدد من الغرف استُخدمت مدافن لشخصيات معروفة . وتطل هذه الابنية على صحن من الجهات الجنوبية والشمالية والغربية وتلتصق الماذنة بالجدار الشمالي في موقع اقرب الى الركن الشمالي الشرقي منه الى الركن الغربي وهي المنبر الاثري الوحيد في هذا الجامع بناؤها متين ، شيدت بطابوق وجص تقوم على قاعدة سداسية ترتفع بارتفاع مستوى سطح الجامع اي بحدود ستة امتار ويمكن الصعود الى السطح عن طريق بوابة تبدأ عند القاعدة وتفتح على السطح بباب مستطيل ويستمر الدرج الذي يدور داخل الماذنة في الصعود

مؤدية إلى الحوض ( لوح ٢٤ ) • البدن اسطواني غليظ نسيبا يبلغ ارتفاعه  
إلى قاعدة الحوض ٩ أمتار •

أما الرقبة فرشيقة ترتفع ٣,٥ مترا يتوجها رأس بيعة قبة مدينة وكانت



لوح - ٢٤

مآذنة جامع الخفانين في بغداد

هذه القبة مكسوة بتشكيلات زخرفية هندسية جميلة ناتجة من التفنن في صف الطابوق . يرتكز حوضها على ثلاثة صفوف من مقرنصات مرتبة بدقة وروعة ، والمقرنصات وكما ذكرنا ابتكار عربي صرف قصد بها إيجاد قاعدة نائمة تسند بروز الحوض عن مستوى وجه البدن . والحوض مثل الرأس مزين بتشكيلات هندسية ناتجة من التفنن في صف الطابوق المزجج وهذه المأذنة أقدم وأهم مأذن بغداد العباسية وتكشف العناصر الزخرفية فيها ان كسوة المأذنة وركبتها وقاعدتها قد سقطت في زمن ما فأعيدت تغطيتها بطابوق منجور ومما لا شك فيه ان طبيعة ارض بغداد الرسوبية دفعت المعمار الى الزيادة في قطر المأذنة والتقليل من ارتفاعها وتشير التشكيلات الزخرفية التي تغطي الرأس ووجه الحوض الى العلاقة المباشرة بين هذه المأذنة ومأذن بغداد التي بنيت في نفس الفترة .

#### مأذنة مسجد باب الدير

تغطي قاعدة هذه المأذنة وجزء من بدنها ابنية تربة الشيخ معروف الكرخي المتوفى عام ٢٠٠ هـ / ٨١٦ م وتقوم اليوم في المقبرة التي تدعى بأسم مقبرة الشيخ معروف في جانب الكرخ غير بعيدة عن ضريح السيدة زمرد خاتون ومما لا شك فيه ان ابنية هذه التربة تقوم على ارض مسجد هذه المأذنة والذي كان يعرف ايضا بمسجد الجنائز ، ونعتقد ان التسمية الاخيرة نابعة من اقامة الصلاة على ارواح الموتى في هذا المسجد . وبدن هذه المأذنة غليظ نسبيا مثل بدن مأذنة مسجد الحطائر ويستند حوضها على خطين من المقرنصات وثبت تاريخ بنائها في حشوة في الصف الاسفل من مقرنصات هذه المأذنة وتقرأ ( بنيت هذه المنارة سنة اثنى عشر وستمائة ) نقشت حفرا في الطابوق بخط ثلث جميل ويظهر من التشكيلات الزخرفية التي تزين الرأس ووجه الحوض والقسم العلوي من البدن ان عملية تجديد

واكساء قد اجريت فيها بعد هذا التاريخ، فرأسها الآن مضلع اما الرأس الاصلي فغيبه كروي مدبب مغطى بتشكيلات زخرفية بارزة ناتجة من التفتن في صف الطابوق وزين وجه الحوض بنقشة من طابوق مزجج مثل طابوق السراس وشغلت معظم حنايا المقرنصات في الصف الاسفل بتشكيلات زخرفية نباتية مخفورة في الطابوق ويظهر انه كان هناك كتابة تذكارية تشغل شريطا يدور حول البدن تحت المقرنصات وهو مغطى الآن بطابوق مستو مربع ويحده من من الاعلى زخرفة بارزة وكلها تكشف ان التجديد قد شمل البدن والرقبة وشكل الرأس ايضا ( لوح ٢٥ ) .

### جامع قمرية

يطل اليوم على الضفة الغربية من نهر دجلة مباشرة . كما كان عند البناء في محلة الشيخ بشار خلف اعدادية الكرخ للبنين وسبي ، مثل جامع الحظائر وباب اندير ، باسم المحلة التي يقو فيها ، وافتتحه الخليفة الناصر ندين الله بعد أن اكمل عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ - ١٢٢٩ هـ . وزوده الخليفة بكتبة وعين نه ماما ومدرسا ومعروف ان الجامع رمم وجدد عدة مرات اولها انهيار مسناته عام ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م ورمم ايضا عام ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م وتم جدد بعد اربعة قرون عام ١٠٥٤ هـ / ١٦٩٤ م وتم ايضا اضافة مصلى جديد له هو مصلى الشافعية والذي مازال يستخدم الى يومنا هذا ، وجدد الجامع مرة اخرى عام ١١٧٩ م / ١٧٠٥ م وشمل المصلى كما جدد عام ١٢٣٠ هـ / ١٨١٩ م ورمم ايضا عام ١٣٥٩ هـ / ١٩٤١ م ويحتفل جدا ان التجديد الاخير قد شمل اجزاء من الماذنة والحوض ومقرنصاته ونتيجة لهذه الترميمات والتجديدات يصعب علينا معرفة مدى احتفاظ الجامع بتخطيطه وعناصره المعمارية الزخرفية الاصلية : هذا واضح جدا في المصلى ونوع الاقواس والدعامات التي ترفع سقفه بالاضافة الى استخدام القباب للتسقيف . مصلى جامع



لوح - ٢٥

مآذنة مسجد باب الدير في بغداد

قمرية الآن مستطيل الشكل ابعاده  $17.5 \times 3.1$  مترا من الخارج يتألف من اسكوبين بثلاث بلاطات عدا مصلى الشافعية وبلاطة المحراب فيه اوسع قليلا من البلاطتين المجاورتين شيد البناء بطابوق وجص وكسى بالجص ، بناؤه متين وجدرانه سميكة وتجلس العقود التي تحمل السقف على دعائم غليظة والعقود هذه مدببة منفرجة وقد افهم المصلى الصيفي ومازالت قواعد الدعائم التي كانت تحمل العقود موجودة .

مأذنة الجامع اصلية ولها مكانة خاصة بين مآذن بغداد العباسية ، فما زالت تحتفظ بالتشكيلات الزخرفية التي تزين البدن والرقبة والراس . وتقوم على قاعدة مستطيلة صلدة ابعادها  $3.50 \times 2.80$  مترا وتلتصق بالجدار الشرقي للجامع في احد اضلاعها فقط ، ويبلغ ارتفاعها  $3.50$  مترا ، وقد حوّل المعمار الجزء العلوي من القاعدة الى شكل منشوري يتلاءم وشكل بدن المئذنة الذي يركز عليها ( لوح ٢٦ ) وبدن المأذنة اسطواناني غليظ نسبيا يرتفع  $8.70$  مترا يخترقه سلم يبدأ من بداية البدن ويدور في داخله وينتهي في حوض المأذنة ، والرقبة رشيقة اذا ما قورنت مع البدن ويبلغ ارتفاعها  $6.50$  مترا ويتوجها راس ، نصف كروي مدبب قليلا ومزين بتشكيلات زخرفية هندسية ناتجة من التفنن في صف الطابوق ، ومازالت الرقبة تحتفظ بتشكيلاتها الزخرفية الجميلة . اما الحوض فقد اعيد بناؤه كما ذكرنا ويحتمل جدا ان المعمار قد استغنى عن بعض التشكيلات القرنصية التي كانت تسند الحوض اما تشكيلات البدن فهندسية ايضا ولكنها تختلف عن تشكيلات الرقبة والراس وهي عبارة عن معينات ذات صرر وجعلت الصرر بقراصيد ملون وقد سقطت معظم هذه الصرر ولكن امكنتها باقية .

والحقيقة ان هذه الطريقة في التحلية نجد اصولها في مساجد الموصل التي تؤرخ في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ( النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي ) .



لوح - ٢٦  
ماذنة جامع قمرية في بغداد

## المشاهد والترب

تقوم في العراق عدد من قباب وترب ومشاهد ومقامات على قبور شخصيات دينية وسياسية مشهورة • وتعرف هذه الابنية بين الناس باسماء مختلفة منها القبة والميل والتربة والمشهد والمقام والروضة • والحقيقة ان لكل من هذا النعوت دلالات تفصح اما عن طبيعة البناية او شكلها او احد عناصرها المعمارية وغيرها ماله علاقة بالغرض الاساس من اقامة البناية •

والواقع ان العلماء ، وخصوصا الفقهاء ، لم يجذبوا او يشجعوا على اقامة عمارات على انقبور او الاكثار من زيارتها واقامة الصلاة فيها ووضع محارب بها استنادا الى الحديث النبوي الشريف « خير القبور الدوارس » • وكما هو معروف ان التمسك بفتاوى الفقهاء وممارستها يعتمد على مدى تدين اصحاب السلطة وعمق علاقة رجال الدين بهم • ويتضح ذلك في عدد من الاشارات التي اوردتها كتب التاريخ والتراجم عن اقامة القباب على قبور سيدات وخلفاء منذ العصر العباسي الاول اي قبل بناء سر من رأى • لم يبق من تلك القباب التي شيدت قبل القبة الصليبية بسبب عوامل التخريب والهدم البشري او الطبيعي • ويظهر ان لهذه الابنية حرمة خاصة عند المسلمين خصوصا تلك التي تضم رفات فقهاء او علماء اشتهروا بعلمهم او اسسوا مذاهب مما دفع الموالين والاتباع الى العناية بالابنية المشيدة على قبورهم وعلى مر الزمن وسنحصر الحديث عن القبة الصليبية واربعين تكريت وامام الدور وزمرد خاتون ويحيى بن القاسم وامام عون فقط •

### القبة الصليبية

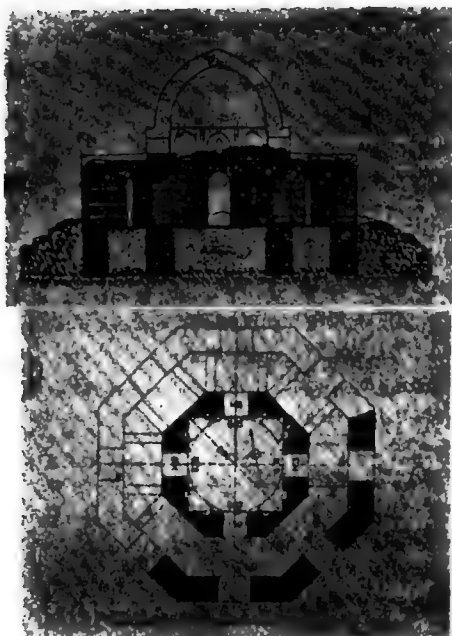
تعد هذه البناية اقدم واهم العمارات ضمن هذا المجال ليس في العراق حسب بل في العالم الاسلامي اجمع • ويتجلى ذلك في تخطيطها وعناصرها المعمارية وضمها رفات ثلاثة خلفاء عباسيين حكموا العالم الاسعري سن

سر من رأى • ويحتمل جدا ان التسمية مشتقة من تصائب ابوابها الاربعة •  
وهناك من يعتقد انها مشتقة من دين السيدة التي امرت بتشييدها ، لدفن  
ابنها المنتصر بالله وقبل ان يتزوجها خليفة المسلمين ومعروف انها بنيت  
عام ٢٤٦هـ ( ٨٦١م ) • وقد دفن فيها بالاضافة الى 'منتصر بالله' ، الخليفة  
المعز بالله المتوفى عام ٢٥٥هـ / ٨٦٨م والخليفة المهتدى بالله المتوفى عام  
٢٥٦هـ ( ٨٦٩م ) •

تقع الصليبية الى جنوب قصر المشوق ، غير بعيدة عنه ، على مرتفع  
يشرف على دجلة من الجانب الغربي ويقابل الجوسق الخاقاني قريبا •

يختلف تخطيط الصليبية عن تخطيط المساجد والمدارس وغيرها من  
المباني الدينية والمدنية • فتخطيطها بسيط يتكون من غرفة مربعة من  
الداخل مسدسة من الخارج يدور حولها رواق او دهليز مسور بجدار مشن  
( مخطط هـ ) • ورغم بساطة هذا التخطيط وخصوصا الغرفة المربعة ، اعتمد  
اساسا لمعظم المشاهد والترب والروضات التي شيدت بعدها • والتخطيط  
هذا جديد تماما ويتميز بشكل مربع من الداخل ومسدس من الخارج ثم  
مشن بعد الدهليز الذي يفصله عن الوسط • ولا يمكن الا ان نعتبر هذا  
التخطيط ضمن الابتكارات العربية الاسلامية في مجال تخطيط المشاهد •

سقطت قبة البناية والقبو الذي كان يسقف الدهليز • ويحدود منتصف  
العقد السابع من هذا القرن قامت هيئة فنية من المؤسسة العامة للآثار  
بتحري الموقع واعادة بناء ماسقط منها • وكشفت هذه التحريات عن جملة  
مرافق متصل بالصليبية بشكل متصالب ايضا • وتتألف من اربع مجاميع  
توسط كل مجموعة منها مفصل يشبه الحمام الشرقي • بلغت الغرفة الرئيسية  
منه بقار وجعلت فيها خفرة لجمع الماء بعد التشنيل اما بقية المرافق فعبارة عن  
غرف مستطيلة ذات سقوف نصف برميلية تكشف انها غرف قبور اعدت



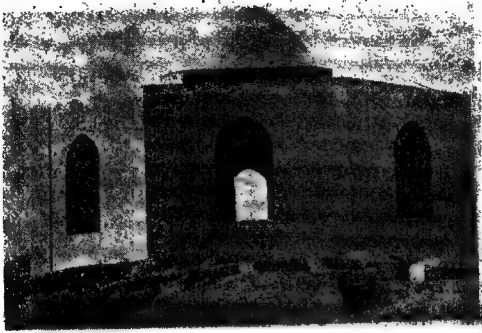
مخطط - ٥

تخطيط القبة الصليبية ( مقتبس )

مسبقا وتحترق الهيئة ايضا الغرفة الرئيسية التي تقوم عليها القبة فعمرت غنى  
ثلاثة تكسيرات دفن في كل واحدة منها طفل بطريقة غير منتظمة . ويظهر  
ان رفات الخلفاء الثلاثة قد دفنت على عمق معين في هذه القبة .

شيدت الصليبية بلبن كلسي وجص وكسيت الجدران من الداخل  
والخارج بطبقة غير سميكة من الجص . وجدران الغرفة المربعة سميكة نسبيا  
وترتفع بحدود خمسة امتار بدون القبة . ويبلغ طول ضلعها ٢٣٠ مترا  
من الداخل ويتوسط كل من هذه الاضلاع بابا ذا عقد مدبب . ويتقابل كل  
باين فيها ويمتد هذا التقابل الى اربعة من الابواب التي تخترق الجدار  
المشتمل على ارض الغرفة المربعة مستوية مبلطة بجص . وتخلو جدرانها من أية تشكيلات  
زخرفية ماعدا الحنايا الركنية التي استخدمت لغراض معمارية . ويفصل  
جدران الغرفة المسدسة من الخارج دهليز ، كما ذكرنا ، بعرض ٢٢٠ مترا  
اما طول جدران الدهليز من الخارج فيبلغ ٧٧٠ مترا وترتفع بارتفاع جدران  
الغرفة المربعة . ويستدل من بقايا سقف الدهليز ، ان السقف كان مقببا باقية  
نصف برميلية متقاطعة ويخترق كل ضلع من هذه الاضلاع الشمالية بابا يتوسط  
الجدار وذا عقد مدبب .

اكملت الهيئة الفنية اعادة بناء ماسقط من الصليبية فجعلت قبعتها نصف  
كروية مدببة قليلا بدون رقبة وتحويلة مشنة الشكل ( لوح ٢٧ ) . اما  
سقف الدهليز فجعلته مقببا نصف برميلي وبرز ما في الصليبية ، بالاضافة  
الى القبة والتخطيط ، الحنايا الركنية التي تعتبر اقدم الاثلة التي وصلت  
اليها . والغاية الاساسية منها هي تحويل القاعدة المربعة الى مشنة ثم دائرة  
لتصلح قاعدة دائرية لقبة تجلس عليها . وهذه الحنايا ايضا ابتكار عربي  
سرف غير معروف في العمارات التي تسبق الاسلام . والحقيقة ان بداية  
هذا الابداع كان في قصر الاخضر في الحنايا الركنية الزوجية في قبو مصلى  
مسجده ونجدها ايضا في ما تبقى من قصر الجوسق الخاقاني وهي زوجية



لوح - ٢٧

القبة الصليبية بعد الترميم وإعادة البناء

ايضا . اما في الصليبية فهي رابعة ، اما تقاطع اقبية الدهليز فهي جديدة ايضا ولكن مثلها الاول لجدده في الاخضر ايضا . وتقاطع الاقبية في الاخضر تقاطع لاقبية متعامدة وليست لرواق مشن .

### قبة امام الدور

يقع البناء اليوم في مقبرة قديمة ببلدة الدور ، وله اهمية كبيرة بين ابناء المشاهد والترب في العراق والعالم الاسلامي . وتأتي هذه الاهمية من شكل قبته المقرنصة الفريدة بين القباب في العالم العربي - الاسلامي . وبالإضافة الى ذلك فانه يضم جملة من التشكيلات الزخرفية والكتابات التذكارية التي تعتبر وثائق ذات قيمة بالنسبة لتاريخ البناء . وليس من المؤكد معرفة اسم من دفن فيه . وقد اثار هذا الموضوع جدلا علميا متخصصا ادى الى اشارة

الشك بشأن الامام الذي دفن فيه . فقد اعتقد بعضهم ، وفي ضوء كتابة  
تذكارية متأخرة مثبتة على لوح رخامي على الواجهة الشمالية للبناء ، ان  
البناء يضم رفات الامام ابي عبدالله محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن  
الحسين بن ابي طالب . والواقع ان خط هذه الكتابة ضعيف بالمقارنة مع  
الكتابات التذكارية الاخرى في المشهد . واعتقد اخرون ان الامير مسلم بن  
قرش العقيلي ، الذي امر ببنائه ، دفن فيه ولكن كتب التاريخ تشير الى ان  
الامير قد قتل من حلب الى سر من رأى حيث دفن في قبة بناها بالحضرة  
الصنكرية .

تكشف جملة الكتابات التذكارية التي تشغل خمسة نجوم ، مشنة  
الشكل ، عن الاهمية الكبرى لهذا البناء . فهي تثبت من امر البناء ومن  
تولى الاشراف عليه ومن اكمله ثم اسم البناء الذي شيده . وحفرت هذه  
الكتابات بخط كوفي متين في الجص . وقرأ في الاولى منها اسم الامير  
الذي امر ببنائه والمتوفى عام ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م . بسم الله الرحمن الرحيم  
هذا ما امر بعمل القبة الامير شرف الدولة مسلم بن قرش ( لوح - ٢٨ ) .  
وفي النجمة الثانية قرأ : وبعده عميدى العزاز ابو الفتح طاهر وابو المعاسين  
عبد الجليل ولدى علي بن محمد الدهستا اجرهما الله . اما في النجمة الثالثة  
فختص الكتابة على ما يلي : هذا ما امر بتمامه الحاجب ابو جعفر محمد  
ابن الاصمهلال الخطير بن منصور اجره الله . وفي الرابعة ما يلي : كان  
المتولي القاضي مؤنس بن حمدان رحمه الله وتولى بعهده الحسن بن رافع  
اجرهم الله . والنجمة الخامسة تضم : هذا صنعة يدي ابو شاكر بن الفرج بن  
خاسوه البنا اجره الله .

ولم يكتف البناء بذلك بل هشن اسمه على احد الجدران الخارجية  
للبناء وبطريقة فنية ، اي بطريقة ترتيب الطابوق فنياً وقرأ : « هذا عمل ابو  
شاكر بن الفرج بن خاسوه البناء اجره الله » . والحقيقة ان تثبيت هذا العدد

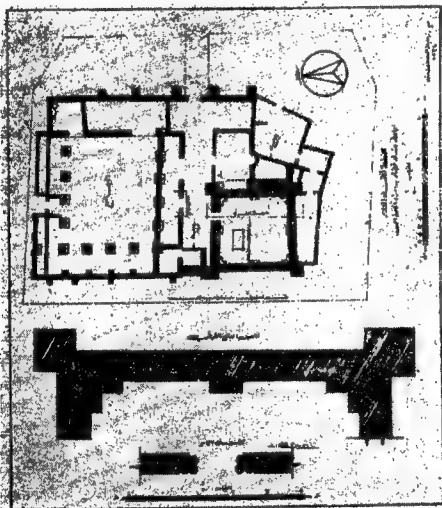
من الشخصيات السياسية والادارية والقضائية ان هو الا دليل على اهمية الشخص الذي دفن فيه . ومما لا شك فيه ان البناء قد استغرق فترة طويلة نسبيا حيث اشرف على اتمامه اكثر من شخص وفي ضوء ذلك يحتمل ان البناء قد اكمل مع نهاية القرن الخامس الهجري حيث نعلم ان الامير مسلم بن قريش قد توفي في عام ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥ م كما ذكرنا ، وان عميد الشرطة عبدالجليل ابن علي قد ترك بغداد عام ٤٩٣ هـ - ١١٠٠ م فان اكمال البناء على الاكثر يقع مع نهاية القرن الخامس الهجري ان لم يكن مع بداية القرن السادس الهجري .



لوح - ٢٨

كتابة تذكارية تشغل احدى النجوم في قبة امام دور

تخطيط البناء بسيط فهو يتألف من غرفة مربعة طول ضلعها ٧ر٨٠ مترا من الداخل • وكشفت التحريات التي اجريت في الموقع قبيل سنوات عن مجموعة الابنية وخصوصا اسماها ، وهي عبارة عن مساجد ومرافق متنوعة اهمها المسجد الذي يقع الى شمالي البناء والمتكون من مصلى ، فيه محراب ، ومجنبتين شرقية وغربية وملخل في جدار المؤخرة ( مخطط - ٦ ) وظهر ان



مخطط - ٦

تخطيط بناء امام دور

هذه الابنية اقدم من القبة حيث اظهرت التحريات ان اسمها اقدم ويحتمل انها المسجد والتكية التي كان يقيم فيها الامام وعندما توفي دفن على مقربة منها ثم شيدت القبة عليه ، وبالإضافة الى ذلك فقد استخدم الحصى والجص اساسا ، اما القبة فقد استخدم في بنائها الطابوق والجص . وبالإضافة الى ذلك فإن الربط بينهما غير اصيل .

يتميز بناء امام الدور بشكل فريد وقبة مقرنصة رائعة وجدران قوية كسيت من الداخل والخارج بتشكيلات زخرفية متنوعة . ترتفع جدران البناء ١٢.٥ مترا وهي مدعمة بأبراج ركنية شبه اسطوانية ( لوح - ٢٩ ) . وتجلس هذه الابراج على قواعد مربعة قطر كل واحد منها ١.٥ متر . اما سبك كل من هذه الجدران فيبلغ ١.٥ مترا ولذلك يكون طول الضلع من الخارج ١١.٥ مترا . ومما لا شك فيه ، ان الهدف الاساسي من الزيادة في سبك الجدران هو جعلها تتحمل ثقل القبة المشيدة عليها . والحقيقة ان الغرفة ذات شكل شبه هرمي متناسبة مع القبة المقرنصة التي ترتفع ١١.٩٠ مترا . لا يتوسط القبر غرفة المشهد بل جعل اقرب الى الركن الشمالي الغربي . ويظهر ان الهدف من ذلك الزيادة في سعة المكان المخصص للصلاة حيث يتوسط الجدار الجنوبي الغربي محراب . اما الدخول الى هذه الغرفة فيكون في الجدار الشمالي اقرب الى الركن الشمالي الشرقي .

تنبؤاً قبة امام الدور المقرنصة مكانة خاصة بين قباب المشاهد السابقة عليه واللاحقة له . فهي المثل الاقدم والاهم ، وهي ابتكار عربي صرف . فقد اجاد البناء ابو شاکر ابن الفرج في التكوين العماري لها والتصميم الفني فيها . فقد نجح البناء نجاحا باهرا في تحويل الحنايا الركنية الى مقرنصات شغلت بطونها بأشكال زخرفية متنوعة وجملت عقودها بأشكال مختلفة ايضا ، مفصصة ، ومدببة ومفرطحة . ورتب المقرنصات من الداخل بحيث سلم تقترب من بعضها كلما ارتفع البناء متناقصة في العدد ومكوة في



لوح - ۲۹  
قبة امام دور

النهاية نجمة ثمانية تماكي النجوم الخمسة الثمانية التي شغلت بكتابات.  
تذكارية • وتجدر الإشارة الى الاعمدة شبه الاسطوانية المندمجة التي تركز  
عليها عقود الحنايا القوسية (لوح - ٣٠) • اما من الخارج فان عدد مراتبـ



لوح - ٣٠  
مقرنصات القبة في الداخل

القرنص لا تزيد عن ثلاث مع زيادة واضحة جدا في ارتفاع المرحلة التحولية ، اي تحويل القاعدة المربعة الى دائرة لتناسب قاعدة القبة . وفتح البناء اربع نوافذ في هذه المرحلة لادخال النور التي داخل الغرفة . وترتيب المقرنصات من الخارج يختلف عن ترتيبها من الداخل . فهي تتوزع على ثلاث مراحل وجعلت بحيث ربيع قبة ملصقة على جدار مقعر . وتنتهي بقبة صغيرة مفرطحة يتوسطها تنوء هرمي . والحقيقة ان قبة هذا البناء فريدة في شكلها ولاول مرة استخدمت حنايا الاركان للوصول الى هذا الشكل المقرنص الجميل .

حفرت التشكيلات الزخرفية المتنوعة التي تغطي جدران الغرفة من الداخل على الجص واروع ما فيها تلك النجوم الممشة التي تشغلها كتابات تذكارية محفورة عن الحجر ذات أهمية كبيرة في تاريخ الكتابات التذكارية . فقد استخدم الخط الكوفي المتقن فيها . وهنا نجد المثل الاول للنجمة العربية الممشة المشغولة بكتابات حيث تمثل البداية لقن الرثى العربي الذي يتم فيه الجمع بين التشكيلات الزخرفية المختلفة . أما التشكيلات الزخرفية التي تزين جدران البناء من الخارج فقد كان الفن في صف الطابوق مادتها الاساسية . وتغطي هذه التشكيلات الهندسية القسم العلوي من غرفة المشهد وبهيئة شريط يتوج الجدران ثم كامل الدعائم التي تمسند هذه الجدران . والفن في صف الطابوق ابداع عربي ايضا وتجد مثله الاول في قصر الاخضر . ولكن التشكيلات في هذا المشهد اكثر اقلنا واوسع مساحة وتمثل خطوة الى امام في هذا المجال الفني الذي بلغ الذروة في القرن السادس والسابع الهجريين وتغلب اشكال المعينات في التشكيلات الهندسية مع اشكال اخرى وابدع البناء في كتابة اسمها وقابه في سطر يتوسط الشريط الذي يتوج احد جدران البناء .

## اربعين تكريت

يقع البناء على مقربة من تكريت باتجاه شمالي غربي وتفصله عنها مقبرة كبيرة ويحتمل ان التسمية جاءت من عدد من دفن فيه من شهداء معركة تحرير تكريت عام ١٦ هـ على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ( رض ) • وكان من بين الاربعين شهيدا عمرو بن جنادة الغفاري ، مولى الخليفة عمر بن الخطاب • لم تذكر المصادر الادبية اية اخبار عن تاريخ البناء ولمن شيد • وقد عثر على كتابة تذكر تاريخ ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م • ومما لاشك فيه وفي ضوء تخطيط البناء وعناصره المعمارية وتشكيلاته الزخرفية ان البناء قد شيد قبل هذا التاريخ. وتجدر الاشارة ان بعض الرحالة الاوربيين وفي مطلع هذا القرن، قد ذكروه ووصفوا بعض الاجزاء الشاخصة منه وقاموا بتصويرها وظل الامر على ما هو عليه لعام ١٣١٤ هـ / ١٩٦٤ حيث قامت بعثة فنية أوفدها المؤسسة العامة للاثار بتحري الموقع وانهار كافة الاجزاء المطمورة منه • فكشفت أشياء مهمة ووفقت في رسم كامل تخطيطه • وتبع ذلك بعثة فنية اخرى قامت بترميم وصيانة الاجزاء المكتشفة وحمايتها من تخريب العوامل الطبيعية •

البناء مربع الشكل طول ضلعه ٤٧ مترا من الخارج • وتحيط بمجمل مرافقه التي تلتصق بالجدار الخارجي من الداخل بمساحة مستطيلة ابعادها ٣٦٥ مترا من الشمال الى الجنوب و ٣٠٥ مترا من الشرق الى الغرب وتكاد تتشابه الابنية الملتصقة بالجدارين الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي • اما تلك التي تلاصق الجدارين الاخرين فغير متشابهة • شيد البناء بحصى وجص عدا اجزاء قليلة منه مشيدة بطابوق وجص وقد كسيت الجدران جميعا ، من الداخل والخارج بطبقة من الجص سمكة نسبيا •

يتألف البناء من مشهد ومسجد ومدخل ضخيم يتوسط الجدار الجنوبي الشرقي تشغل غرفتا المشهد الركن الشمالي الغربي ( لوح - ٣١ ) •



لوح - ٣١

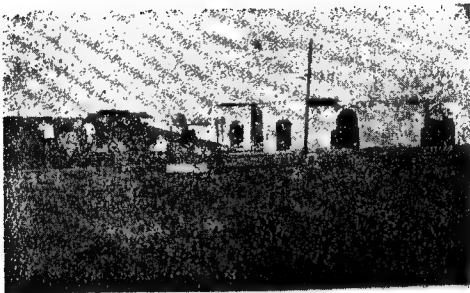
غرفتا مشهد الاربعين في تكريت

والدخول اليهما عن طريق المسجد من جهة ويظهر ان هذا المدخل مستحدث وعن طريق احدى الغرف المجاورة من جهة اخرى وهو المدخل الاصيل • يتوسط احدهما ، الركنية منهما ، قبر ضخم يحتل مساحة غير صغيرة من الغرفة • ويحتمل جدا انه يضم رفات مولى الخليفة عمر بن الخطاب الشهيد عمرو بن جنادة الفغاري • الغرفتان مربعتان طول ضلع كل منهما من الداخل ٥ أمتار ، وجدرانها ضخمة وسميكة تبلغ ١٠ أمتار ارتفاعا بدون القبة • تتصل الغرفتان مع بعضهما عن طريق بوابة تتوسط الضلع الشرقي

بالنسبة للغرفة الركنية • وتسقف كل من الغرفتين قبة نصف كروية مديبة واضحة الاندب وتتسي كل منهما بنتوء هرمي اما ارتفاع كل من القبتين خيلنل خمسة امار • ومما لا شك فيه ان هاتين القبتين مهمتان في تاريخ العمارة العربية الاسلامية في العراق ، فهما اقدم قبتين متجاورتين متشابهتين • زيت جدران هاتين الغرفتين من الداخل بتشكيلات زخرفية عبارة عن حنايا محراية وطاقات ومشاكبي ذات عقود متنوعة واعمدة شبه اسطوانية مندمجة تركز عليها اطراف هذه العقود •

وتضم غرفة القبر محراباً جميلاً ذا عقد مذهب وحنية مشغولة بخاراف جصية جميلة • وتتوزع هذه التشكيلات على جدران الغرفتين من الداخل في توزيع متقن وتباظر واضح • اما من الخارج فان البناء خلو من التشكيلات الزخرفية بصورة عامة •

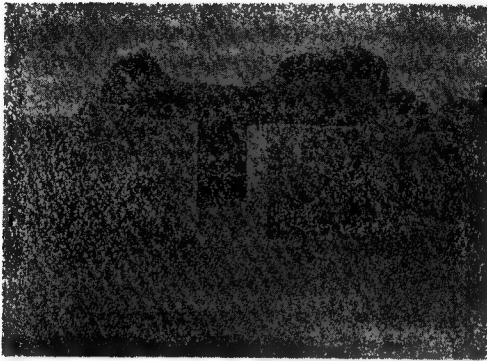
يتبوا مسجد هذه العمارة مكانة خاصة بين مساجد العراق حيث لرى فيه اقدم بقايا قبة تقام على بلاطة المحراب او المصلى باجمعه ، وهذه القبة هي بداية هذا النوع الجديد من التخطيط وهي تسبق قبة جامع مجاهد الدين في الموصل بنحو قرن من الزمن • وتمتد ابنيته على طول الجدار الجنوبي الغربي محصورة بين غرفتين ركنتين ، احدهما غرفة القبر والاخرى تناظرها في الركن الجنوبي الشرقي • والمسجد مستطيل الشكل طوله من الشمال الى الجنوب ٢٧ر٦٠ م وعرضه ٥ر٥ م • ويتكون من مصلى طوله ٧ر٦٠ متر ومجنبتين طول كل منها ١٠ امار ( لوح - ٣٣ ) • والمصلى فيه عبارة عن بلاطة واحدة مستطيلة يتوسطها المحراب وما تبقى منها ، وخصوصا الحنايا الركنية ، يشيز الى وجود قبة كانت تسقف كل المصلى • والحقيقة يمكن الدخول الى هذا المسجد عن طريق مبة ابواب اثنا لكل من المجنبتين واثنا



لوح - ٣٢  
مسجد مشهد الاربعين في كربت

للمصلى ويتوسط جدار المصلى من الخارج محراب صيفي يقع على الخط المحوري لمحراب المصلى الشتوي . واروع ما في المصلى المحراب الذي يتألف من حنية غائرة مؤطرة باكثر من قوس ( لوح - ٣٣ ) اجملها القوس المفصص الذي يعلو الحنية مباشرة وينظر ذلك الذي يطلو الحنية ومحراب غرفة القبر . اما العقد الاعلى فمدبب يستند كل من طرفاه على زوج من اعمدة شبه اسطوانية مندمجة . وزينت غرفة المصلى بتشكيلات زخرفية نباتية جميلة مخفورة على الجص وما تبقى من عقود فهي مدببة . ونلاحظ عددا من المحارب ، ثلاثة منها في المجنبية اليمنى واثنان في المجنبية اليسرى . والاتصال بين كل من المجنبتين والمصلى يكون عن طريق فتحتين وهذا ما نجده في مصلى جامع مجاهد في الموصل .

تتناظر الابنية المشيدة لصق كل من الجدارين الشمالي والجنوبي ، كما ذكرنا ، وتتألف كل مجموعة منها من ايوان مفتوح على الصحن ، يتوسط



### لوح - ٣٣

محراب مسجد اربعين تكريت

المجموعة ، وعدد من غرف على الجانبين . ان وجود الايوان الذي يتوسط الابنية ويتناظر مع ما يقابله في الجدار الاخر كان وراء الاعتقاد بان العمارة هذه تضم مدرسة بالاضافة الى الضريح والمسجد وهي بذلك تكون اقدم مدرسة معروفة في العراق وتأخذ مكانة خاصة بين ابنية المدارس في العراق .

والدخول الى البناية يكون عن طريق مدخل فخم ، كما ذكرنا ، ويتميز ببروز واجهته ويتألف من دهليز بدكتين جانبيتين وقد زينت الجدران بتشكيلات زخرفية ومشاكلي ونوافذ . وسقف المدخل عبارة عن اقنية نصف برميلية وقباب مكفوخة والابنية التي تلاصق الضلع الشرقي عبارة عن سلسلة او اوين غير عميقة وضيقة نسبياً ، ودخلها بهيئة دكاك لا يزيد ارتفاعها عن ثلاثة ارباع المتر ويحصل جدا انها دكاك جلوس .

العمارة غير مؤرخة كما ذكرنا ، ولكن اذا ما اخذنا عناصرها المعمارية وتشكيلاتها الزخرفية وتخطيطها وتصميمها فإن التاريخ المقترح لها هو الربع الاخير من القرن الخامس الهجري . ونرى في هذه العمارة مجموعة من العناصر المعمارية مثل القوس المدبب والمفصص والقباب المزدوجة والاعمدة الاسطوانية المندمجة وجملة العناصر المعمارية المحولة الى عناصر من زخرفية مثل المشاكي والنوافذ ، اما التشكيلات الزخرفية على الجص فهي حلقة وصل بين تشكيلات سر من رأى الجصية وامام الدور ولم يقتصر الامر على التشكيلات الزخرفية بل يمتددا الى العناصر المعمارية والتخطيطية فهي تمثل صيغة استمرار عناصر سر من رأى في هذين المجالين .

ويهتمل جدا ان مدرسة عمارة الاربعين هي المدرسة الهامية التي ذكرها ابن الفوطي عندما تحدث عن حاكم تكرت هماالدين تبر بن علي المتوفى سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م .

#### تربة السيدة زمرد خاتون ( ست زبيدة )

تعرف هذه التربة بين سكنة المحلة الذي تقع فيها باسم ست زبيدة . ويظهر ان الرحالة الدماركي كارتست ليبور ، الذي زار بغداد عام ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م ، اول من ذكرها بهذا الاسم . ومما لا شك فيه انه قصر زبيدة بنت جعفر المنصور زوجة الخليفة هارون الرشيد وام الخليفة الامين . وقد اثارت هذه النسبة جدلا طويلا بين عدد من المختصين وانتهى الامر الى الاعتقاد ان التربة تضم رفات السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستفيء بالله وام الخليفة المشهور الناصر لدين الله . ومعروف ان السيدة زمرد خاتون توفيت عام ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م . وتذكر كتب التاريخ ان هذه السيدة قد شيدت لنفسها تربة العتق بها مدرسة . ويستدل من خبر أورده أحد المؤرخين ان البناء قد تم عام ٥٩٢ هـ / ١١٩٦ م . وورد ايضا انها اُمرت بدفن أحد مضاير بغداد في هذه التربة . ويقوم البناء اليوم في مقبرة

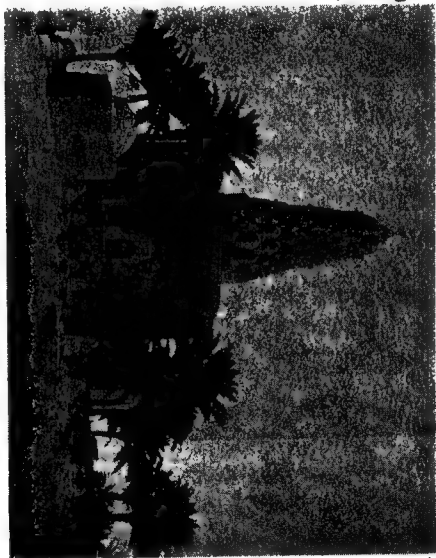
الشيخ معروف الكرخي في كرخ بغداد . والواقع ان آثار المدرسة اختفت تماما . شيد البناء بالطابوق والجص ويظهر ان عوامل التخريب الطبيعية قد أثرت عليه فقامت بمئة فنية عام ١٣٦٤ هـ / ١٩٦٤ م بصيانة التربة لا سيما قبعتها والتشكيلات الزخرفية التي تزين الجدران من الخارج . وفي عام ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م قامت هيئة أخرى بترميم التربة وتسييجها لفصلها عن المقبرة ومنعت الدفن فيها .

لا يختلف تخطيط تربة زمرد خاتون من الخارج عن تخطيط القبة الصليبية فهي مئذنة طول ضلعها ٧ر٦٥ م من الخارج . ويبلغ ارتفاعها ٨ر٣٠ مترا . وتتميز جدرانها ، خصوصا في أسافلها بسبك واضح . والدخول الى التربة يكون عن طريق مدخل في احد اضلاعها الشمالية ، وتتقدم البوابة ظللة مستطيلة اضيفت في وقت لاحق لانشاء التربة . وزينت جدران البناء من الخارج بعنايا صماء ، زوج في كل ضلع ذوات عقود مدببة وارتفاع معين وتشغل الاجزاء العليا من الجدران اشكال مربعة ، شكلان في كل ضلع ، منخفضة قليلا عن مستوى وجه الجدار .

وقد شغلت هذه المربعات تشكيلات زخرفية متنوعة ، هندسية ولبائية ، وجعلت الاشكال الهندسية اطرا للاشكال النباتية التي نقشت حفرا في الطابوق . وتمثل هذه التشكيلات ما وصل اليه الفن الزخرفي من دقة واتقان وروعة ، خصوصا وان هذه الزخارف قد حفرت على الطابوق فهي تفاهي الزخارف التي تزين جدران المدرسة المستنصرية والشراية وغيرها .

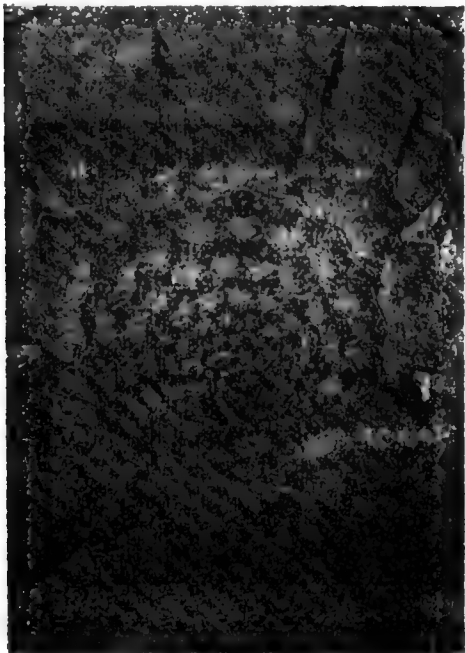
تكشف قبة تربة السيدة زمرد خاتون عن التطور الذي اصاب فن بناء القباب المقرنصة خلال القرن السادس الهجري فتحت الزيادة في عدد مراتب المقرنصات وتبع ذلك زيادة في ارتفاعها ١٣ر٣٠ مترا يشغله اثنا عشر صفا من المقرنصات من الداخل وتسعة صفوف منها من الخارج . واستغل المعمار ارتفاع المرحلة التحولية التي تركز عليها القبة ، ففتح بها اربع نوافذ لادخال

النور الى داخل التربة • وجعل ظاهر المقرنصات بهيئة ارباع قباب ملصقة على جدران مقعرة ويلاحظ هنا زيادة تقعر الجدران وبروز واضح في ارباع القباب • وقد برزت لتواءات في صفوف معينة منها مما زاد في جمالية القبة المقرنصة • ويتوج القبة المقرنصة قبة شبه هرمية • واستغل المعمار اجزاء معينة في المقرنصات من الخارج وفتح فيها نوافذ شبه دائرية وعددها بمدد ارباع القباب التي تتوزع على ثمانية صفوف المقرنصات من الخارج ( لوح - ٣٤ ) •



لوح - ٣٤  
قبة السيدة زمرد خاتون من الخارج

اما من الداخل فجعلت المقرنصات باثني عشر صفا ( لوح - ٣٥ )  
رتبت الثلاثة الاولى من الاسفل بتقنية خاصة • وشابه ترتيب الصف



لوح - ٣٥  
رؤية السيدة زمرد خاتون من الداخل

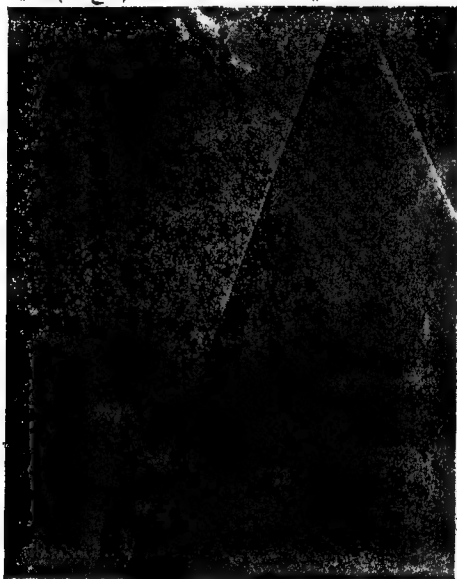
الاسفل والثاني منها مع ترتيب مقرنصات مأذنة مسجد باب الدير والمؤرخة ١٢١٤هـ/١٨١٤م ، والتي لا تبعد كثيرا عن تربة السيدة زمرد خاتون . اما بقية الصغوف فتتميز بزيادة واضحة في عدد المقرنصات في الصف الواحد تبلغ ١٦ مقرنصة وعقود هذه المقرنصات مدببة وتخلو بطونها من التشكيلات الزخرفية والاعمدة المندمجة التي نراها في بناء امام الدور واربعين تكريت .

### تربة الامام يحيى بن القاسم

هو الامام ابو القاسم يحيى بن القاسم بن الحسن بن علي ابن ابي طالب (رض) امر ببناء التربة بديرالدين لؤلؤ ، ملك الموصل ، عام ١٣٧ هـ - ١٣٣٩ م . وقد ورد ذلك بكتابة تذكارية مثبتة على احد الجدران وهناك كتابات اخرى تذكر تاريخ انشائه واسم المتولي عليه وهو سعدالدين سنيك ابن عبدالله ، من ممالك الملك ، والمتولي ايضا على تعمير قصره ، قرى سراى . ومعروف ان ملك الموصل له اراء معينة تجاه الائمة فليس من المستغرب ان يبذل المال ويستخدم لحسن الخبرات الفنية في تشييده . وهناك من يعتقد ان بديرالدين لؤلؤ قد بناه لنفسه ودفن فيه ، وان هذه التربة جزء من المدرسة البدرية التي امر بتشيدھا الملك نفسه وليس من المستبعد ان الملك اراد ان يحمي رفاته تحت اسم احد الائمة وقد ذكر اسمه على التابوت الخشبي الذي يغطي القبر ، والحقيقة ان التشابه واضح وكبير بين هذه التربة وتربة امام الدور . ويتجسد هذا التشابه من حيث السعة وموقع المدخل وتصميم القبة وحتى عدد مراتب مقرنساتها من الخارج وبالإضافة الى الكتابات التذكارية المنقوشة والهندسية والنباتية الواسعة . وتسجل الكتابات التذكارية هذه ، كما هو الحال في تربة امام الدور ، تاريخ البناء ومن امر به والمتولي عليه .

تقع التربة فوق جرف عال يطل على دجلة مباشرة من جهة الغرب ، وتكاد تتوسط المسافة بين قلعة باش طايا وقصر قره قراى ، قصر بديرالدين لؤلؤ .

والبناء متين جدا ، يتصف بسمك جدراته ، ورغم ذلك فقد تعرض الى شق ناتج عن زحف اصحاب الجدار الشرقي منه باتجاه النهر . وقامت المؤسسة العامة للآثار والتراث قبل ما يقرب من ثلاثة عقود ، ببناء جدار ساند ، شوه في الحقيقة منظر التربة وزاد في قوة السحب باتجاه النهر . ( لوح ٣٦ ) • ويتألف



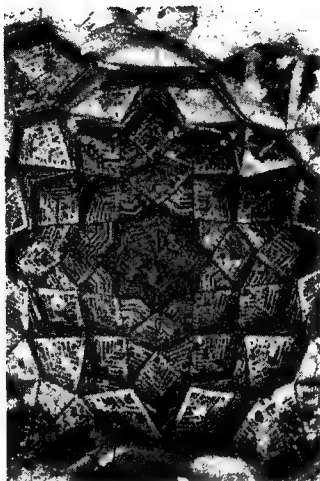
لوح - ٣٦  
يحيى بن القاسم في الموصل ..

البناء من غرفة شبه مربعة ابعادها ٧×٧٫٩٠ مترا من الداخل وترتفع جدرانها سبعة امتار فهي مكعبة وتحمل قبة هرمية مخروطية من الخارج ومقرنصة من الداخل .

شيد البناء بالطابوق والجص وكسيت اغلب جدرانه من الخارج بالجص عدا بعض العناية التي تجاور المدخل فقد شغلت بتشكيلات زخرفية رائعة . وجعل المعمار المرحلة التحويلية ، اي تحويل القاعدة المربعة الى دائرة طويلة ثلاثة امتار لتكون مناسبة للانتقال من الشكل المكعب الى الشكل الهرمي . وترتفع القبة المخروطية خمسة امتار فقط .

وقبل ذكر تفاصيل العناصر المعمارية والزخرفية في هذه التربة تجدر الاشارة ، الى التعمير الذي اصابها عام ٧١٩ هـ ( ١٣١٠ م ) الذي ورد ذكره بكتابة تذكارية بهيئة شريط غير مرتفع ، نقشت حروفها حفرًا على مرمر ازرق وملئت بجص فظهرت وكأنها تطعيم بسرمر ابيض على ارضية زرقاء وتذكر هذه الكتابة اسماء بعض الصحابة واسم من امر بالتعمير وتاريخ ذلك ويظهر بوضوح ان التعمير قد شمل نطاقين زخرفيين والتوزيع والمحراب وفرش الارضية .

تعد تربة الامام يحيى بن القاسم اجمل الابنية في هذا المجال ، من النصف الاول من القرن السابع الهجري ( النصف الاول من القرن الثالث عشر الميلادي ) وتتميز بقبتها الهرمية المخروطية وهي النموذج الاول والاهم بين قباب التربة . وبلاضافة الى ذلك فهي مزدوجة ، حيث كشفت التحريات التي اجريت فيها عن قبة اخرى ، مقرنصة المظهر ، وبثلاث مراتب ، مثل قبة امام الدور . تتوجها قبة صغيرة تجلس على قاعدة مشننة وعدد مراتب المقرنصات من الداخل سبع فقط تقترب من بعضها وتنتهي بنجمة ثمانية الاضلاع ( لوح ٣٧ ) . ومقرنصات هذه التربة جميعا ذوات عقود مدببة مثل مقرنصات تربة السيده زمرد خاتون ولكنها مشغولة جميعا بتشكيلات زخرفية ناتجة من التلفن في صف الطابوق ،

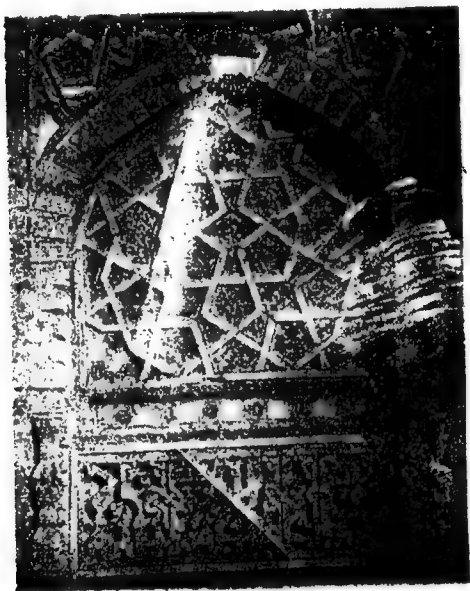


لوح - ٣٧  
قبة مرقد الامام يحيى بن القاسم في الموصل

ويمتد هذا التشكيل الى جدران التربة التي تعلو الوزرات الزخرفية المستحدثة \* وعلى جدرانها من الداخل نقشت تشكيلات زخرفية ، اخرى محفورة على الطابوق تضم كتابات بخط كوفي متقن ، تذكر اسم من امر بالبناء والمتولي عليه \*

وتتصف التشكيلات الزخرفية المنقوشة حفرا على الطابوق بجمال مظهرها

ودقة تنفيذها والتنوع الكبير في عناصرها • فهي تمثل ، في الواقع ، اروع  
صورة لما بلغه الرقش العربي من جودة واتقان ( لوح ٣٨ ) فتم في هذه



لوح - ٢٨

التشكيلات الزخرفية التي تشغل بطون المشاي  
في مرقد الامام يحيى بن القاسم

التشكيلات الجعم بين تقنيات وفنيات المرحلة فاستخدم التفتن في صف الطابوق على نطاق واسع كما استخدم الحفر على الطابوق تفرضا بدقة تامة وبهيئة حشوات تشغل اشكالا هندسية متنوعة جعلت حافاتها بقراميد زرقاء شذرية ، تتناسب الوانها مع صفرة الطابوق وبالإضافة الى ذلك استخدم الفنان الخط الكوفي المتقن ، المظفور والمورق ، وتتوزع هذه التشكيلات على الحنايا التي تحيط بالمدخل من الجوانب والاعلى . وبالإضافة الى الباب الذي يقع في الجدار الشمالي فقد تم فتح نافذتين متقابلتين احدهما في الجدار الشرقي والاخرى في الجدار الغربي .

### تربة الامام عون الدين ابن الحسن

تؤشر جملة العمارات الدينية والمدنية التي امر بها بدر الدين لؤلؤ في مدينة الموصل ، عاصمة مملكته ، اهتمامه بعمارة المدينة وجعلها ذات مكانة متميزة بين مدن العراق . امر ببناء تربة اخرى للامام عون الدين بن الحسن في مقبرة تدعى اليوم بمقبرة البرمي التي تقع في القسم الجنوبي الشرقي من المدينة . وورد اسم الامر بالبناء وتاريخه بكتابة تذكارية تدور مع جدران الغرفة من الداخل . وكان تاريخ الانشاء عام ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م) ويتشابه البناء من حيث الابعاد والشكل تقريبا مع بناء تربة الامام يحيى بن القاسم وشالف من غرفة مربعة الشكل طول ضلعها ٨ امتار من الداخل وتنخفض ارضيتها عن مستوى ارضية المكان المشيد فيه فيكون الوصول اليها عن طريق سلم يتسع درجات . وشيد معظم البناء بحجر غير مهندم وجص واستعمل الطابوق لاجزاء معينة منه . البناء متين جدا ويبلغ ارتفاعه ٣٠ مترا منها ١٤ مترا للغرفة والرقبة والباقي للقبة الهرمية المضلعة المخروطة . وتتصف الغرفة ايضا بسبك جدرانها

وتم فتح نوافذ فيها لادخال النور عدا الجدران الشمالية التي يتوسطها مدخل  
التربة ( لوح ٣٩ ) •



لوح - ٣٩

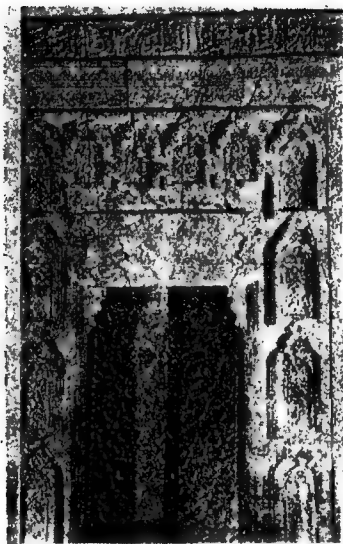
تربة الامام عون الدين بن الحسن من الخارج

كسيت ارضية الغرفة بالواح مرمرية ووزرت جدرانها ايضا بنفس النوع  
من الالواح والتي يتوجها شريط مشغول بكتابة تذكارية يدور مع الجدران •  
وقد حفرت الكتابة على المرمر الازرق ولطمت حروفها بمرمر ابيض وباتقان ،

وفيها ايضا محراب مشغول بتشكيلات زخرفية محفورة على المرمر ويتوسط هذه الغرفة قبر مغطى بصندوق خشبي محلى بتشكيلات زخرفية جميلة .

تجلس التربة على رقبة طويلة نسبيا ، فتحت فيها نوافذ للزيادة في ادخال النور للغرفة . وقبة هذه التربة هرمية مضلعة مخروطة ، مثل قبة تربة الامام يحيى بن القاسم . ولكنها تختلف عنها في كون المقرنصات من الداخل بارتفاع القبة اي انها غير مزدوجة . وتم اكساء التربة من الخارج بطبقة من الجص .

واجمل ما في التربة المقرنصات التي تشكل سقف الغرفة والمرتبة بطريقة فنية لتعطي صورة عن ارتفاع التربة . ويشيز مدخل هذه التربة عن بقية مداخل ترب النصف الاول من القرن السابع الهجري من حيث اطاره الحجري الجميل ومصراعيه المغلفين بالنحاس . ويتألف الاطار من تشكيل تتداخل فيه عناصر الرقش العربي التي حُفرت على الحجر . فالاطار الاول يتكون من حنايا ذات عقود مفصصة مشغولة بتشكيلات زخرفية نباتية . ويحيط بها من الخارج اطاران اخران ضيقان نسبيا ، شغل احدهما بكتابات والثاني بزخارف نباتية تغطي بطون حنايا ذات عقود مدببة . ويتوج كل هذه الاطر مع الاسكفة شريط بكتابات تذكارية اما الباب فمغطى بتشكيلات هندسية يفلب عليها تكوين الاطباق النجمية وقد جعلت بارزة قليلا عن مستوى وجه الباب وشغلت بزخارف نباتية وكتابات مثل الملك والبدرى ( لوح ٤٠ ) . ونجد مثل هذه الاطباق في تربة الامام يحيى بن القاسم محفورة تفريعا في الطابوق .



لوح - ٤٠  
باب تربة الإمام هون الدين بن الحسن

## مراجع الفصلين الاول والثاني

- ١ - الألوسي ، محمود شكري :  
تاريخ مساجد بغداد وآثارها ، تحقيق بهجت الآلري ، مطبعة دار السلام  
بغداد .
- ٢ - ابن الأثير ( محمد بن محمد بن أحمد القرشي ) :  
الكامل في التاريخ ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ .
- ٣ - ابن بطوطة ( أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي )  
تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- ٤ - ابن جبير ( محمد بن أحمد بن جبير الكتاني ) :  
الرحلة ، بيروت ، ١٩٦٤ م .
- ٥ - ابن الجوزي ( أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي ) :  
(١) مناقب بغداد نشره محمد بهجت الآلري ، بغداد ١٩٢٣ م .  
(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، حيدر آباد ، ١٩٣٤ م .
- ٦ - ابن حوقل ( أبو القاسم محمد بن علي ) :  
صورة الأرض ، تحقيق كريم ، لندن ١٩٢٨ م .
- ٧ - ابن خرداذبه ( أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الخراساني ) :  
المسالك والممالك ، لندن ، ١٨٨٩ م .
- ٨ - ابن خلكان ( أبو المباس شمس الدين أحمد بن محمد ) :  
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، طبع مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م .
- ٩ - ابن الخياط ( أحمد بن الخياط الموصل ) :  
ترجمة الأولياء في تاريخ الموصل العديده ، تحقيق ونشر سميد الديوجي ،  
مطبعة الجمهورية ، الموصل ، ١٩٦٦ م .
- ١٠ - ابن رسته ( عمر بن أحمد أبو علي ) :  
الأعلاق النفيسة ، لندن ١٨٩١ م .
- ١١ - ابن الطقطقي ( محمد بن علي بن طباطبا ) :  
الفغري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

- ١٢- ابن عبد ربه ( أبو عمر بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ) :  
العقد الفريد ، ضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهرسه  
أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبد السلام هارون : القاهرة . ١٩٤٩ م .
- ١٣- ابن العبري ( غريغوريوس اللطفي أبو الفرج بن هارون ) :  
مختصر الدول : بيروت ١٩٥٨ م .
- ١٤- ابن القوطي ( كمال الدين أبو الفضل الشيباني ) :  
الحوادث الجامعة . نشره د. مصطفى جواد . بغداد : ١٩٣٢ م .
- ١٥- ابن مسكويه ( أبو علي أحمد بن محمد ) :  
تجارب الأمم وتماقب الهمم : لندن ١٩٩٠-١٩١٧ م .
- ١٦- ابن المنجم ( إسحق بن الحسين ) :  
آكام الوجودان في ذكر المذائب المشهورة في كل مكان . تحقيق كودزي ،  
روما ، ١٩٢٩ م .
- ١٧- أبو الفدا ( إسماعيل بن علي بن عماد الدين ) :  
المختصر في تاريخ البشر . طبع القاهرة ١٨٩٩ م .
- ١٨- أبو المحاسن ( جمال الدين يوسف بن تفرى يردي الأتابكي ) :  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : القاهرة : ١٩٦٠ م .
- ١٩- أحمد حسين :  
تاريخ الكوفة ، النجف : ١٩٦٠ م .
- ٢٠- الأصمخري ( أبو الفرج علي بن الحسين ) :  
مسالك الممالك . لندن ١٩٢٧ م .
- ٢١- الأعظمي ( خالد خليل حمودي ) :  
الزخارف الجدارية في آثار بغداد : بغداد : ١٩٨٠ م .
- ٢٢- أيتنكهاوزن ( ريتشارد ) :  
فن التصوير عند العرب : تعريب د. عيس سلمان وسليم طه التكريتي :  
بغداد ١٩٧٣ م .
- ٢٣- أمين ( د. حسين ) :  
تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، بغداد : ١٩٦٥ م .
- ٢٤- المعاضيدي ( عبد القادر سلمان ) :  
(١) واسط في العصر العباسي ، بغداد : ١٩٨٣ م .  
(٢) واسط في العصر الأموي ، بغداد ١٩٧٦ م .
- ٢٥- بحشل ( أسلم بن سهل بن أسلم بن حبيب الرزاز الواسطي ) :  
تاريخ واسط ، تحقيق كوركيس عواد : بغداد : ١٩٦٧ م .

- ٢٦- البغدادي ( صفى الدين بن عبدالحق ) :  
مراسد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق محمد البجاوي ،  
القاهرة ، ١٩٥٥ م .
- ٢٧- البلاذري ( ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر ) :  
فتوح البلدان ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .
- ٢٨- تافريه :  
العراق في القرن السابع ، مره وعلق حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس  
هواد ، بغداد ، ١٩٤٩ م .
- ٢٩- التنوخي ( ابو علي الحسن بن علي بن محمد ) :  
جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود  
الشالحي ، بيروت ، ١٩٧٣ .
- ٣٠- التوتونجي ( نجاته يونس ) :  
( ١ ) الجامع الجاهدي في الموصل ، سومر ، ١٩٧٢ م .  
( ٢ ) المحارب العراقية حتى نهاية العصر العباسي ، بغداد ، ١٩٧٦ م .
- ٣١- الجلي ( داود ) :  
بدرالدين توتو والآثار الاسلامية في الموصل ، سومر ، ج ٢ ، ١٩٦٤ م .
- ٣٢- الجنابي ( كاظم ) :  
( ١ ) مسجد قمريه تخطيطه وعمارته ، سومر ج ٢ ، ١٩٧٢ م .  
( ٢ ) المآذن نشأتها وعمارتها في الاقطار الاسلامية ، مجلة كلية الشريعة  
العدد ١ عام ١٩٦٥ م .  
( ٣ ) مسجد ابي دلف ، بغداد ، ١٩٧٠ م .
- ٣٣- جواد ( مصطفى ) :  
( ١ ) الممارات العتيقة القائمة في بغداد ، سومر ، ٢٠٠٦ ، ١٩٤٦ م .  
( ٢ ) بغداد في رحلة نيبور ، معربة ، سومر م ٢ ، ١٩٦٤ م .
- ٣٤- حسين ( كامل ) :  
التنقيب حول المآذنة المظفرية في اربيل ، سومر مجلد ١٨ ، ١٩٦٢ م .
- ٣٥- حميد ( عبدالعزيز ) :  
عمارة الاربعين في تكريت في ضوء حفائر مديرية الآثار العامة ، سومر ،  
مجلد ٢١ ، ١٩٦٥ م .
- ٣٦- الحموي ( ياقوت شهاب الدين ابو عبدالله الحموي الرومي ) :  
معجم البلدان ، طهران ١٩٦٥ م .
- ٣٧- خسرو ( ناصر ) :  
سفرنامه تبريز ، د. يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .

- ٢٨- الخطيب البغدادي ( الحافظ ابو بكر احمد بن علي ) :  
تاريخ بغداد ، القاهرة ، ١٩٣١ م .
- ٣٩- الدوري ( عبدالعزيز ) :  
العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤١ م .
- ٤٠- الديوجي ( سعيد ) :  
(١) الموصل في العهد الاتاكي ، بغداد ، ١٩٥٨ م .  
(٢) جوامع الموصل في مختلف العصور ، بغداد ، ١٩٦٣ م .  
(٣) خطط الموصل في العهد الاموي ، سومر مجلد ٧ ، ١٩٥١ م .  
(٤) مشهد الامام يحيى بن القاسم ، سومر مجلد ٢٤ ، ١٩٦٨ م .  
(٥) الجامع الاموي في الموصل ، سومر مجلد ٢٦ ، ١٩٥٠ م .
- ٤١- الذهبي ( شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ) :  
تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ٤٢- سلمان ، العزي ، عبدالحق ، يونس (د. عيسى سلمان، نجلة يونس) :  
المعمارات العربية الاسلامية في العراق ج١ بغداد ١٩٨٢ م . ج٢ كويت ، ١٩٨٢ م .
- ٤٣- سفر ( فؤاد ) :  
واسط ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- ٤٤- سوسة ( احمد سوسة ) :  
مدينة المنصور وجامعها : سومر ، مجلد ٢٢ ، ١٩٦٦ م .
- ٤٥- السيوطي ( تقولا ) :  
مجموع الكتابات المحررة في ابنية الموصل ، تحقيق سعيد ديوجي ،  
بغداد ١٩٥٦ م .
- ٤٦- الصائغ ( سليمان ) ، تاريخ الموصل ، بيروت ١٩٥٦ م .
- ٤٧- الصوفي ( احمد ) :  
الآثار واللباني العربية والاسلامية في الموصل ، الموصل ١٩٤٠ م .
- ٤٨- الطبري ( ابو جعفر محمد بن جرير ) :  
تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .
- ٤٩- صبو ( عادل نجم ) ، القباب العباسية ، بغداد ١٩٦٧ م .
- ٥٠- العزي ( ساجدة ) :  
بلدة مائه ومناراتها ال اثرية ، سومر مجلد ١٧ ، ١٩٦١ م .

- ٥١- العلي ( صالح احمد ) :  
 (١) خطط البصرة ، سومر مجلد ٨ سنة ١٩٥٢ م .  
 (٢) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ، بيروت ، ١٩٦٩ م .  
 (٣) منطقة الكوفة ، سومر ، مجلد ٢١ ، ١٩٦٥ م .
- ٥٢- العمري ( محمد امين بن خيرالله ) :  
 بغداد كما وصفها السواح الاجانب في القرون الخمسة الأخيرة ، بغداد ، ١٩٥٤ م .
- ٥٣- العمري ( ياسين بن خيرالله ) :  
 منية الادباء في تاريخ الموصل الحديث ، تحقيق سعيد الديوجي ، الموصل ، ١٩٥٥ م .
- ٥٤- العميد ( طاهر مظفر ) :  
 (١) عمارة سامراء العباسية في عهد التوكل ، سومر ، مجلد ٢٢ ، ١٩٧٦ م .  
 (٢) بغداد مدينة المنصور المدورة ، النجف ، ١٩٦٧ م .
- ٥٥- فرنسيس ومصطفى :  
 جامع ابي دلف ، سومر ، مجلد ٣ ، ١٩٤٧ م .
- ٥٦- القزالي ( واد ) :  
 المنارة المظفرية في اربيل ، سومر ، مجلد ١٦ ، ١٩٦٠ م .
- ٥٧- القزويني ( زكريا بن محمد ) :  
 آثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ٥٨- القيسي ( ربيع ) :  
 (١) جامع الجمعة في سامراء ، تخطيطه وصيافته ، سومر مجلد ٢٥ ، ١٩٦٩ م .  
 (٢) اللوية منارة المسجد الجامع في سامراء ، سومر مجلد ٢٦ ، ١٩٧٠ م .
- ٥٩- كوك ( ريجارد ) :  
 بغداد مدينة السلام تعريب فؤاد جميل ومصطفى جواد ، بغداد ١٩٦٢ م .
- ٦٠- لسترنج ( كي ) :  
 (١) بغداد في عهد الخلافة العباسية ، تعريب بشير فرنسيس ، بغداد ، ١٩٣٦ م .  
 (٢) بلدان الخلافة الشرقية ، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٥٤ م .
- ٦١- ماسينيون :  
 خطط الكوفة وشرح خرائطها ، تعريب تقي المصنفي ، صيدا ١٩٣٩ م .
- ٦٢- الماوردي ( ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب ) :  
 الاحكام السلطانية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

- ٦٣- السعودي ( أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ) :  
 (١) التنبيه والإشراف ، بيروت ١٩٦٥ م .  
 (٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، بيروت ١٩٦٥ م .
- ٦٤- المقدسي ( شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد ابن أبي بكر المعروف بالبشاري ) :  
 أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، لندن ، ١٩٠٦ م .
- ٦٥- الموسوي ( مصطفى عباس ) :  
 العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٦٦- نيبور ( كارستن ) :  
 رحلة نيبور إلى العراق في القرن السابع عشر ، تعريب محمود الأمين ، بغداد ١٩٦٥ م .
- ٦٧- الهمداني ( أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ) :  
 صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد عبدالله النجدي ، القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٦٨- نجم ( علاء الدين أحمد ) :  
 (١) المشاهد ذات القباب المخروطة في العراق ، بغداد ، ١٩٨٢ م .  
 (٢) استدراقات تاريخية لمواقع الرية ، القسم الثاني سومر المجلد ٢٨ ، ١٩٨٢ م .
- ٦٩- اليعقوبي ( أحمد بن أبي يعقوب بن وهب ) :  
 تاريخ اليعقوبي ، لندن ١٨٩٢ م .

### المراجع الأجنبية

- 1- Arnold (Th. and A. Guillaume), The Legacy of Islam. Oxford, 1941.
- 2- Briggs (M.S.), Architecture : in Legacy of Islam by Arnold, Oxford, 1931.
- 3- Creswell (K.A.),
  - 1- Coptic Influence an Early Muslim Architecture, Cairo 1932.
  - 2- Early Muslim Architecture, 2 Vols. Oxford, 1932 - 1934.
  - 3- Hamid (E.S.). The Mesopotamian shool of Miniature Painting..., Unpublished, Edinburgh, 1966.
  - 4- Herzfeld (E) and Sarre (F), Archäologische Reise in Euphrat und Tigris - Gebiet, 4 Vols., Berlin, 1911 - 1920.
  - 5- Richmond (E.T.), Moselen Architecture 628 - 1516, London, 1926.

## الفصل الثالث

# المعارك الحديثة

د. طاهر نضر المعيد

كلية الآداب - جامعة بغداد

## المبحث الأول

# دور الإمارة

مصر العرب المحررون. في العراق مدن البصرة والكوفة والموصل نظراً  
للحاجة العسكرية الملحة لكي تتخذ مراكز عسكرية تتجمع فيها القوات المحاربة  
تحت السلاح وقد بنى قادة تحرير العراق في هذه المدن الثلاث دوراً للإمارة  
ليقيم الولاية فيها .

## دار الإمارة في البصرة

بناها القائد عتبة بن غزوان عند تأسيسه لمدينة البصرة في عام ١٤ / ٦٣٥ م  
وتعد هذه الدار أول دار إمارة تؤسس في العراق وقد اقيمت على مقربة من  
مسجد البصرة ولم تكن لصيقة به ، في الرحبة التي كانت تسمى رحبة بني هاشم  
ويطلق عليها « الدهناء » حيث كانت تضم أيضاً السجن والديوان وكانت المادة

التي بنيت منها هذه الدار في عهد عتبة بن غزوان هي القصب وهي المادة التي بنيت منها مدينة البصرة .

وفي ولاية ابي موسى الاشعري سنة ست عشرة او سبع عشرة اعيد بناء دار الامارة باللبن والطين وسقت بالخشب ، وفي ولاية زياد بن ابيه حول دار الامارة من الدهناء وجعلها في قبلة المسجد وبنائها باللبن وكان يقول ( لا ينبغي للامام ان يتخطى الناس ) فجعل دار الامارة ملاصقة لجدار القبلة وفتح بابا في هذا الجدار ليدخل الوالي من دار الامارة الى مصلى المسجد وحول المنبر الى صدر المسجد فكان الامام يخرج من الباب الذي فتح في حائط القبلة الى المحراب من غير ان يتخطى صفوف المصلين تنفيذا لمقولته السابقة .

وفي ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي اثناء خلافة عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٢ هـ ( ٦٨٥ - ٧٠٥ م ) هدم دار الامارة بحجة رغبته في بنائها مجددا بالآجر الا انه لم ينها بالآجر فتركها مهدمة على حالها وبقيت البصرة من غير دار للولاة حتى خلافة سليمان بن عبد الملك وكان صالح بن عبد الرحمن عامله على خراج العراق فكتب صالح الى الخليفة سليمان يخبره انه ليس في البصرة دار امارة واعلمه بما كان الحجاج قد فعل فأرسل اليه الخليفة سليمان ان يعيد بناء الدار بالجر والآجر وعلى اساسها الاول .

وعندما استخلف عمر بن عبدالعزيز ٩٩ - ١٠١ هـ ( ٧١٧ - ٧٣٠ م ) عين عدي بن ارمطة واليا على البصرة فأراد ان يقيم فوق هذه الدار غرضا فلما علم الخليفة بذلك أمر واليه ان يتوقف عن البناء .

وحينما آلت الخلافة للعباسين ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م وتولى ابو العباس الخلافة ارسل سليمان بن علي واليا على البصرة فبنى على ما كان عدي قد بناه بالطين الا انه تحول الى المريد وفي عهد هارون الرشيد هدم دار الامارة

وادخل أرضها في قبلة المسجد الجامع فليس منذ ذلك التاريخ للولاية في  
البصرة دار اماره .

### دار الامارة في الكوفة

بناها سعد بن ابي وقاص قائد معارك التحرير الكبرى في العراق وبطل  
القادسية عندما أسس مدينة الكوفة في سنة ١٧هـ / ٦٣٨ م ، وعلى الرغم من  
اهمية هذه الدار المعمارية التي تمكس ولاشك قدرة العرب المبكرة في تنفيذ  
البناء وتخطيطه فإن المؤرخين العرب أمسكوا عن ذكر التفاصيل المعمارية  
ما خلا اشارات عابرة وموجزة لا تميد الباحثين في تصوير تخطيطها الاول .

اقيمت الدار اول الامر يفصلها عن مسجد الكوفة شارع وجعل  
بيت المال فيها وحدث ان سرق بيت المال فكتب سعد النسي الخليفة  
عمر يغيره بالحدث فأمره الخليفة ان يجعل دار الامارة ملاصقة للمسجد .

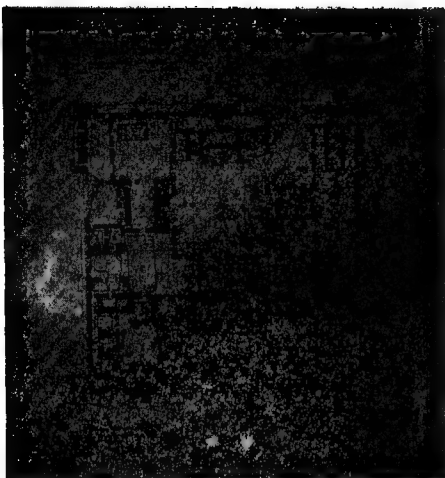
مكنت دار الامارة هذه منزلا لولاية الكوفة أثناء العصر الراشدي  
والعصرين الاموي والعباسي وتذكر بعض النصوص التاريخية ان زياد بن ابيه  
والي الكوفة قام بتجديد هذه الدار عندما قام بتجديد المسجد الجامع .

ويصف الرحالة العربي ابن جبير هذه الدار في القرن السادس الهجري  
عندما زار الكوفة وقد سجل عنها بان معظمها خراب والظاهر انه لم يتبق منها  
الا أسسها عندما زارها الرحالة ابن بطوطة في عام ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥ م .

وقد لولت مديرية الآثار العامة عناية خاصة للدار فابتدأت بأعمال الحفر  
والتنقيب والصيانة فيها منذ عام ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م ولواسب عديدة ولازال  
المؤسسة العامة للآثار تولي هذه الدار نفس الاهتمام والعناية وتقوم هيئة  
فنية بصيانة ما تبقى من أبنية الدار .

### تخطيط دار الامارة

كانت دار الامارة عند بنائها مربعة الشكل ( شكل - ١ ) طول كل جدار

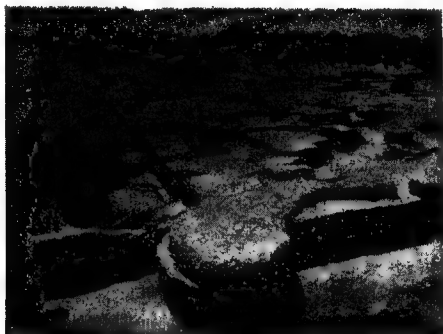


شكل - ١

مخطط دار الامارة في الكوفة وتنقيبات مديرية الآثار فيها

مسن جدرانها الاربعة ١١٠ م تقريبا وممدل سمك الجدران ( ١٨٠ م ) وفي بعض اجزائه متران بمعنى ان ضلعها بطول ضلع المسجد الجامع ، مبنية بالآجر والبص خلاف ما ذكره المؤرخون بانها بنيت من اللبن والقصب والآجر الذي استخدم في بنائها لم يكن مزروعا او مخلوعا من القصور التي شيدت في الحيرة سابقا والراجع ان الآجر المستخدم فيها كان قد صنع محليا ودلينا على ذلك انه لم يكن مكسورا او مهشما اذ المعروف

ان الحجر الذي ينزع من عمائر سابقة وينقل الى عمائر اخرى يتعرض للهشم والكسر وكان في كل ركن من اركان دار الامارة برج مستدير ( شكل - ٢ )



شكل - ٢  
برج الزاوية الشمالية الغربية المستدير لسور دار الامارة  
الداخلي بالكوفة

وفي كل ضلع من اضلاعها الاربعة ابراج نصف دائرية وهكذا يصبح مجموع  
الابراج المدعمة لجدرانها عشرين برجاً وقواعد هذه الابراج مستطيلة  
٦ × ١٥ م \*

وقد اظهرت التنقيبات ان زياد بن ابيه قد اعاد بناء الجدران الداخلية والسور  
الداخلي من الخارج كما قام بتدعيمه بعدد الابراج التي كانت تدعم الجدران  
السابقة وقد اظهرت التنقيبات ان لهذه الدار خمسة مداخل ثلاثة في الضلع  
الجنوبي وواحدة في الضلع الشمالي واخر في الضلع الغربي \*

\* وكان لدار الامارة سوران داخلي وخارجي، والخارجي مربع الشكل طول

ضلميه الشمالي والجنوبي ١٧٠ م والغربي ١٧٢ م والشرقي ١٦٩ م ولا ركانه الثلاثة الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي والجنوبي الغربي ابراج مستديرة اما الركن الشمالي الغربي فلا يوجد به برج نظرا لاتصاله بجدار المسجد الجامع وكان الوالي زياد بن ابيه قد لاحظ دار الامارة بهذا السور الخارجي وقد مرت عليه مرحلة من التجديد والتعمير في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان ويقع مدخل هذا السور في الجهة الشمالية يحف به برجان نصف دائريين .

أما السور الداخلي فيضم عددا من الوحدات السكنية تزيد على العشرة لكل وحدة منها فناء واسع مبلط بالأجر والجص وقد اتخذت هذه الوحدات وضعا متناظرا حول ساحة الدار المركزية .

### دار الامارة في الموصل

حرر العرب المسلمون الموصل سنة ١٩٦ هـ / ٦٣٧ م بقيادة ( عتبة بن فرقد السلمي ) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وقد بنى عتبة اول دار للامارة فيها على السفح الغربي من تل قليعات في عام ١٧٦ هـ / ٦٣٨ م واقام الى جانبه من الجهة الجنوبية المسجد الجامع .

وحينما ولي الموصل ( هرثمة بن عرفة البارقى ) في سنة ٢٢٢ هـ / ٦٤٢ م وسع دار الامارة ولا تعرف شيئا عن تخطيط هذا الدار وهياكله اذ ان المراجع التاريخية لم تشر الى ذلك .

وفي العصر الاموي وسعها مروان بن محمد في عام ١٢٦ هـ - ٧٤٤ م حيث تولى ولاية الموصل مرتين واقام بينها وبين المسجد الجامع بابا يؤدي الى ممر طويل يصل بين دار الامارة والمسجد الجامع وقد فرش هذا الممر بالبلاط وفي نهاية البلاط ستر يحجز المصلين عن دار الامارة .

وعندما تولى (الحر بن يوسف) ولاية الموصل عام ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م فانه لم

ينزل دار الامارة وانما ابنتى له داراً عرفت بـ ( المنقوشة ) اتخذها دار امارة له وكانت هذه الدار مشهورة في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك ويصل المؤرخون سبب تسمية هذا الدار بهذا الاسم لانها كانت منقوشة بالساج والرخام والقصور الملونة .

وعندما آلت الخلافة للعباسيين اقام ولايتهم حتى عهد الخليفة هارون الرشيد في نفس الدار وقد نزلها يحيى بن محمد اخو الخليفة العباسي السفاح كما نزلها اسماعيل بن علي عم السفاح حتى عام ١٨٣هـ / ٧٩٩م واقام فيها احمد بن يزيد والي الخليفة هارون الرشيد ولا تعرف على وجه التأكيد هل ان الولاية العباسيين بعد احمد بن يزيد واصلوا الاقامة في هذه الدار ام اهم اقاموا في دار غيرها .

### دار الامارة في واسط

شيد الحجاج بن يوسف الثقفي وهو والي الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان دار الامارة عندما بنى مدينة واسط(\*) في الجانب الغربي من هر دجلة وتعرف هذا الدار ايضا في المراجع العربية باسم « قصر الحجاج » أو قصر « القبة الخضراء » وجعله ملاصقاً للضلع القبلي لمسجد الجامع وفقاً للطريقة التي اتبعها العرب المسلمون في تشييد دور الامارة في كل من البصرة والكوفة والقسطنطين والقبرولان ، اي ان دار الامارة كانت ملاصقة لجامع الحجاج الاول

---

(\*) ترد في المراجع التاريخية والبلدانية نصوص متباينة عن التاريخ المحدد لبناء واسط . وتنحصر سنوات البناء في هذه المراجع بين سنتي ٧٥ - ٨٦ هـ وعلى الأرجح - كما يذهب الى ذلك د. عبد القادر المعاضدي في كتابه واسط في العصر الاموي ، ص ٧٩ - ان الحجاج شرع في بناء المدينة في عام ٨١ هـ ( ٧٠٠م ) واتم بنائها في نهاية عام ٨٢ هـ ( ٧٠١م ) .

من الجهة الجنوبية الغربية منه وقد اسند الحجاج الدار وبناءه الى اثنين من المهندسين هما ابن انبار وابو شعيبية بن الحجاج وهما من العراق .

لقد اثبتت التنقيبات الاثرية التي جرت في موقع مدينة واسط ان دار الامارة هذه كانت ضخمة وواسعة ومربعة الشكل اذ بلغت ابعادها ٤٠٠ ذراع  $\times$  ٤٠٠ ذراع (أي ان طول كل ضلع من أضلاعه يقرب من ٢٢٤ م) فتكون مساحته ٤٠٠ الف متر مربع .

وكان لهذه الدار اربعة مداخل رئيسية يفضى كل مدخل منها الى طريق عرض كل واحد يقرب من ثمانين ذراعا وكان لهذه الدار قبة خضراء مرتفعة عرفت في التاريخ باسم « خضراء واسط » او « خضراء الحجاج » واشتهر القصر بقبته هذه فعرف باسم « قصر القبة الخضراء » وكانت القبة ترى كما يذكر (ابن رسته) من (قم الصلح) الواقعة على بعد ٣٥ كم شمالي واسط .  
لم تكتمل اعمال التنقيب في موقع واسط كما ان دار امارتها هذه بحاجة الى المزيد من التنقيبات الاثرية اذ ان فرق التنقيب لم تستطع تتبع تخطيط القصر ذلك لان الاهاض المتراكمة فوقه والتي تزيد على ربع مليون متر مكعب تحتاج الى وقت طويل لرفعها .

وقد ظهرت تنقيبات الموسم الاخير جزء صغيرا من الجدار الشمالي الشرقي وبرجين قائمين عند نهايته وقسما من الجدار الشمالي الغربي ونحو ثلاثين مترا من الجدار الجنوبي الشرقي وكذلك بابا واحدا كان يقع عند منتصف المسافة بين الزاوية الغربية للجامع والزاوية الشمالية للقصر ، وفي داخل القصر اظهرت التنقيبات اثار اسس متقاطعة تقوم في نقاط تقاطعها اعمدة تتألف من ثلاث بلاطات .

## المصادر والمراجع

- ١ - البلاذري  
« فتوح البلدان » - القاهرة ١٩٣٢ م .
- ٢ - الطبري  
« تاريخ الامم والملوك » ، القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٣ - ياقوت .  
« معجم البلدان » طبع لايبزك ، ١٨٦٦ م .
- ٤ - الدكتور طاهر مظفر العميد  
« نشأة مدينة البصرة » ، مجلة الجمعية التاريخية المراقية ، العدد الخامس ، ١٩٧٧ م .
- ٥ - الدكتور طاهر مظفر العميد  
« تأسيس مدينة الكوفة » ، مجلة المورخ العربي ، العدد السادس ، ١٩٧٨ م .
- ٦ - الدكتور كاظم الجنابي .  
« تخطيط مدينة الكوفة » طبع دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٧ م .
- ٧ - الدكتور عبدالقادر المعاضيدي .  
« واسط في العصر الاموي » دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٦ م .
- ٨ - الدكتور عبدالقادر المعاضيدي .  
« واسط في العصر العباسي » نشر وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٣ م .
- ٩ - فؤاد سفر .  
« واسط » ، القاهرة ١٩٥٢ م .

- ١٠ - سعيد الديوه جي « بحث في تراث الموصل » ، وزارة الثقافة والاعلام ، المؤسسة العامة للآثار والمتاحف والتراث ، جامعة الموصل ، ١٩٨٢ م .
- ١١ - سعيد الديوه جي . « تاريخ الموصل » مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٢ م .
- ١٢ - ابن رسته « الاعلام النفيسة » ، لندن ١٨٩٢ م .

\* \* \*

# البحث الثاني القصور

## القصور في العصر الاموي

اظهرت التنقيبات الالثرية بعض القصور المراقبة التي ترجع الالبعاث نسبتها الى العصر الاموي ٤١ - ١٣٢ هـ ( ٦٦١ - ٧٥٠ م ) وهي قصر ام عريف وقصر امكاف بني جنيد وقصر الشعبية .

### قصر ام عريف

عُثرت مديرية الالثار في عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ على بقايا هذا القصر على مسافة سبعة كيلومترات الى الجنوب الشرقي من دار الامارة في الكوفة والقصر مربع الشكل طول كل ضلع من اضلاعه ٦١ مترا وجدرانه سمكة مشيدة بالآجر والبص واستخدمت ايضا كسر من الحجر وكانت هذه الجدران كما اظهرت التنقيبات مغلقة جميعها بنوع خاص من الآجر المطلي بدهان ازرق غامق .

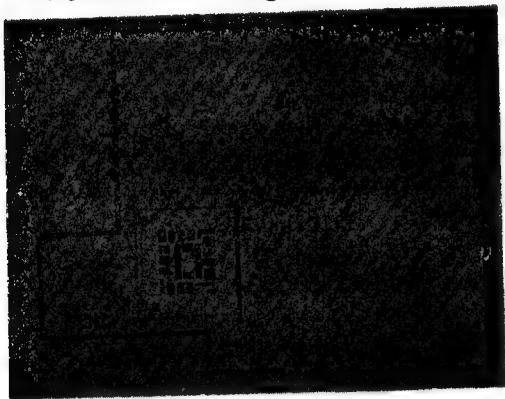
وكان لهذا القصر مداخل من جميع الجهات يؤدي بعضها الى البغض الاخر واظهرت التنقيبات ان جدران القصر كانت في الاعلى تعمل عقودا على اغلب الظن اذ شوهد بين اقواسه بقايا آجر من تلك العقود كما اظهرت ان جدران القصر محاطة بسور مربع يتوسط ضلعه الشمالي الشرقي مدخل عرضه ١٨٠ م ولم يكشف عن هذا السور بصورة كاملة بعد .

والظاهر ان اقسام القصر وخرائبه جميعا تنحصر ضمن سور ضخم من اللبن عرضه حوالي ( ٣٥٠ م ) وينقسم كل جدار من جدران هذا السور ابراج

نصف دائرية قياسها ( ٣ م ) وتنتهي اطراف السور حيث يتصل بعضه ببعض  
بأبراج نصف دائرية ايضا .

ولم يكن السور ( كما يلاحظ في الشكل رقم ٣ ) مربعا في جميع اجزائه  
فالضلع الشرقي منه ينتهي من الشمال الشرقي بعنية تؤلف زاوية قائمة وكذلك  
ضلعه الشمالي الغربي اذ يبرز الى الخارج على شكل مستطيل غير تام الاضلاع  
ويخلو من الابراج التي تتفرق على اغلب اضلاع السور .

اما تاريخ بناء القصر فأن ما اكتشف فيه من لقي اثرية يدل على انه يرجع  
الى اواخر العصر الاموي اذ عثر على قطعة نقدية مؤرخة سنة ( ١٢٨ هـ )  
ضربت في مدينة الكوفة وهذا التاريخ يقرب من عهد يزيد بن عمر بن هبيرة كما



شكل - ٣

مخطط قصر ام حريف

ان بعض الزخارف المحلاة بنقوش نباتية يعود زمنها الى نهاية العصر الاموي  
كما ان قطع الفخار التي عثر عليها في اثناء الحفائر تتفق وقطع الفخار التي  
كشفت عنها في دار الامارة والتي ترجع الى العصر العباسي .

#### قصر الشعبية :

يقع هذا القصر على بعد سبعة كيلومترات شمال غربي قضاء الزبير والى  
الغرب من مركز مدينة البصرة بنحو ( ٣٠ كم ) وقد حمل القصر والتلول  
المكتشفة اسم الشعبية نسبة الى المنطقة التي يقع فيها .

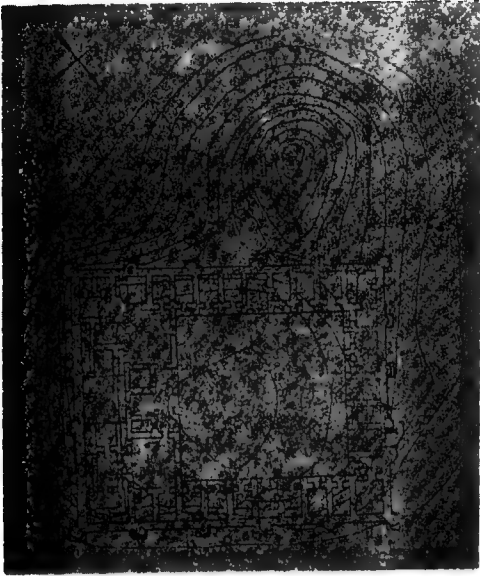
وقد قامت المؤسسة العامة للآثار بتحريات اثرية في المنطقة وكشفت ستة  
تلول رقت من ١ الى ٦ ويعتبر التل رقم ( ١ ) اوسع هذه التلول مساحة  
ويتألف من قسمين : الاول اكبر واقل ارتفاعا من القسم الثاني يشتمل على  
مصطبة تتألف من كتلة صلبة من اللبن اما القسم الاخر فقد ظهر انه يتألف  
من بناية مستطيلة الشكل طوله من الشمال الى الجنوب ٦٩ م وعرضها من  
الفرق الى الغرب ٥٨ م وهي القصر الذي تتناوله بالبحث ( شكل - ٤ ) .

وكان للقصر سور سميك عرضه ١٧٠ م تدعّمه ابراج نصف دائرية  
عدها ( ٢٠ ) برجا تتوزع اربعة منها في الزوايا الاربعة للقصر واربعة ابراج  
في كل ضلع من اضلاعه الاربعة وقطر البرج الواحد ٢٢٠ م ويبرز عن السور  
ما بين ١ - ١٢٠ م .

اما مدخل القصر فيقع في الضلع الشمالي الغربي عرضه ٣٧٠ م يحف  
به برجان كل منهما على شكل ربع دائرة يفضي المدخل الى فناء القصر  
مباشرة اي ان مدخله من نوع المداخل المستقيمة .

#### تخطيط القصر

يفضي المدخل كما أشرنا الى فناء مربع ابعاده ( ٣٥٥٧٥ × ٤٠٣٥ ) وتفتح



شكل - ٤

### مخطط قصر الشمسية

عليه جميع وحدات القصر من غرف وأواوين وملحقات أخرى وتطل على  
الواجهة الشرقية والغربية والشمالية غرف يتقدمها مجاز مقنود على هيئة  
أبواب صخرية غير عميقة يقوم مقام البوابة المفتوحة والمعروفة في القصور

الاموية ببادية الشام مثل قصر الحير الغربي بصورة خاصة وفي وسط كل واجهة من هذه الواجهات ايوان يفتح على الصحن مباشرة من دون اروقة .

والواجهة الجنوبية للقصر تتألف من عدد من الساحات والافنية تطل عليها حجروممرات ومرافق تفتح على الحصن بثلاثة مداخل معقودة على اعمدة والمدخل الاوسط اكبر من المدخلين الجانبيين وهذا الاسلوب يمثل الطراز الحيري الكامل حيث يقابل كل مدخل من هذه المداخل باب الحجر من الجانبيين الايمن والايسر للايوان الوسطى وهذا يكون العقد الكبير يقابل الايوان الوسطى والحجرتان الجانبيتان تقلابلان الجناحين الايمن والايسر ، اما الرواق الامامي فيقابل المقدمة في الطراز الحيري واما الممر الضيق خلف الوحدة السكنية فهو المؤخرة ويسبق الممر الضيق ساحة مربعة يطل عليها ايوانان من الجانبيين ومرافق اخرى .

والاواوين الصغيرة قليلة العمق في الجهات الثلاث الاخرى فانها تشرف على فناء القصر مباشرة من غير اروقة وقد فتحت مجنبتها واتصلت الواحدة منها بالاخري وكابت اصلا تحتوي على انصاف اعمدة على جانبي كل ايوان فازيلت في الدور الاخير فأصبح للايوان فتحة مستقيمة وهذا الاسلوب المعماري عرف في حضارة العراق قبل الاسلام واستمر معروفا في العصر الاموي في خربة المغيرة وفي اريحا بفلسطين وفي قصر الحير الغربي كما استمر في العصر العباسي ويظهر واضحا في الطابق الاعلى لغرف المدرسة المستنصرية وفي غرف الطابق الاسفل للمدرسة الشراية ببغداد ( القصر العباسي ) .

اما تاريخ بناء هذا القصر فانه استنادا الى اسلوب بنائه وتخطيطه العام والى ما وفرته التنقيبات الاثرية من لقى وزخارف جصية كالتزيين اعالي الابواب والفتحات تماثل ماشر عليه في بعض القصور التي ترجع الى العصر الاموي وعلى وجه الخصوص قصر الحير الغربي اضافة الى ذلك فان الفخار

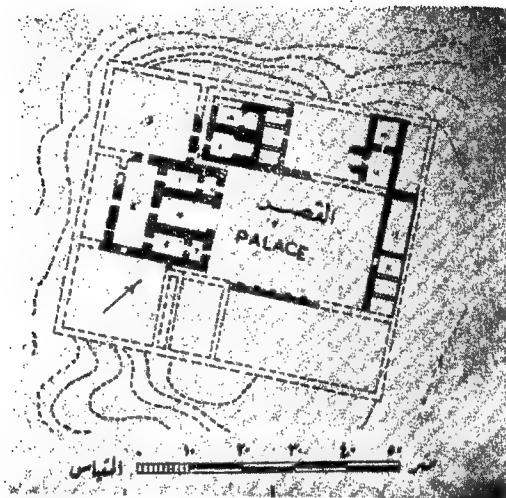
الذي عثر عليه في هذا التل مماثل للفخار الذي يعود الى العصر الاسلامي المبكر لذا فان بعض الباحثين يرجعون تاريخه الى العصر الاموي غير ان باحثين آخرين يرون ان زخارف القصر الجصية تكاد تماثل الطراز الثاني من زخارف سامراء الجصية لذا فانهم يرجعون تاريخ بناء هذا القصر الى نهاية القرن الثالث الهجري .

#### قصر اسكاف بني جنيد

يقع هذا القصر في بقايا مدينة اسكاف بني جنيد التي بنيت في القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وخرابها اليوم تعرف بـ (سماكة) على بعد (٣ كيلو مترات) جنوبي الشذروان الاسفل على النهر وان بمنطقة ديارلي وتمد بقاياها اوسع الخرائب على النهر وان وتمتد على جانبيه في مساحة كبيرة وقد ذكرها الجغرافي (بطليموس) في القرن الثاني للميلاد كما وردت اشارات في النصوص التاريخية والجغرافية العربية ويبدو انها بقيت طيلة القرون الستة الهجرية الاولى وانها خربت بخراب النهر وان .

يقع القصر على الضفة اليسرى للنهر وان وهو مستطيل الشكل وعلى جانبيه مستطيلان يؤلفان جناحي البناية والقسم الاوسط يؤلف فناء مستطيلا تطل عليه وحدة بنائية تتألف من ايوان وسطي وكمين على جانبيه والمؤخرة على شكل بهو كبير مزخرف يقع خلف الايوان والكمين يفتح عليها بواسطة ابواب ثلاثة (شكل - هـ) وقد ظهر هذا الطراز فيما بعد في الدور والقصور التي شيدت في العراق مثل قصر الاخضر وبيوت مدينة سامراء .

والراجح ان التخریب قد اصاب هذا القصر في حدود القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ثم اعيد تشييده بعد تسوية جدرانه الى ارتفاع يبلغ نصف متر وبعد ان وضعت طبقة من كسر الفخار بين الجدران المقامة لاسفل الرطوبة .



شكل - ٥

مخطط قصر اسكاف بني جنيد

وقد ظهر من نتائج التنقيبات ان ايوان القصر المشار اليه وهو الاستقبال الذي بجواره كانا مزينين بالزخارف الجصية الجميلة التي تعد على جانب كبير من الامة في دراسة اصول الزخارف الجصية التي ظهرت لاحقا في قصور ودور سامراء .

هذا ولا زالت هنالك بعض الاجزاء الاخرى التي لم تمط اللثام عنها

اعمال التنقيب بمد ولا ريب ان اظهارها سوف يلقي الضوء على معرفة اسلوب تخطيط القصور العربية المبكرة ورشدنا كذلك الى الصلة المعمارية بينها وبين مخطط القصور والبيوت التي اقيمت فيما بعد .

اما تاريخ بناء القصر فانه على الاغلب يرجع الى العصر الاموي وربما الى زمن الخليفة هشام بن عبدالملك الذي عرف عنه كثرة بناء القصور واقامة السدود وتنظيم الري وشق الاقنية ومن عماله على العراق خالد بن عبدالله القسري والي الكوفة من عام ١٠٥هـ / ٧٢٣م حتى ١٢٠هـ واشتهر في زمنه حسان النبطي بكثرة اعمال الري البارة التي تم انجازها على يديه .

### القصور العباسية في بغداد

#### قصر المنصور « قصر باب الذهب »

ليست لدينا معلومات مفصلة عن قصر المنصور الذي يسمى ايضا بـ « قصر باب الذهب » سوى ما ذكره الخطيب في تاريخه وروايته مع اهميتها في ابراز التخطيط العام للقصر فانها مقتضبة لا تتناسب ومكانة هذا القصر الكبير الذي يعتبر في ذلك الوقت من العمارات العظيمة .

كان القصر مربع الشكل طول كل ضلع من اضلاعه ٤٠٠ ذراع ( أي ما يعادل ٢٢٤ مترا ) فتكون مساحته مقاربة لخمسين الف متر مربع وكلذ في صدر هذا القصر ايوان طوله ( ٣٠ ذراعا ) وعرضه ( ٢٠ ذراعا ) وسقفه قبة عليه مجلس مثله فوqe تقوم القبة الخضراء وارتفاع القبة عن الارض ٨٠ ذراعا .  
والراجع ان هذا الايوان كان على هيئة قاعة كبيرة ذات قبة في صدره قاعة سماها الخطيب ( مجلس ) على شكل مربع طول كل ضلع من اضلاعها ٢٠ ذراعا وفوق هذه القاعة قاعة اخرى لها نفس الابعاد وفوقها القبة الخضراء والمعروف ان هذه القبة كانت ترى من مسافة بعيدة من خلف اسوار مدينة بغداد المدورة .

وكانت بمثابة (تاج بغداد، وعلم البلدة، ومآثرة من مآثر بني العباس) وشيهر بعض المؤرخين انه كان على رأس القبة الخضراء صنم على هيئة فارس في يده رمح وعلى الاغلب فان المنصور قد اقتبس الاسلوب المعماري في تشييد قبة قصره الخضراء من طراز الخضراء في قصر الحجاج بواسط وقد احدث المنصور في قصره هذا ثقفا خاصا لو مررا سريا يلجأ اليه وقت الازمات .

كان قصر المنصور بمثابة البلاط الرسمي للخليفة يمكث في احد قاعاته متفرغا للنظر في امور الدولة الكثيرة وما يجبه الولايات من مشاكل وقضايا كما كان يلتقي بالقادة العسكريين فيه ومختلف الناس من ولاة وقضاة وشعراء ومواطنين .

وقد بقي القصر مقرا للخلفاء الذين اعتقبوا المنصور ، المهدي والهادي الا ان هارون الرشيد فضل الاقامة في قصر الخلد المشرف على نهر دجلة وحينما آلت الخلافة الى الامين تحول من قصر الخلد الى قصر المنصور فعاد القصر مركزا للخلافة ومحلا لسكن الخليفة بعد ان اضاف اليه الامين ميدانا .

وفي الفترة التي هاجمت فيها جيوش طاهر بن الحسين قائد المأمون المدينة المدورة مكث الامين في قصر المنصور محتيا به بعد ان وزع رجاله وجنده على اسوار المدينة وقد اصابت المجانيق الكبيرة التي رشقت المدينة هذا القصر بوابل من الحجارة الضخمة فتهدمت بعض اجزائه .

ومما يفهم من روايات المؤرخين ان قبة مجلس المنصور الخضراء بقيت قائمة على جذرائها حتى سقط رأسها في عام ٣٢٩هـ / ٩٤٠م بفعل مطر عظيم ورعد هائل ومن المعتقد أن صاعقة اصابتها فألهبت فيها النيران واخر خبر عن بقايا القبة الخضراء ورد في كتاب الحوادث الجامعة سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م حيث وقعت فيها بقايا القبة الخضراء ومن المؤكد ان انهيار هذه البقايا للقبة يرجع الى الفيضان العام الذي حدث في بغداد سنة ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م والذي تسبب

في اغراق دار الخلافة والدور على جانبي بغداد كما تهدمت الكثير من الجوامع والقصور .

### قصر الخلد

بناه الخليفة المنصور بين سنتي ١٥٧-١٥٨ هـ / ٧٧٣-٧٧٤ م على شاطئ دجلة فوق مصب نهر الصراة بدجلة وموقعه شمال الدير العتيق (دير مارفيثون) بقليل وهو الدير الذي كان عند مصب الصراة بدجلة بين باب خراسان والبصرة في باب الشمير والراجح ان المنصور سماه بالخلد تشبهاً بجثة الخلد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وسبب اختياره لهذا الموضع هو التمتع بمنظر نهر دجلة والاستفادة من وفرة المياه لسقي الحدائق الواسعة للقصر وقد استكمل بناء القصر في سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٤ م ونزله المنصور في نفس هذه السنة وتفيد النصوص التاريخية ان الربيع بن يونس صاحب المنصور وابان بن صدقة توليا عمارة القصر واكمله ولم يطل المنصور اقامته فيه اذ توفي في نفس السنة التي انتقل فيها الى قصر الخلد ومن الحوادث المهمة التي جرت فيه هي حفلة زواج الرشيد بـ زبيدة بنت جعفر عام ١٦٥ هـ / ٧٨١ م وكان الرشيد بفضل الاقامة بقصر الخلد ونزله الامين اثناء خلافة والده وعندما اصبح خليفة انتقل الى قصر المنصور ونزل المأمون القصر عندما استخلف .

### قصر القراء

ويسمى ايضا بقصر زبيدة نسبة الى زوجة الخليفة هارون الرشيد كما انه عرف بقصر ام جعفر وقد اقيم على حدائق قصر الخلد وعلى الأرجح انه انشيء في عهد هارون الرشيد وقد بناه في هذا الموضع لنفس الاسباب التي دعت المنصور لانشاء قصر الخلد وتفيد بعض الروايات التاريخية بان زبيدة بنت في هذا القصر مجلساً لم تر العرب مثله صورت فيه التصاوير وذهبت سقفه وحيطانه وابوابه وعلقت على ابوابه ستورا معصفرة مذهبة وقد ورد ذكر هذا القصر في حوادث حصار طاهر بن الحسين للامين ويبدو ان القصر قد رمم

وجدد أيام الخليفة الناصر لدين الله حيث أوّل محمد بن عبدالعزيز في عام ١٣٠٦هـ / ١٣٠٦م بدار زبيدة على دجلة .

وبالإضافة الى القصور التي اشرنا اليها فإن المراجع التاريخية تذكر لنا العديد من القصور العباسية الا انها ادرست الآن ولا نعرف شيئا عن تصاميمها او تخطيطها والظاهر من وصف المؤرخين لها انها كانت على جانب كبير من الاتساع والضخامة منها قصر عيسى بن علي بن عبدالله عم المنصور وموقعه عند مصب نهر عيسى في دجلة بالجانب الغربي من بغداد وعنده المؤرخون اول قصر بناء الهاشميون على عهد المنصور ببغداد وذكر ياقوت الحموي بأن لا أثر للقصر في أيامه وانما هناك محلة كبيرة ذات سوق تسمى قصر عيسى .

وقصر الوضاح وقد بناء المنصور لابنه المهدي قبل ان ينتقل الى الجانب الشرقي ونسب الى ابن شبا الوضاح الذي تولى النفقة عليه وهو احد موالي المنصور وعرف القصر باسم الشرقية لوقوعه شرق نهر الصراة كما عرف باسم قصر المهدي ويبدو ان المهدي لم يكتف في هذا القصر طويلا اذ اقيم له في الجانب الشرقي مسكن في عام ١٥١هـ / ٧٦٨م .

وقصر اسماء ابنة المنصور وقصر عبدالله بن المهدي ويبدو انه كان هناك طريق يفصل بين هذين القصرين دعي ما بين القصرين .

وفي عام ١٥١هـ / ٧٦٨م انشأ الخليفة المنصور قصرا لابنه المهدي في الجانب الشرقي من بغداد دعي بـ (عسكر المهدي) وعرف بمحلة ( الرصافة ) وقد اقطع المهدي رجاله وقادة جيشه الاراضي وبنوا قصورهم ودورهم فيها وقد عقد المنصور جسرا فوق دجلة ليربط بين مدينته في الجانب الغربي وعسكر ولده المهدي وكان المهدي قد لاقم اول الامر في قصر شيد له بالبن في عيساباذ ثم بنى له قصرا كبيرا من الحجر دعاه باسم قصر السلامة وانتشر العمران في

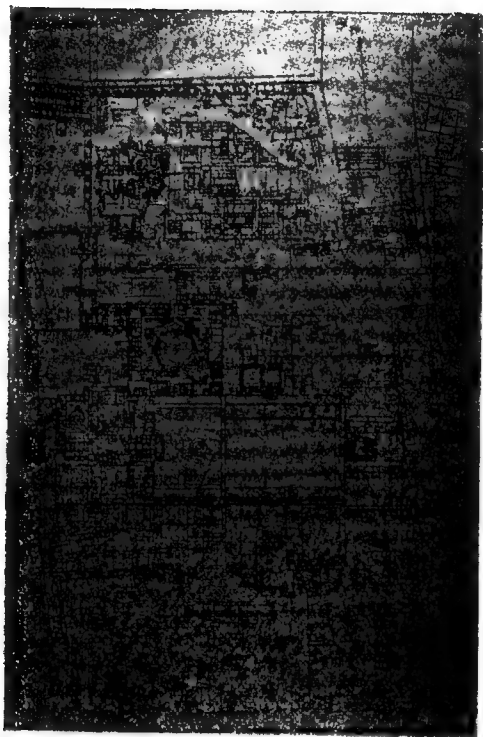
هذا الجانب في عهدي المهدي والرشيد وقد بنى البرامكة الفرس قصورهم في هذه المنطقة منها قصر جعفر الذي دعي بـ ( الجعفري ) ثم استبدل اسمه الى ( المأموني ) عندما اقام فيه الخليفة المأمون بعد ان انزل الرشيد بهم. العقاب العادل جزاء خيانتهم وغرستهم وتآمرهم على الدولة العباسية وقادتها الافذاذ وقد اطلق على المنطقة الواقعة بجانب هذا القصر بالمأمونية .

## القصور العباسية في سامراء

### قصر المعتصم ( دار الخليفة )

بناء المعتصم عندما شيد مدينة ( سر من رأى ) ( سامراء ) التي اصبحت عاصمة الدولة العرية العباسية واصبح هذا القصر محل سكناه واهله وحاشيته تعد اثار قصر المعتصم اكثر البقايا شخوصا للعمارة المدنية في سامراء وقد قُب في موضعه لأول مرة المهندس الفرنسي ( فيولة ) ورسم له مخططا كما وصفه ( روس ) وقدم كلاهما قياسات مماثلة تقريبا له وجرت تنقيبات اثرية واسعة جدا قامت بها بعثة اثرية المانية باشراف ( هرزفيلد ) و ( سارة ) .

اغفلت النصوص التاريخية العربية وصف القصر الكبير وما كتبه المؤرخون والجغرافيون العرب عن سامراء قد اهلل عمارته وتخطيطه ومع ذلك فإن الابحاث التي كتبها علماء الآثار المحدثون تترك مادة كافية في الكشف عن مخططة وقد قامت مديرية الآثار باعمال التنقيب فيه ابتداء من سنة ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م ولا زالت تعنى به وقد شمله مشروع صيانة اثار المدينة واعادتها الى ماكانت عليه وهو مادعا اليه السيد الرئيس القائد صدام حسين ومن المؤكد فان ما سينجم عن هذا المشروع الكبير من دراسات وحفريات سوف تجعل مخطط القصر وعمارته وعناصره المعمارية واضحة جلية ( شكل - ٦ ) .

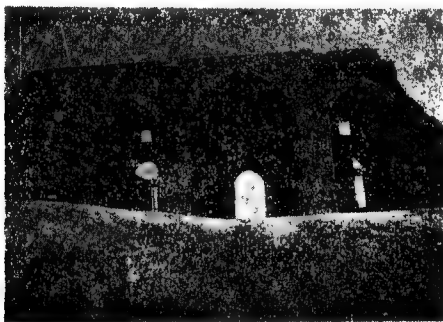


شكل - ٦

مخطط عام لتحصن المتصم ( دار الخليفة ) لهرزفيلد

القصر مستطيل الشكل طوله تقريبا ( ٧٠٠ م ) وعرض الجهة الامامية الرئيسية التي كانت تطل على نهر دجلة حوالي ٣٠٠ م ومن الممكن اعطاء وصف مختصر ابتداء من البناء الرئيس الذي لا يزال قائما ويعرف باسم ( باب العامة ) .

وباب العامة هو البناء الفخم الوحيد المتبقي من هذا القصر ويطل على نهر دجلة وكان المدخل الرئيس له والاواوين الثلاثة التي تشاهد ( شكل - ٧ )



شكل - ٧  
الاواوين الثلاثة لباب العامة

تؤلف القسم الاوسط لبناء الواجهة والاويان الاوسط اوسع هذه الاواوين وخلف هذا الاويان باب عرضه ( ٣٧٥ م ) وعمقه ( ١٣٣ م ) وعلى جانبيه غرفتان صغيرتان عميقتان وخلفهما غرفتان خلفيتان لهما نفس الابعاد تقريبا وليس هناك اتصال بين الغرفتين الجانبيتين والاويان الكبير وعلى الارجح فان الغرض من وجودهما انها تستعملان للحراسة وتوفير الامن للخليفة وخلف

الايوان الرئيس تشاهد آثار غرفة مربعة ذات سقف مسطح مدعوم بمساند اضافية نظرا لضعف هذا الجدار .

وقد استنتج ( كريزويل ) بانه لا بد ان يكون لباب العامة طابق اعلى مستدلا على ذلك من وجود جزء من حائط على ارتفاع خمسة امتار كان يشاهد منذ حوالي سبعين سنة مضت يرتفع عموديا فوق الجانب الشمالي من الايوان .

ومن اقسام القصر قاعة العرش وتشتمل على قاعة وسطى مربعة محاطة بأربع قاعات وقد تم العثور في هذه القاعة التي كانت على الارجح مسقفة بقبة على بقايا اطار من رخام جميل وقد عثر في هذه القاعات على بقايا زخارف جصية في بواطن الاقواس ومن قاعة العرش هذه وصلتنا حشوة الباب الخشبية المهمة التي تشبه الى حد كبير حشوة الباب الخشبية لجامع ابن طولون في القاهرة .

وكشفت التنقيبات عن قاعة اطلق عليها قاعة الحريم على جانبي هذه القاعة من الناحيتين الغربية والشرقية غرف صغيرة للجلوس مجهزة جميعها بانابيب المياه بعض هذه الانابيب موصول بانابيب رصاصية كبيرة وبعضها الاخر موصول بانابيب زجاجية زرقاء والبعض الاخر بانابيب فخارية وهناك غرف للغسيل ودورات المياه .

وامام القاعة الشرقية من مجسوة قاعة العرش قاعة اخرى كبيرة طولها ٣٨ م وعرضها ١٠ر٤٠ م تطل على الرحبة الكبرى بخمسة ابواب والرحبة الكبرى ابعادها تقريبا ٣٥٠ × ١٨٠ م محاطة بجدران من الشمال ومن الجنوب وتسند الجدار ابراج نصف دائرية والمسافة بين برج واخر ( ٢٠ مترا ) وقد اشار قيولة المهندس الفرنسي الذي نقب في هذا القصر بان هذه الرحبة كانت قد صممت بطريقة مشاعة لتلك التي اتخذت مؤخرا في فرنسا وكانت الرحبة الكبرى مقسمة بواسطة قناة الى قسم غربي مرصوف بزدان بنافورتين والى اخر شرقي غير مرصوف فيه اقنية صغيرة .

وفي أقصى الجهة الشرقية لهذه الرحبة سرداب صغير وهو عبارة عن تجويف في القصر وعند كل جانب من هذا الكهف ثلاثة تجاويف منقورة بالصخر تجتمع حول ساحة مربعة الشكل وتعرف هذه التجاويف بالسجن وأحيانا تعرف ببركة السباع أو (هاوية السباع) •

#### القصر الجص في الحوصلات

تقع آثار هذا القصر الى الغرب من نهر دجلة على بعد ١٩ كيلومترا من مدينة سامراء في السهل الذي يقع على الجانب الأيسر من نهر الاسطحي وقد باشرت مديرية الآثار التنقيبات في موقعه ابتداء من عام ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦ م بكشف جميع اقسامه ووضعت مخططا له •

وقد جرفت مياه دجلة الزاوية الشمالية الغربية من القصر فزال معالم السور الخارجي من الجهتين الشمالية والغربية زوالا تاما كما زال الضلع الشمالي من السور الداخلي ايضا واما الضلع الشرقي من هذا السور فلم يبق منه الا ربه الجنوبي فقط •

ومع الاسف الكبير فانه لم يشر الى هذا القصر لا في المراجع العربية ولا بحوث الآثار بين المحدثين وان المصدر الوحيد الذي بين ايدينا هو تقرير بعثة التنقيب التي لوفدها مديرية الآثار •

يتألف القصر من بناية مربعة طول ضلعها ١٤م واما طول السور الخارجي فيقدر بنحو ٣٥٠ م ويظهر من ذلك ان المساحة التي تشغلها بناية القصر مع السور الداخلي لا تقل عن تسعة عشر الف متر مربع واما مساحة القصر مع حديقته وسوره الخارجي فتزيد على المائة والثلاثين الف متر مربع •

كما هو ملاحظ في المخطط المرفق فان قاعة مربعة كبيرة طول كل ضلع من اضلاعها ١٥٤٠ م تقع في مركز البناية ويبلغ سمك جدران هذه القاعة ٢٢٠ مترا ويستدل من ذلك انها كانت تحمل قبة ويغلب على الظن ان النور

كان يدخل الى هذه القاعة من نوافذ مفتوحة في قاعدة القبة • تتصل هذه القاعة المركزية بأربع قاعات مستطيلة من وسط اضلاعها الاربعة بواسطة اربعة مداخل كبيرة •

وان كلا من هذه القاعات الاربعة المستطيلة تتصل من وسط ضلعها الطويل بدھليز مستطيل ويتصل هذا الدھليز بالخارج بباين متناظرين مفتوحين في طرفي ضلعه الطويل •

ويمتد امام هذين البابين اللذين يؤلفان مداخل القصر في كل ضلع من اضلاعه الاربعة دكة عريضة تطل على الساحات الممتدة بين القصر والسور الخارجي •

وعدا ذلك ففي كل ايوان من الاولوين الاربعة غرفتان تفضيان الى الصحن كما يوجد في منتهى كل قاعة من القاعات المستطيلة التي تحيط بالبهو المركزي قاعة مربعة توصل هذه القاعات بعضها ببعض •

ان الاقسام التي وصفناها تؤلف حول البهو المركزي شكلا مصلبا تام التناظر واما الساحات التي بين اضلاع هذا المصلب المتناظر فتقسم الى عدة احواش ( بيوت ) على النمط التالي :

ان التقسيمات التي تشاهد في الجهة الجنوبية الشرقية تكون عشرة احواش صغيرة يتراوح عدد غرفها بين الستة والثمانية ويستقبل كل واحد منها بمدخل خاص ومرحاض وحمام خاص •

تفتح مداخل هذه الاحواش على الممر الذي يمتد على طول السور الداخلي واما مداخل بقية الاحواش فتفتح على ممر خاص يقع عموديا على ممر السور وينفذ الى قلب القصر غير ان تقسيمات القسم الذي يقع بين الصحن الغربي والصحن الشمالي تشبه الزاوية الجنوبية الشرقية وتكون احواشا متناظرة مع احواش تلك الزاوية •

واما تقسيمات الزاوية الشمالية الشرقية من القصر فاهما مندرسة تماما ومع هذا يظلم على الظن انها كانت شبيهة بتقسيمات الزاوية الغربية الجنوبية نظرا للتناظر الذي يشاهد في الاقسام المعلومة من مخطط القصر .

السور الذي يحيط بناية القصر كان مدعما بمائة برج اربعة منها كبيرة ومستديرة في الاركان الاربعة وبقية الابراج موزعة على اساس اثني عشر برجا في كل نصف ضلع من الاضلاع الاربعة .

واما ابراج السور الخارجي فلم يكشف منه الا برجان وقد تبين ان قطر كل واحد منهما كان ثمانية امتار كما ان المسافة التي بين كل برجين كان خمسة وعشرين مترا .

لقد بنيت الاقسام المركزية من القصر بالجص والآجر واقسامه الاخرى مع السور المحيطة به مبنية بالجص المزوج بشكل يشبه الكونكريت وقد استعمل في بناء الاسس النورة والرماد عوضا عن الجص واما السور الخارجي فقد بني باللبن .

اما اسم القصر فان مديرية الآثار كانت قد اطلقت اسم ( الحويصلات ) على هذا القصر نسبة الى اسم محلي لموقع ( تل الحويصلات ) ولكنه بالتأكيد غير الاسم الحقيقي له .

واله من الاهمية بمكان ان نذكر ان اليعقوبي ذكر في رواية له وجود بعض المباني على الجانب الغربي لنهر دجلة في عهد المتصم فقال ( لما فرغ المتصم من الخطط ووضع الاساس للبناء في الجانب الشرقي عقد جسرا الى الجانب الغربي وانشأ الممارات والبساتين والجنائن ) الا انه لم يقدم في روايته هذه اية تفصيلات عن الممارات واسماها غير ان سهراب اثناء حديثه عن نهر الاسحافي يشير الى قصر يلحي بـ ( قصر الجص ) فيقول ( يحمل من دجلة من غربها نهر يقال له الاسحافي اوله اسفل من تكريت بشيء يسير يمر في

غربي دجلة ( عليه ضياع و عمارات ) وير بطيرهان ويحيى الى قصر المتصم بالله المعروف بقصر الجص ) •

وتميل المؤسسة العامة للآثار الى ان محل القصر الذي ظهر من التنقيبات في الحويصلات ينطبق على محل القصر الذي جاء ذكره في رواية سهراب وتؤكد في نشرتها ان قصر الحويصلات انما هو ( قصر الجص ) الذي ورد في هذه الرواية •

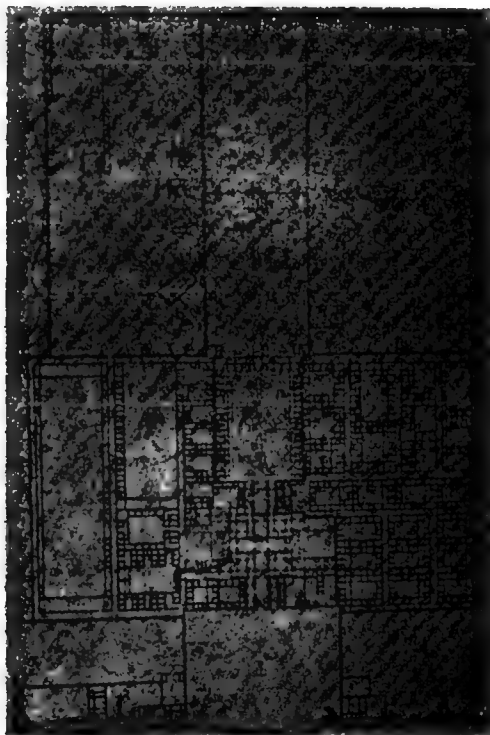
### قصر بكوايا :

يشتمل موقع القصر على حقل كبير من الخراب يعرف اليوم باسم « المنقور » على بعد ستة كيلومترات جنوبي مدينة سامراء الحديثة عند الطرف الجنوبي في منطقة الاطلال القديمة وهناك عقد كبير قائم وسط مساحة كبيرة من الاطلال منتظمة التخطيط منا دفع ( هرزفيلد ) الى التنقيب هناك بين الثاني عشر من تموز والثامن من تشرين الاول لعام ١٣٣٩ هـ / ١٩١١ م •

وسرعان ما وجد ( هرزفيلد ) انه ازاء قصر عظيم كبير ( شكل - ٨ ) يتكون من مساحة مستطيلة طول سورده الخارجي ( ١٥٠ م ) مدعم بابراج يرتكز جانبه الجنوبي على ضفة نهر دجلة الذي يرتفع هنا حوالي ( ١٥ م ) • وللأطلال ثلاثة ابواب كل باب منها يقع في وسط الجدران المؤدية الى الياسة ( اي الجدران الشمالية والغربية والشرقية وليس هناك باب للحائط الجنوبي الذي يؤدي الى النهر ) ويخترقها طريقان رئيسيان متقاطعان •

وفي الجهة التي يحدها النهر اقتطع الذراع الجنوبي الغربي للشارع الرئيسي وحل مكانه مستطيل ابعاده ( ٤٦٠ × ٥٧٥ م ) محاط بسور مدعم بابراج ويمتد من شاطئ النهر الى نقطة تقاطع الشارعين الرئيسيين •

والقصر مقسم الى ثلاثة مستطيلات متوازية كما هو الحال في دار



شکل - ۸  
مخطط قصر بکوارا

الامارة في الكوفة وقصر المشتى وقصر المعشوق • والقصر الداخلي له مدخل واحد كبير في وسط جداره الشمالي الشرقي ويحتوي المستطيل الاوسط العديد من قاعات الشرف وحجر ووحدات سكنية وقاعة للعرض وفي القصر ايضا ثلاث رحبات ( احواش ) وتسع قاعات مرتبة على هيئة متصالية وقد روعي تناسق محوري تام في وحدات القصر وتهتج قاعات الشرف على الرحبة الثالثة كقاعات كبيرة ومفتوحة على النهر •

وهناك حديقة تقع خارج القصر يحيط بها سور مغطى بالملاط وينتهي عند الشائيء بسقفيات غنية بالزخارف وفي وسط الحديقة حوض للماء وخارج الحديقة مرفأ للسفن •

وواجهة القصر المطلة على الرحبة والحديقة تتألف من ثلاثة عقود متتالية كما هو في باب العامة بقصر المعتمص وهذه الواجهة التي تتألف من ثلاثة عقود يزيد العقد الاوسط فيها على العقدین الجانبیین في الارتفاع والاتساع ويشير كل من هرزفيلد وكرزويل بان هذا الاسلوب مشتق من مداخل الشارع الهليني واقواس النصر ولكننا نعتقد بان هذا الاسلوب قد عرف في العمارة العراقية القديمة اذ انه كبير الشبه بالاسلوب الشبيه بالبازليكي فيما يتعلق بارتفاع العقد الاوسط فيه •

وكانت هذه القاعات تستخدم كما تفيد رواية من كتاب الاغانبي للاجتماعات العامة والقاعات الخارجيتان على المحور المستعرض لها (شكل ١) اما القاعات الخمس الداخلية المنظمة على شكل صليب فان القاعة الوسطى منها والتي لها شكل مربع تستخدم للاجتماعات الخاصة وهناك اربع مجموعات من الغرف المتشابهة تماما بين اذرع الصليب الكبيرة مسقفة بالخشب ومن المحتفل بسقف معقود احيانا والغرف الصغرى لها عقود من طابوق مغطاة بالطين •

ويشتمل الجانبان الاخران من المستطيل الكبير على مجسوة بيوت منفردة وكان الفضاء الواقع بين النهر وخط الجانب الداخلي لقاعة الشرف الثالثة كان يتسع لهذه البيوت اما الفضاء بجانب القاعتين الاوليتين فبقى من غير بناء تقريبا والبيوت المنفردة هذه كانت على نفس اسلوب بيوت الخاصة في سامراء وهي تتألف من ست عشرة غرفة تتجمع حول فناء.

وقد كشف عن مسجدين في هذا القصر ، الاول ابعاده ( ١٥×١٣ م ) له صفان من الاعددة الخفيفة المصنوعة من خشب الساج او الرخام وتخلفت اثار مواضعها في الاساس فقط ولم يتبق شيء من جدران المسجد ايضا اتزع الطابوق المخفور واخذ جميعه فأصبح من الصعب تمييز شكل المحراب ، والمسجد الثاني وجد في القسم الجنوبي المقابل ابعاده البسيطة ( ٧٦×٣٥ر ١٠ م ) وهو مشيد بطابوق من اللبن ولهذا السبب فانه لم يؤخذ وله ثلاثة ابواب في جداره الشمالي ويتألف محرابه من حنية مستديرة عميقة تحيط بها حلية ذات تقوير مشكلة اطارا مستطيلا .

ان قصر بلكوارا يعد عملا معماريا من الطراز الاول لا لسعة مساحته وانما لما فيه من مظاهر معمارية غنية وان المرء يستطيع ان يدرك تأثيره الكبير في النسيج اقسامه وتخطيط قاعاته ورحبائه وتباين اشكال مداخله وبلغ اقصى عظمته بواجهته ذات الثلاثة عقود والمزخرفة بالموزاييك ونفس الشيء بالنسبة الى مادة البناء المستخدمة كما ان اختيار الموقع كان ذا مهارة مضاعفة اذ ان الواقف في الحجرة الوسطى يرى باتجاه الشمال الغربي صفا كبيرا من القاعات ورحبات الشرف الثلاث مع بواباتها والقاعات والحديقة والنهر وكذلك الاراضي المتوجة الممتدة للجزيرة .

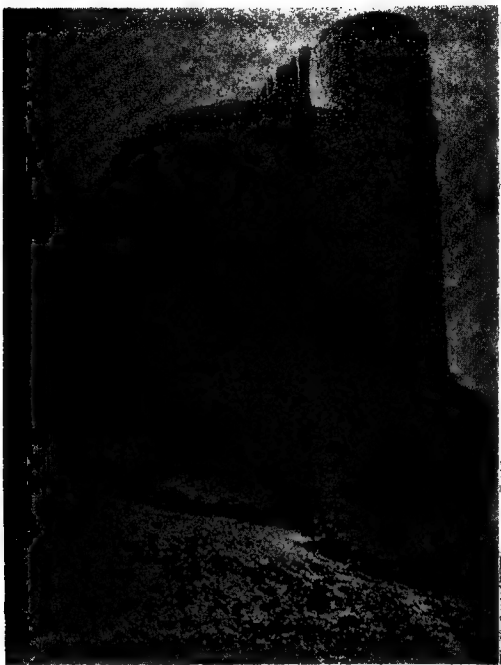
اما باني هذا القصر الكبير فهو الخليفة المتوكل وتاريخ بنائه يمكن حصره بين سنتي ٢٤٠ و ٢٤٥ هجرية / ٨٥٤ و ٨٥٩ ميلادية .

### قصر المشوق

يقع قصر المشوق ( الذي يعرف في الوقت الحاضر باسم العاشق ) على طريق بغداد - الموصل الرئيسي بمسافة ( ١٣٥ كم ) شمالي مدينة بغداد على الضفة الغربية لنهر دجلة مقابل دار الخليفة والى الجنوب من قصر الجص في الحويصلات ويعتبر هذا القصر من القصور العباسية المهمة وقد عرف عند المؤرخين باسم ( المشوق ) وتناقله الناس في العقود المتأخرة باسم ( العاشق ) حظى هذا القصر باهتمام المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب امثال يعقوبي وياقوت وابن جبير كما حظى بعناية علماء الآثار والباحثين الاجانب امثال ( ثيول ) و ( هرزفيلد ) و ( البارون فون اوبنهايم ) و ( سلادان ) و ( بل ) واولته المؤسسة العامة للآثار عناية خاصة فعمدت الى رفع الانقاض عنه وصيافته المواسم ١٩٦٣ - ١٩٦٤ و ١٩٦٤ - ١٩٦٥ و ١٩٦٥ - ١٩٦٦ و ١٩٦٦ - ١٩٦٧ م ولا زالت هيئة فنية تقوم بصيانة القصر .

يتألف القصر من طابقين وهو مستطيل الشكل طوله ١٣١ م من الشمال الى الجنوب وعرضه ٩٦ م من الشرق الى الغرب يحيط به سور مدعم بأبراج وبين هذا السور والقصر عدة مباني يلتف حول القصر وسوره خندق واسع كان يأخذ مياهه من قناة جوفية تنحدر من العيون التي كانت في اراضي الجزيرة الغربية المرتفعة فتفسي الى خندق القصر الذي كان مرتفعا بالنسبة الى منسوب مياه نهر الاسحاثي ويبلغ عرض الخندق ( ٤٠ م ) ويشاهد امام القصر آثار لبركة واسعة .

وفي كل ركن من الاركان الاربعة لسور القصر برج ( شكل - ٩ )



شكل - ٩  
احد الابراج الركنية في قصر المشوق

وستة أبراج متوسطة في الجانبين الشرقي والغربي وأربعة أبراج في الجانب الجنوبي واثنان فقط في الشمالي وذلك لوجود البوابة البارزة (شكل-١٠) -



شكل - ١٠

#### أبراج السور في قصر المعشوق

وفي الجهة الشمالية من القصر بقايا جدران امكن الاهتداء بواسطتها على مرافق القصر وقد وجد ان جدران الجبهة الامامية تلاصق من الخارج مجموعة من الغرف بهيئة مستطيلات متوازية ومتعامدة على هذا الجدار وظهر ان احداها وهي الغرفة الشرقية تكون ممرا يؤدي الى مرافق القصر العليا ويحتسب ان يكون هذا الممر مدخلا للقصر من جهته الشمالية وقد شيد هذا المدخل بهيئة سلم منحدر على دفن من الاتربة ويرتفع هذا البناء الى مسافة اربعة امتار ثم ينعطف نحو اليسار وبعد مسافة (١١ مترا) ينحرف مرة اخرى

فتحوا اليسار مشكلا ممرا يصل نقطة فوق باب المدخل وعندها ينتهي الدفن  
المشيد عليه السلم وظهرت دلائل معمارية تؤكد استمرار هذا السلم وانعطافه  
يسارا ومرة ثالثة ابتداء من نقطة انتهاء دفنه حيث يصل بمعد مشيد من الخشب  
مشكلا سقفا للسلم الاسفل يؤدي بعد مسافة ( ١١ م ) الى مدخل عرضه  
متران يفضي الى مرافق القصر وقد عثر على نوافذ عديدة تتخلل جدران  
المدخل للاضاءة والتهوية .

بنى هذا القصر الكبير الخليفة العباسي المعتمد على الله بن المتوكل في  
عام ٢٧٥هـ / ٨٨٨م وقد اقام فيه قبل ان يترك سامراء نهائيا الى بغداد وقد اشار  
اليعقوبي الى ذلك بقوله ( ان المعتمد لما ارتقى عرش الخلافة اقام بسر من رأى  
في الجوسق وقصور الخلافة ثم انتقل الى الجانب الشرقي ( يقصد الغربي )  
بسر من رأى فبنى قصرا موصوفا بالحسن سماه المشوق فنزله فاقام به حتى  
اضطرت له الامور فانتقل الى بغداد ) وهناك من يرى ان المعتمد اكمل بناءه قبل  
ستين من عودته الى بغداد حيث غادر سامراء نحو بغداد في عام  
٢٧٩هـ / ٨٩٢ م .

ومن المؤكد ان بقايا هذا القصر تشير الى ان الخليفة المعتمد كان يهدف  
الى بناء قلعة حصينة توفر له الحماية الكافية بالاضافة الى السكن والاقامة  
فيه مع اهله وحاشيته اذ ان تدعيم السور بالابراج وحفر خندق حول هذا  
السور يؤكد هذا الرأي كما ان المزاغل التي لا يوجد لها اثر اليوم في الجدران  
فان من المحتمل انها كانت موجودة .

#### قصر فرقة سراي في الموصل :

تقع بقايا هذا القصر على نهر دجلة شمالي مدينة الموصل القديمة ومقابل

الميدان وينسب بناؤه الى عماد الدين زنكي بعد استيلائه على ( دار المملكة )  
التي اسماها السلاجقة وكانت مجموعة من القصور عرفت باسم ( دور السلطان )  
وقد اولاهما عماد الدين اهتمامه فأعنتى بتنظيمها وهندستها وتزيينها بالنقوش  
والكتابات واصبحت تشغل مساحة من الارض تمتد من القلعة الى باب المشرقة  
وهو احد ابواب سور الموصل الذي يؤدي الى النهر .

وقد قام اولاد عماد الدين فيما بعد بتوسعة هذا القصر حتى اصبحت  
تنافس دور الخلفاء والسلاطين في زخارفها واحكامها وقد وصف ابن القلانسي  
في عام ( ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ) ما تحويه من تزيين وزخرفة واتقان فقال :

وكم بيت مال من نضار وجوهر      وانواع ديباج حوتها مخاتمها  
وكم قد بنى دارا تباهى بحسنها      جنان خلود احكمتها عزائمها  
مزخرفة بالتبر من كل جانب      واغصان بقى قد تثلت حمائمها

وكان يفصل هذه الدور والقلعة عن المدينة طريق يمتد من اعلى البلد الى  
اسفلها موازيا للسور العقيلي وهو من باب المشرقة الى المدرسة العزية الى  
قبر الشيخ الفتح الموصل الى باب سنجار ( باب الميدان ) وبنى عماد الدين  
سورا حفر به الميدان من القلعة الى باب سنجار فأصبح يحفر بالميدان سوران  
السور العقيلي وهذا السور . وجدد بدر الدين لؤلؤ بعد ان اغتصب الحكم  
من اولياء نعمته الاتابكة اجزاء كبيرة من هذه الدور واحكم عمارتها وتحصينها  
واتخذ لها بابا قويا من الحديد وصارت تعرف بـ ( الجوسق البدرى ) .

ولازالت قاعتان شاخستان من هذا القصر تطلان على نهر دجلة وفوقهما  
قاعتان ايضا تساقط الكثير من جدرهما والقاعة الجنوبية خالية من الكتابة  
والزخرفة اما القاعة الشمالية فقد كتب بدر الدين لؤلؤ حولها وعلى ارتفاع

خمسة امتار بالجيس النص التالي «...الرحمن الرحيم عز لمولانا الملك الرحيم  
العالم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد الم رابط المثار الغايزي بدر الدنيا  
والدين عضد الاسلام والمسلمين تاج الملوك والسلطين محيي العدل في  
العالمين » .

وهناك شريط من كتابة اخرى يزيد طولها على ( ٣٣ م ) تشير الى عمارة  
القصر في زمن بدرالدين على مسنقة فوق نهر دجلة مكتوبة بقلم الثلث وقد سد  
الفراغ بين الحروف بزخرفة من زهر الربيع الموصللي بشكل بارز ثلاث مرات .  
هذا نصها : « امر بعمارة هذه البنية المباركة مولانا الملك الرحيم العالم العادل  
المؤيد المظفر المنصور المجاهد الم رابط بدر الدنيا والدين عضد الاسلام  
والمسلمين ق ( اتل ) الكفرة والمشركين قاهر الخوارج المرتدين محيي العدل  
في العالمين ابو الفضل لـ ( .. ) ابن عبدالله حسام امير ( ر ) المؤمنين اعز الله  
انصاره بسحمد واله وذلك في ولاية الـ .. حم .. ( سعدا ) لدين سنيك بن  
عبدالله الملكي البدري سنة ثلاثين وستمائة » .

## المراجع

- ١ - البلاذري « فتوح البلدان » ، القاهرة ١٩٣٢ م .
- ٢ - الطبري . « تاريخ الامم والملوك » ، القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٣ - ابن جبير « رحلة ابن جبير » طبع مدينة ليدن ١٩٠٧ م .
- ٤ - الخطيب البغدادي « تاريخ بغداد » ، القاهرة ١٩٣١ م .
- ٥ - اليعقوبي « البلدان » طبع مدينة ليدن ١٨٩٢ م .
- ٦ - د . كاظم الجنابي . « تخطيط مدينة الكوفة » ، طبع دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٧ م .
- ٧ - د . طاهر مظفر العميد « تأسيس مدينة الكوفة » مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٦ ، ١٩٧٨ م .
- ٨ - د . طاهر مظفر العميد « بغداد مدينة المنصور المدورة » ، النجف الاشرف ، ١٩٦٧ م .
- ٩ - سعيد الدويهي « تاريخ الموصل » مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، طبع جامعة الموصل ١٩٨٢ م .
- ١٠ - فريال مصطفى « البيت العربي في العراق في العصر الاسلامي » دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٨٢ .

- ١١- داخل مجهول
- ١٢- « مجموعة تلوث الشعبية » مجلة سومر ، المجلد ( ٢٨ ) لسنة ١٩٧٢ ،
- ١٣- د . مصطفى جواد و د . احمد سوسة  
« دليل خارطة بغداد » المجمع العلمي العراقي ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- ١٣- شريف يوسف  
« تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور » ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٢ م بغداد .
- ١٤- د . طاهر مظفر العميد  
« العمارة العباسية في سامراء » ، منشورات وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٦ م .
- ١٥- مديرية الآثار القديمة  
« حفريات سامراء » ، مطبعة الحكومة بغداد ١٩٤٠ م .
- ١٦- ربيع القيسي  
« الصيانة الأثرية في قصر العاشق » ، مجلة سومر ، المجلد ( ٢٣ ) سنة ١٩٦٧ م .
- ١٧- مديرية الآثار القديمة .  
« سامراء » ، مطبعة الحكومة .

Creswell, Early Muslim Architecture, 2 Vols. (Oxford, 1932-40).

Hersfeld and Sarre, Archäologische Reise in Euphrat-und Tigris Gebiet. 4 Vols. (Berlin 1911-1920).

Hersfeld, Geschichte der Stadt Samarra, (Berlin 1948).

Viollet, Le Palais d'al-Mutasim fils d' Haroun-al-Raschid, a Samarra et de quelques monuments arabes peu Corpus de la Mesopotamie (Paris 1909).

Viollet, Description du palais de al-Moutasim Fils d' Haroun al-Raschid a Samarra., (Paris 1911).

Al-Amid, The Abbasid Architecture of Samarra in the Reign of both Al-Mutasim and Al-Mutawakkil, (Baghdad 1973).

Hameed, Art., New Lights on the Ashiq Sumer, (30). 1974.

## البحث الثالث

# المدارس

لقد كانت المساجد التي اقيمت في صدر الاسلام بشابة المعاهد التي تؤدي خدمة التعليم الى جانب وظيفتها الدينية الرئيسية اذ لم يكن للمسلمين في عصر الرسول (ص) اماكن مخصصة للتعليم والدراسة وانما كان مسجد الرسول (ص) في المدينة ملتقى الصحابة حيث يؤدون فيه الصلوات ويستمعون الى تعاليم الرسول وتوجيهاته كما كانوا يتلقون فيه مبادئ القراءة والكتابة . واستمر المسلمون في عهد الخلفاء الراشدين يتعنون اصول العقيدة واصول القراءة والكتابة في مسجد الرسول (ص) بالمدينة المذكورة كما كانت مساجد البصرة والكوفة في العراق تؤدي نفس الغرض وفي العصر العباسي نشأت فكرة فصل المدارس عن المساجد ونبت الرغبة في تكريس مرافق تخصص لتدريس مختلف نواحي العلم تكون مستقلة عن المساجد وكان نصيب العراق من هذه المدارس الكثير اذ نشأت في بغداد والبصرة والكوفة وواسط والموصل مدارس عديدة في هذه الفترة وسوف نقتصر في بحثنا هنا على ثلاث مدارس لازالت قائمة حتى اليوم هي المدرسة المستنصرية في بغداد ، المدرسة الشراية في بغداد ( القصر العباسي ) والمدرسة الشراية في واسط .

## المدرسة المستنصرية

• بناها الخليفة العباسي المستنصر بالله بغداد في جانب الرصافة على نهر دجلة في سنة ٦٢٥ للهجرة ١٢٢٧ م وقد انتهت عمارتها واصبحت متكاملة في شهر جمادى الآخرة لسنة ٦٣١ هجرية - ١٢٣٤ م وكان بناؤها غاية في الروعة والاحكام حتى حدا ببعض المؤرخين ان يشيروا انه لم يبن على وجه الارض اجسن منها ويشير صاحب الحوادث الجامعة ان افتتاحها تم في اليوم الخامس من شهر رجب في نفس السنة وقد احتفل بالانتهاء من عمارتها وافتتاحها باحتفال عظيم •

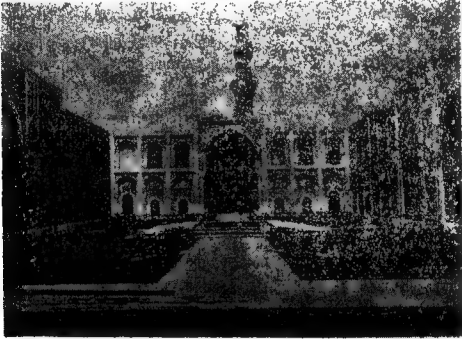
للمدرسة المستنصرية اهمية خاصة من الناحية الخططية لانها من المباني التي لا تزال قائمة حتى اليوم ويمكن الاستدلال بها في تعيين المواضع المجاورة التي لم يبق لها اثر ما ومثال ذلك ان الرحالة ابن بطوطة وصف هذه المدرسة بقوله انها تقع في اخر سوق الثلاثاء ومن ذلك نستدل على ان سوق الثلاثاء كانت تحت المدرسة مباشرة •

اما الدافع الذي حفز الخليفة المستنصر الى بناء هذه المدرسة فهو الدافع الديني وخدمة اللغة العربية وتيسير العلوم للناس ولعل الخليفة المستنصر اول من ابتكر فكرة جمع المذاهب الفقهية الاربعة في بناية واحدة •

تعد المدرسة المستنصرية بمثابة اول جامعة في العالم الاسلامي عنت بدراسة علوم القرآن والسنة النبوية والمذاهب الفقهية وعلوم العربية والرياضيات وقسمه الفرائض والتركات ومنافع الحيوان وعلوم الطب وحفظ قوام الصحة وتقويم الابدان ولعل اهم ما تمتاز به هذه المدرسة عن المدارس التي سبقتها والمعاصرة لها وجود بناية خاصة للطب ملحقة فيها وكان بازاء باب المدرسة ساعة يستعان بها في معرفة اوقات الصلاة والدرس صنعها نورالدين علي بن تغلب الساعاتي وهو الذي كان يشرف عليها والعناية بها •

### تخطيط المدرسة

المدرسة على شكل مستطيل طولها من الشمال الى الجنوب ١٠٤ر٨٠ م وعرضها من الجهة الشمالية ٤٤ر٢٠ م ومن الجهة الجنوبية ٤٨ر٦٠ م فتكون مساحتها ما يقرب من ٤٨٣٦ مترا مربعا هذا باستثناء ( الرصيف ) الحالي المطل على نهر دجلة البالغة مساحته ١٢٢٧ر٢٠ مترا مربعا ( شكل - ١١ ) .



شكل - ١١

الاولوين والحجر وصحن المدرسة المستنصرية

يتوسط المدرسة صحن كبير مستطيل طوله ٦٢ر٤٠ م وعرضه ٢٧ر٤٠ م وتبلغ مساحته ١٧١٠ مترا مربعا وتحف بهذا الصحن من جوانبه الاربعة غرف المدرسة وقاعاتها المؤلفة من غرف نوم وقاعات الدرس والايوانات والاروقة وخزانة الكتب والمخازن .

تتألف المدرسة من طابقين في كل طابق مجموعة كبيرة من الغرف ومعظمها صغيرة الحجم وعددها ٧٨ غرفة تقع ٣٩ غرفة منها في الطابق الاول ومثلها في الطابق الثاني وهناك اثنتا عشرة غرفة كبيرة ومن الجدير ذكره هنا ان الرواقين الكبيرين لهذه المدرسة يرتفعان بقدر ارتفاع الطابقين .

ومن المرجح ان الغرف الكبيرة كانت مخصصة للتدريس واجتماع الاساتذة بالطلاب وان الغرف الصغيرة كانت مخصصة لايواء الطلاب .

وتزين صحن المدرسة بركة كان الماء يجري اليها تحت الارض كما يشير صاحب الحوادث الجامعة بانه في هذا الصحن جرى احتفال افتتاح المدرسة وفي وسعنا ان نقسم غرف المدرسة واواوينها في الطابق الاول الى اربعة ارباع كل ربع منها مكس لمذهب من المذاهب الاربعة الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي فالربع الذي على يمين الداخل من الباب الرئيسي للمذهب الحنبلي ويقابله ربع الشافعية والذي على يسار الداخل للمالكية ويقابله ربع الحنفية .

ويقع في شمال الصحن وجنوبه ايوانان كبيران وهما المعروفان بالايوان الشمالي والايوان الجنوبي ويبلغ ارتفاع كل ايوان بارتفاع الرواقين الكبيرين. اللذين اشرفنا اليهما ويبلغ ارتفاع الرواقين عشرة امتار وهو ارتفاع بناية المدرسة وقد بولغ في اتقان هذين الايوانين وتحديد زخرفتهما بالزخارف الهندسية والنباتية الدقيقة ويبلغ عرض كل ايوان منهما ستة امتار وعمقهما: ٨٠ ٧ م .

وكان للمدرسة المستنصرية مخزن مخزون فيه حاجيات المدرسة وادواتها وما يحتاجه الاساتذة والطلاب من ملابس وادوات وفرش كما ان فيه كل ما يحتاج اليه من انواع ما يطبخ من الاطعمة .

وكان للمدرسة بستان يطل على نهر دجلة وكان الخليفة المستنصر يحضر اليه ليستمتع بمنظر النهر وليراقب عن كتب احوال المدرسة وقد الحق بمدرسه المستنصرية بمض المباني التي تعرف بأسم ( الدار المجاورة ) وكانت تقع في شمال المدرسة وقد بقي منها ايوان فائق الزخرفة ودار الحديث لتدريس الحديث النبوي الشريف ودار القرآن لتدريس القرآن الكريم وعلومه .

### المدرسة الشرايية ( القصر العباسي )

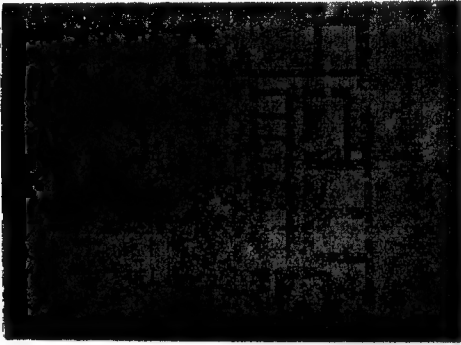
يعد هذا المبنى الواقع على نهر دجلة من المباني الرائعة في العمارة العربية الاسلامية تخطيطا وبناء وزخرفة وبالنظر لعدم توفر نصوص تاريخية او كتابة تذكارية تشير الى مشيد هذا الاثر الرائع او الى سنة البناء او الى احداث تاريخية اقترنت بالمبنى فان هوية هذا المبنى لا زالت غير مؤكدة ولازلنا نجعل اسم باليه او الذي اشرف على عمارته او الفترة التي شيد فيها .

ومن هنا تشعبت اراء الباحثين والمتبعين فانقسموا الى مجموعتين الاولى ترى ان هذا المبنى يمثل قصرا عباسيا وانه دار المسناة التي شيدها الخليفة العباسي الناصر لدين الله في عام ٥٧٦هـ - ١١٨٠م والقريين الثاني يرى ان المبنى يمثل المدرسة الشرايية التي اسسها شرف الدين اقبال الشرايبي الذي بنى ثلاث مدارس تحمل اسمه واحدة في بغداد والثانية في واسط والثالثة في مكة المكرمة .

ومن دراستنا لجميع ما كتب عن هذا المبنى وما قيل عنه من اراء وافكار فاننا نميل الى رأي الاستاذ الدكتور ناجي معروف باله يمثل المدرسة الشرايية التي انشأها الشرايبي وتكامل بناؤها في سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م .

## تخطيط المدرسة

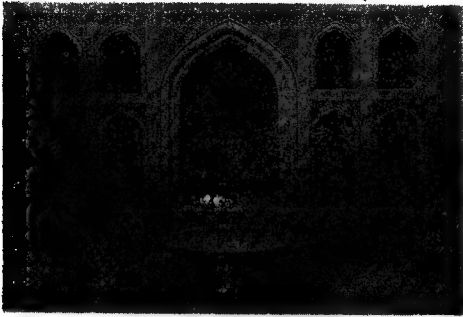
يتألف المبنى من فناء فسيح أبعاده ( ٢٠٥ × ٢٠ م ) يحيط به رواق من طابقين ( شكل - ١٢ ) وتشرف على الرواق مجموعة حجرات فوقها مجموعة



شكل - ١٢

مخطط المدرسة الشرايية ببغداد ( القصر العباسي )

غرف صغيرة الحجم نسبيا أبعاد كل واحدة منها ( ٣٨٠ × ٢٣٢ م ) تقريبا ويرتكز الرواق في كل طابق لقسمي البناية الشمالي والجنوبي على ثنائي دعامات وفي القسم الشرقي منه يقوم إيوان مهيب يمد أجمل أقسام المبنى ببناء وارتفاع أبعاده ( ٨٥ × ٥ م ) وارتفاعه أكثر من تسعة أمتار تقريبا ( شكل - ١٣ ) ويرتفع عقده لمستوى الطابقين وسقفه يضيء الشكل تحف به زخارف جميلة قوامها زخارف نباتية وهندسية .



شكل - ١٣

الايوان والحجر والاروقة المطلة على الصحن ( المدرسة الشرايية )

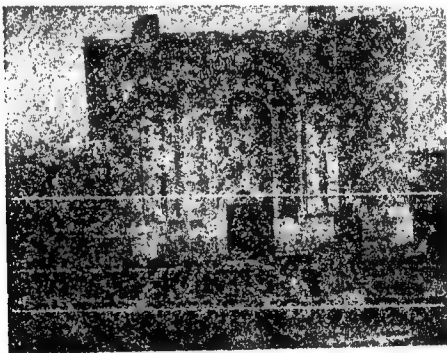
ويشرف على الصحن من الجهة الجنوبية سبع حجرات صغيرة وفوق كل حجرة من هذه الحجرات غرفة في الطابق الثاني وخلف هذه الغرف السبع دهليز طوله ( ٢٦٫٧٠ م ) عرضه ( ١٫٢٨ م ) وارتفاعه بارتفاع المبنى بطابقه ( ٩٫٢٠ م ) ويشرف هذا الدهليز على اربع قاعات كبيرة ارتفاعها بارتفاع طابق المبنى وللهليز خمسة منافذ تفضي الى القاعات واحدها الواقع في الجهة الغربية يفضي الى مدخل المبنى الرئيس المطل على نهر دجلة .

والمدخل الرئيس لهذا المبنى يقع في الجهة الغربية وقد كانت باب المدخل محاطة ببناء متأخر وعندما ازيل هذا البناء المتأخر ظهرت معالم المدخل الرئيس وامام باب المدخل مجاز عريض تقوم في مواجهته حنية كبيرة وله منفذان احدهما يتصل بالدهليز الطويل الذي اشرنا اليه والاخر يفضي الى الفناء .

وقد استخدم الآجر في بناء المنبى وهي المادة المستخدمة في مباني بغداد بصورة خاصة وغلفت اجزاء كثيرة منه بآجر مزخرف كما استخدم الآجر المنحور ذو الوجه المنصقول في بناء اجزاء اخرى منه فأكسب الآجر المختلف الانواع هذا البناء جمالا اخاذا ومنظرا مؤثرا .

#### المدرسة الشرايية بواسط :

كانت خرائب مدينة واسط تعرف بـ ( منارة واسط ) بسبب وجود المنارة القائمة شمالي المدينة بالجانب الشرقي منها والمنارة هي الاثر الوحيد الذي يرى على بعد من الخرائب ( شكل ١٤ ) وقد زار العديد من السياح الاجانب موقع المنارة في القرنين التاسع عشر والعشرين وكان ( اورمسيي ) و ( اليوت )



شكل - ١٤

صورة المدخل والمنارتان تحفان به

اول اولئك السياح حيث زاراه في عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م ويقال ان (كولدواى) و (مورتنس) شاهدا هذا الموقع عام ١٣٠٤-١٣٠٥هـ / ١٨٨٦-١٨٨٧م وزاره كذلك (الكونت امباردى لاديكرىك موفورت) اثناء تحرياته الاثرية في بلاد بابل عام ١٣٣٢ - ١٣٣٣هـ / ١٩١٣ - ١٩١٤م •

والجزء المتبقي من هذه الخرائب هو الجزء الوحيد الذي لم يكن مطمورا تحت الانقاض ويرتفع عن مستوى الارض نحو ( ١١ مترا ) ويقع في الطرف الشمالي من شطر واسط الشرقي وتؤلف الآثار المتخلفة هذه بابا واسعا ويرتفع فوقها عقد مدبب وعلى جانبي هذا الباب منارتان مزخرفتان والمنارة القائمة على يسار الباب اكثر ارتفاعا وضخامة من الثانية وهي جوفاء محلاة بزخارف آجرية منقوشة وكان الجزء الاعلى منها متصدعا ومدفونا في الانقاض اما المنارة الاخرى فانها صماء واقل ارتفاعا وضخامة كما انها خالية من الزخارف الآجرية. ويمر الباب في دهليز قصير على جانبيه حجرتان على هيئة ايوانين لهما في اركانها الامامية اعمدة ومدورات مزخرفة ويفضي الدهليز الى فناء واسع ابعاده ( ٥٢×٢٤ م ) وخلف هذا الفناء بقايا جدران قبة مئمنة الشكل لم يبق منها الا جدرانها السفلى ويظهر من سمكها انها كانت تحمل قبة عالية كما يظهر في هذه الساحة حجرات عديدة اتخذت مدافن عدا الحجرتين اللتين في طرفي الدهليز القصير الذي يلي الباب ويعتقد المرحوم يعقوب سرقيس بان الباب المشار اليه يمثل المدرسة الشراعية •

وقد درس المرحوم ناجي معروف بقايا هذه الخرائب منذ عام ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م واثار بعد مقارنة هذا الباب بابواب المدرسة المستنصرية والمدرسة المرجانية ببغداد بانه يتبين له من هذه الدراسة ان الباب الذي في واسط يحتمل جدا ان يكون بابا للمدرسة من مدارس واسط •

وقد ورد ذكر افتتاح هذه المدرسة في كتاب الحوادث الجامعة في حوادث سنة ١٢٣٣هـ / ١٢٣٤م مايلي : (وفي هذه السنة في سابع عشر شعبان فتحت المدرسة التي امر بانائها شرف الدين ابو الفضائل الشرايبي الشافعي بالجانب الشرقي من واسط على دجلة مجاورة لجامع كان دائرا فامر بتجديد عمارته ) \*  
ويظهر ان بعض مرافق المدرسة قد استخدمت لاجراض شتى ولعلمها تحولت مع الزمن الى رباط او ملجأ للفقراء او المنقطعين الى العبادة كما دفن فيه بعض الموتى ولذلك يلاحظ في بعض الاقسام التي لا تعتبر من البناء الاصلي وجود مصلى ومحراب وقبور عديدة يرجع تاريخ اخرها الى سنة ١٢٥٠هـ / ١٣٤٩م بحسب الشواهد القبرية التي عثرت عليها مديرية الاثار العامة في مواسم الحفر التي اجرتها قبل سنة ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م .

\* \* \*

## المراجع والمصادر

- ١ - ابن جبير .  
« رحلة ابن جبير » . طبع مدينة ليدن ١٩٠٧ م
- ٢ - ابن الفوطي .  
« الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٣٥١ هـ . وهو منسوب اليه خطأ .
- ٣ - د . مصطفى جواد ود . أحمد سوسة .  
« دليل خارطة بغداد » : المجمع العلمي العراقي ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- ٤ - د . حسين امين  
« المدرسة المستنصرية » ، مطبعة شفيق . بغداد ١٩٦٠ م .
- ٥ - مديرية الآثار العامة .  
« المدرسة المستنصرية » وصف اثارها الباقية وتاريخها « نشرة صدرت عام ١٩٦٠ م .
- ٦ - د . طاهر مفلح العميد .  
« دور المدارس الالثرية في التعليم في العصر المباسي »  
مجلة كلية الآداب ، ( العدد ٢٧ ) عدد خاص بمحو الامية ، نيسان ١٩٧٩ م .
- ٧ - د . ناجي معروف .  
« تاريخ علماء المستنصرية » ، مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦٥ م .
- ٨ - د . ناجي معروف .  
« المدرسة الشرايية » مطبعة العاني ، بغداد ١٩٦١ م .
- ٩ - د . ناجي معروف .  
« المدارس الشرايية » مطبعة الارشاد ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ١٠ - يعقوب سرقيس  
« مباحث عراقية » قسمان ، بغداد ١٩٤٨ م .

- ١١- مديرية الآثار القديمة  
« بقايا القصر العباسي في قلعة بغداد » مطبعة الحكومة ، ١٩٣٥ م .
- ١٢- سليمة عبدالرسول  
« القصر العباسي في بغداد » . وزارة الثقافة والاعلام ، المؤسسة العامة  
للآثار والتراث ، بغداد ١٩٨١ م .
- ١٣- د . مصطفى جواد .  
« القصر العباسي في القلعة ببغداد » مجلة سومر ، المجلد الاول ، سنة  
( ١٩٤٥ ) الجزء الثاني .
- ١٤- د . عبدالقادر المعاصيدي .  
« واسط في العصر العباسي » نشر وزارة الثقافة والاعلام ، ١٩٨٣ م .

## الفصل الرابع

# العمارة العسكرية

د. طاهر طاهر العبد

كلية الآداب - جامعة بغداد

### البحث الأول

## الباعث العسكري لبناء المدن

بنى العرب العديد من المدن بالعراق في العصر الاسلامي منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ولقد كانت الدوافع التي حفزت الخلفاء والولاة والقادة على بناء تلك المدن متعددة منها عوامل عسكرية واقتصادية وادارية وسياسية وسوف نقتصر في بحثنا هذا على المدن التي بنيت لدواع عسكرية ، كما اقام العرب في العراق العديد من الحصون والقلاع والقصور المحصنة تهدم الكثير منها وعنى عليه الزمن ولم يتخلف منها سوى آكام من التراب او نصوص تاريخية مبثوثة في المظان الجغرافية والتاريخية والادبية وسوف تتناول بالبحث هنا تلك القصور المحصنة او المنشآت العسكرية الشاخصة •

وتعد البصرة اول المدن المصرة في العراق والعالم العربي خارج الجزيرة

العربية وكان سبب بنائها في عهد الخليفة عمر هو الباعث العسكري نظراً للظروف التي واكبت حركة التحرير في العراق ورغبة الخليفة في تركيز القوة العسكرية في جنوبي العراق لكي يتخذ منها المجاهدون العرب قاعدة لاسناد وجودهم في هذه المنطقة ثم الانطلاق منها الى المناطق الشرقية التي تتواجد فيها القوات الفارسية وتمكين القوات العربية الاسلامية ان تتخذ لها مواقع في هذا القطر تمهيدا لتفتت القوات الفارسية المجوسية وكان عمر بن الخطاب يدرك اهمية موضع البصرة العسكرية في امداد الجيش الفارسي بالاسلحة والمؤن والمقاتلين في المناطق الوسطى من العراق •

ومن المؤكد ان العرب كانوا يعرفون منطقة البصرة قبل تمصيرها وانهم كانوا يجرّدون حملات عسكرية على منطقة الخريبة وكانت مسلحة العجم في الخريبة مشعونة بالجند المقاتلين الثعن العرب المسلمون جراحها بتوالي الغارات عليها فأضعفوها وشلوا مقدراتها الدفاعية •

وبعد ان استولى العرب على مسلحة الخريبة اتخذوها قاعدة لهم للانطلاق على مسالح الفرس الاخرى القريبة منها •

وقد اتخذ القائد عتبة بن غزوان من الخريبة موقعا للانطلاق نحو المسالح الفارسية الاخرى وكانت مسلحة الابله اول تلك المسالح التي اسقطها القائد وانتصر عليها كما قاتل عتبة صاحب الفرات وانتصر عليه واسره •

وبعد انتصار العرب في جنوب العراق انحسرت القوات الفارسية ولملمت شملها الممزق في شرقي دجلة فكان اتخاذ مركز عسكري اخر في وسط العراق يحقق هدف القوات العربية الاسلامية لكي نجعل فصائلها في موضع اشبه بـ (معسكر ترحيل) لتجعل من نفسها قوة ضاربة تقاثل الاعداء ثم تؤويه اليه عندما تحقق الغرض من انطلاقها •

لذا امر الخليفة عمر قائده سعد بن ابي وقاص ان يتخذ للجيش العربي لاسلامي المحارب مركزا يقيمون فيه وقت السلم وينطلقون منه حين تاذن الحرب وكان القائد سعد يرى بعد انتصاره على الفرس في المدائن ان ينزلها مع جنده وكتب الى الخليفة يشعره بذلك ولكن الخليفة عمر التزاما منه في الحفاظ على مقومات الامة ومسؤوليته الكاملة في الابقاء على ارواح المجاهدين بعيدا عن خطر الاعداء الفرس وادراكه بان الجند العرب المسلمين انذاك كانوا جنودا محاربين تحت السلاح وانهم سوف يكون كذلك حتى تصل مبادئ الدين الجديد الى لوسع رقعة جغرافية ممكنة وانه من الافضل ابقائهم في اماكن عسكرية بحتة لكي يشعروا دائما ان المهمة التي قدموا لاجلها من الجزيرة العربية لم تنته بعد لكل هذه الاسباب اوعز الخليفة لقائده ان يترك المدائن فاستجاب القائد سعد الى رغبة الخليفة فاتجه نحو الغرب مسترشدا بتوجيه الخليفة الذي حدد له الاتجاه بقوله في ما كتب اليه ( ان تنزلهم منزلا غريبا ) \*

واتخذ القائد سعد من الانبار موضعا لمدينته وبنى فيها مسجدا الا انها لم تمجبه فتحول عنها وتشير النصوص التاريخية ان سبب تحوله عنها كثرة الذباب ويرى الدكتور الجناي ان هذا لم يكن السبب الحقيقي لترك سعد مدينة الانبار ويشير ان السبب حربي بحت اذ ان الانبار لا تصلح من الناحية الحربية لوجود عائق طبيعي هو الفرات وما يتسبب عنه وعن بحيرة الحبانية من فيضانات ومستنقعات ولبعدها عن العاصمة المدينة \* واقبل سعد نحو كوفة ابن همر والظاهر انها لم تمجبه لان الماء محيط بما فتركها ثم توجه نحو موضع الكوفة وانتهى الى الظهر وكان يدعى ( خد العذراء ) بنبت الخزامي والاقحوان والشيخ والقيصوم فاخطت مدينته فيه عام ١٧ هـ \*

يوفر موضع الكوفة من الناحية العسكرية الحماية الكافية اذ ان موقعها

في سرف الصحراء العربية وعلى ضفاف احد فروع نهر انقراش يشبع رغبة الخليفة في ان لا يفصل بين المدن المقامة وبين مركز الدولة في المدينة المنورة حاجز ضيعي حتى يكون في مقدور الجند العرب التراجع الى الصحراء اذا ما بوغثوا بهجوم كبير من القوات الفارسية القادمة من الشرق كما ان وقوع المدينة في مكان مرتفع يبعدها عن اخطار الفيضان ويسلم ارضها من تجمع المياه الاسنة .

ويبدو الاثر العسكري واضحا في تأسيس مدينة واسط التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي في منطقة تقع جنوب غربي مدينة الكوفة العالية ومن المؤكد ان الباعث العسكري كان في قمة الاهداف التي حملت الحجاج على بناء مدينة واسط وقد اوضح ( بحشل ) مؤرخ واسط ذلك في رواية له على لسان الحجاج قوله : ( اتخذ مدينة بين المصرين اكون بالقرب منهما اخاف ان يحدث في احد المصرين حدث وانا في المصر الاخر فمر بواسط القصب فأعجبته فقال : هذا واسط المصرين .

والواضح ان قيام العديد من الثورات على الحكم الاموي وعلى الوالي الحجاج قد عجل بتأسيس المدينة منها ثورة عبدالله بن الجارود في البصرة وثورة شبيب بن يزيد الشيباني في الكوفة وحصاره للحجاج في مقره بدار الامارة والقلاب قائده عبدالرحمن بن محمد بن الاشعث عليه وهروب الحجاج الى البصرة وانحياز معظم اهالي البصرة والكوفة الى ثورة الاشعث كل ذلك حفز الحجاج لان يبنى له ولجند الشاميين مركزا حصينا بعد ان اوضحت له الثورات التي اشرفنا عليها غدم ولاء أهالي المصرين له ولا مارتة .

والظاهر ان موضع واسط قد اعجب الحجاج نظرا لما يتمتع به هذا الوضع من مزايا عسكرية واقتصادية ومناخية وما دمنا بصدد بحث الاثر

المسكري في بناء واسط فأنا نلاحظ بأن هذه المدينة قد تأسست بين نهرى دجلة والفرات فيكون نهر دجلة حاجزا طبيعيا في شرق المدينة يضفي على موقعها استراتيجية عسكرية بالغة الاهمية وكذلك وجود نهر الفرات الى غربه .

ولعل اهم مظاهر مدينة واسط العسكرية موضعها العسكري الحصين وما تشتمله مبانيها وخاصة الخندق والسورين من قوة تكسب المدينة منعة وقوة دفاعية كبيرة فموضع واسط بين نهرى دجلة والفرات يضفيان على هذا الموضع اهمية عسكرية مميزة اذ يصعب على المهاجمين للمدينة التوغل لمحاصرة واسط اذا ما قطعت الجسور فيكون الحجاج ومقر ولايته في مأمن من هجمات اعدائه والقضاء عليه في عقر داره فضلا عن ان هذا الموضع الذي يتوسط اقليم العراق تقريبا وعلى مسافة واحدة من مدن البصرة والكوفة والاحواز يتيح للحجاج سهولة انفاذ جيشه الى اية واحدة منها او الى اية مدينة شرق العراق تخرج عن طاعة الامويين وتهدد كيانهم في المشرق .

ومن مظاهر تحصينات مدينة واسط وجود الخندق حولها مما يميز مهمة الدفاع عن المدينة ويجعل اختراق سورها امرا صعبا ومعلوماتنا عن هذا الخندق مقتضبة اذ لم تذكر لنا المراجع التاريخية مقدار عرضه وعمقه وفيما اذا كانت له مسناة ويشير بعض المؤرخين بانه كان يحيط المدينة خندق واحد بينما يذكر ياقوت الحموي انه كان لها خندقان .

وزيادة في تحصين مدينة واسط احاطها الحجاج بسور ، وفهم من رواية بعض المؤرخين انه كان للمدينة سوران يفصل بينهما فصيل مهمته الدفاع عن اقسام المدينة ، وقد اسكت المراجع التاريخية عن وصف هذين السورين ومن المؤكد ان السور الخارج كان منكما باراج مزودة بالمواغل لرشق السهام ويبدو ان سور المدينة بقي قائما في بالمتطلبات العسكرية حتى سنة ٥٢٦هـ ٨٧٧م

اذ نفيد رواية للطبري بان الزنج دخلوا مدينة واسط في هذه السنة بسهولة بعد ان هرب عنها الوالي العباسي .

اما الفصل الذي كان بين السورين فليست لدينا معلومات عن ابعاده كما اننا لم نجد اية اشارة عن وصف السور الثاني الذي كان يقع وراء هذا الفصل .

### المظاهر العسكرية في بناء مدينة المنصور المدورة

وفي العصر العباسي شيد العباسيون الكثير من الحصون والقلاع والمدن كان الباعث لتشييدها عسكريا هو الدفاع عن دولتهم وحدودها من الأخطار الداخلية والخارجية ولعل اهم مدينة اقامها العباسيون هي بغداد عاصمتهم التي تعرف باسم مدينة امي جعفر المنصور المدورة بدأ المنصور الخليفة العباسي الثاني بناء مدينته المدورة في عام ١٤٥هـ / ٧٦٢ م .

وفي وسعنا ان نحصر المظاهر العسكرية التي احتوتها مدينة المنصور المدورة في ثلاث نقاط رئيسية :

الموضع ، والتحصينات ، والمدخل المنحني والتدوير .

#### اولا - الموضع

ان المنطقة التي اختارها المنصور لبنين فيها عاصمته على جانب كبير من الاهمية اذ انها تقع في وسط العراق ومثل هذا الموضع ينسج رجالها وجندها القدرة على الحركة في كل الاتجاهات ولا يخفى ان لبناء المراكز العسكرية أو العواصم في وسط الدولة ميزة لها اهميتها الاستراتيجية وعلى وجه الخصوص في ذلك الوقت حين كانت وسائل الانتقال بطيئة تعرقل تقدم

الجوش ولا يخفى ان وجود العاصمة في مكان تاء في شمال القطر او جنوبه قد يشجع على التمرد والخروج على السلطة اذ يكون بعد اماكن الثورة فو التمرد عن مركز القيادة العسكرية وامداداتها باعثا مهما للتمرد .

هذا بالاضافة الى ان المكان المختار يقع على غرب نهر دجلة ويشمل طسوج ( قطربل ) و ( بادوريا ) تخترقه الاقنية والنهيرات من جانبه الغربي وتجوس خلال اراضيهِ نحو الشرق حتى تصب في دجلة وتبرز هذه الاهمية من اتخاذ بعض الشعوب عواصمهم على مقربة من هذه المنطقة مثل ( طيسفون ) و ( دوز - كوريكالزو ) و ( سلوقية ) .

وكان اهم انهار منطقة بغداد ( نهر ريفيل ) الذي كان يأخذ مياهه من الضفة اليسرى لنهر الفرات وينقسم عند المحول الى قسمين يصب الاول منهما في دجلة عند الموضع الذي اقام عنده عيسى بن علي قصره ويصب الثاني في جنوب بغداد وفي العصر العباسي عرف النهر باسم ( نهر عيسى ) نسبة الى عيسى بن علي عم المنصور .

ونهر الصراة الذي يأخذ مياهه من نهر عيسى فوق قرية المحول ويصب في دجلة اسفل الخلد بشيء يسير ونهر ثالث مهم هو نهر كرخايا الذي يحمل مياهه من نهر عيسى اسفل المحول وقد كان يتفرع من يساره اربعة فروع هي نهر رزين ونهر البزازين ونهر الدجاج ونهر القلائين ويتفرع من يمينه نهر واحد هو نهر الكلاب . وهناك نهر اخر تصل مياهه الى ارض بغداد القريبة هو نهر دجيل الذي يستقي مياهه من الضفة اليمنى لنهر دجلة بين تكريت وبغداد ويتفرع الى فرعين رئيسيين احدهما نهر بظايبا الذي كانت له ثلاثة فروع تستقي طسوج قطربل وتعبر فوق الخندق الطاهري .

ان وقوع بغداد في المنطقة التي يقترب فيها النهران الكبيران دجلة والفرات ووجود عدد كبير من الانهر التي اشرنا اليها انها يجعل منها مكانا

حصينا اذ المعروف ان الترع والنهيرات تكون بمثابة وسائل دفاعية ذات اثر كبير في صد الغزاة والمعتدين وتحول بالتالي دون تغلغلهم في المنطقة ولقد فطن صاحب بغداد الذي مثل بين يدي الخليفة المنصور حينما استشاره عن مزايا الموضع الذي اختاره فقال للمنصور : « وانت بين انهار لا يصل اليك عدوك وانت بين دجلة والفرات لا يجهتك احد من المشرق والمغرب الا احتاج المبور » وهذا النص يبرز بصورة واضحة جليلة اهمية موضع بغداد العسكري كأحسن نموذج طيب للاستراتيجية الحربية اذ ان وجود النهرين الكبيرين دجلة في شرق الموضع والفرات في غربه يؤلفان خطين للدفاع عن العاصمة المنشأة والاراضي المحيطة بها فالجيش الغازي لها سواء كان قادما من الشرق ام الغرب يتمسك على جنده وفرقه واعتدته وتمويناته المبور من النهر اذا ما قصعت الجسور وكذلك يصبح من السهل على جيش الخليفة العباسي احباط كل محاولة ترمي الى اقامة معبر للجند الغزاة ييسر وسهولة هذا فضلا عن ان الجيش الغازي يقطع على نفسه خف ارجعة وتمويل القصات بانواء الغذائية والامدادات البشرية اذا ما نجح في العبور اذ ان وجود النهرين الواسعين يجعلان امر توفير مثل هذه الامدادات من الصعوبة بمكان .

ونستطيع ان ندرك هذه الاهمية مما قاله المنصور حينما وقع اختياره على موقع بغداد بعد تفحص واختيار لاماكن عديدة فقد روى الطبري ان المنصور قال عن المكان المختار : ( هذا موضع معسكر صالح ) .

#### ثانيا - التحصينات

لقد اشرت بان الباعث العسكري في بناء بغداد المدورة كان اهم الدواعي لاجادها ودليلنا على ذلك هو عده وجود المستنزهات والحدائق واماكن اللهو والتسلية فيها ونستنتج ذلك من قول رسول ملك الروم حينما

سأله المنصور عن رايه في المدينة : ( يا امير المؤمنين انك بنيت بناء لم يمه  
احد كان قبلك وفيه ثلاثة عيوب .. واما العيب الثاني فان العين خضرة  
وتشاق الى الخضرة وليس في بناءك هذا بستان ) .

ولقد حرص المنصور على ان تكون المدينة محصنة تتوافر فيها وسائل  
الدفاع والتحصين والظاهر من نصوص المؤرخين ان المهندسين والممارسين  
والعمال الذين اشرفوا على العمل وهذوه قد وفقوا توفيقا كبيرا في اشباع رغبة  
ال خليفة . واستكمالا لوسائل الدفاع فقد أمر الخليفة المنصور بتحويل الاسواق  
من المدورة الى ربض الكرخ ويشير المؤرخون الى روايات متعددة في اسباب  
هذا الاجراء وقد اشار الخطيب بأن سبب هذا النقل نتيجة لنصيحة رسول  
ملك الروم الذي قال للمنصور ( .. فأما العيب الثالث فان رعيتك معك  
في بناءك ، واذا كانت الرعية مع الملك في بناءه فشا سره ) ..

ويقدم الطبري رواية وافية بهذا الصدد فيروي به : ( قدم على المنصور  
بطريق من بطارقة الروم وافدا فأمر الريح ان يطوف به في المدينة وما حولها  
ليرى الممران والبناء فطاف به الريح فلما انصرف قال للطريق كيف مدينتي ؟  
وقد كان اصعد الى سور المدينة بوقباب الابواب قال — رأيت بناء حسنا ومدينة  
حصينة الا اني رايت اعداءك معك في مدينتك قال ومن هم ؟ قال السوق  
يوافي الجاسوس من جميع الاطراف فيدخل الجاسوس بعة التجارة والتجار  
هم برد الافاق فيتجسس بالاخبار ويعرف ما يريد وينصرف من غير ان يعلم به  
احد او يفتح ابواب المدينة لرفاقه ليلا ) .

اما وسائل التحصين الداعية فاما تمثل في الخندق والاسوار والابواب  
وما تشتمله من عناصر دفاعية معمارية اما الخندق فانه كان يحيط بالسور  
الخارجي وكان يأخذ مياهه من قناة تتفرع من نهر كرخايا وكانت تقوم على

الخنديق في جانب السور مدة او مسناة تدور دوران السور كله وجوانب هذه السدة كما روى اليعقوبي مبنية من الآجر والصاروج بطريقة متقنة محكمة ومن الطبيعي ان الغرض من وجود هذه المسناة هو حماية السور الخارجي من تمرب مياه الخندق اليها اما وظيفة هذا الخندق كما هو معلوم فلمرقطة تقدم الغزاة الى السور الخارجي والظاهر من النصوص التاريخية ان هذا الاسلوب في تحصين المدن والحصون عرفه العرب قبل الاسلام وبعده . وجعل للمدينة المدورة ثلاثة اسوار ، السور الخارجي ( الاول ) والسور الداخلي ( الثاني ) والسور الثالث .

ويبدو ان السور الخارج كان لا يداني السور الداخل والظاهر انه كان اقل ارتفاعا وسمكا منه اذ ان اليعقوبي حينما يشير اليه يسميه السور فحسب بينما يسمي السور الداخلي بالسور الاعظم .

وفهم من روايتين للطبري والخطيب بانه كان اقل طولاً من السور الثاني وعلى الرغم من هذه الاشارات فان المصادر العربية قد امسكت عن وصف هذا السور ولهذا فانه ليس لدينا معلومات تاريخية ثابتة عن عرضه وارتفاعه .

والذي يبدو ان وظيفة هذا السور لم تكن دفاعية محضة اذ ان اساليب الدفاع عن المدينة المدورة لا تعتمد عليه بالدرجة الاولى اذ الثابت ان السور الداخلي ( الاعظم ) هو المعمول عليه .

ويظن ( هرتسفيلد ) وجود بعض الدعامات او المساند المدورة التي تدعم هذا السور مثل اسوار سامراء غير انه ليس لدينا من النصوص التاريخية ما يؤكد او ينفي وجود الابراج او الدعامات اذ ان المصادر العربية كما اسلفنا لم تشر اليها كما اشارت الى وجودها في السور الداخلي ومع هذا فنحن نميل الى تأييد رأي ( هرتسفيلد ) بوجود الدعامات او المساند .

وكان لهذا السور اربعة ابواب ، باب الكوفة ، باب البصرة ، باب خراسان ، باب الشام والذي يبدو ان هذه الابواب كانت باتجاهات المدن الاسلامية المشهورة وعلى الطرق المؤدية منها واليها وكانت كل باب من تلك الابواب مخصصة لدخول اهل مدينة من المدن .

اما السور الثاني فانه كما المعنا اكثر ارتفاعا وسعة وضخامة من السور الاول ومن المؤكد ان بناء المدورة زيادة منهم في تحصين المدينة كي يجعلوا منها مكانا حصينا وموضعا دفاعيا يدرأ عن الخليفة واتباعه غزو الاعداء اضفوا على هذا السور اساليب القوة والمنعة فقد اشار اليعقوبي بان ( اساس هذا السور كان تسعين ذراعا مع الشرفات ) ووصفه كل من الخطيب وابن الجوزي بقولهما ( ارتفاع هذا السور . . خمسة وثلاثين ذراعا وعليه ابرجة سمك كل برج منها فوق السور خمسة اذرع وعلى السور شرف وعرض السور من اسفله نحو عشرين ذراعا ) .

وعلى الرغم من اختلاف المؤرخين في ارقام ابعاد هذا السور فان الباحث يدرك بانه كان قد شيد محكما وضخما كي يؤدي وظيفة الدفاع وصد غارات الاعداء والواضح من الروايات التاريخية انه كان مدعما بالابراج وقد قال اليعقوبي عنه بانه كان له ( ابرجة عظام وعليه الشرفات ) .

اما عددها فانه كان بين كل باين ثمانية وعشرون برجاً الا ما بين باب البصرة وباب الكوفة فانه كان يحتوي على تسعة وعشرين برجاً وفيما يخص شكل هذه الابراج او هيأتها فانه من السير تصديدها اذ ان المراجع العربية قد امسكت عن وصفها ويرى ( كريزيل ) بانها كانت على هيئة نصف مستديرة تشبه تلك التي في قصور وجوامع واسوار سامراء وفي رأينا ان هذه الابراج قد تكون على شكل حدوة الفرس كما هو الحال في مدينة الرقة وكما هو معلوم انها بنيت على طراز مدينة بغداد المدورة .

### ثالثا - المدخل المنحني والتدوير

ومما يتعلق بابواب بغداد الاربعة التي اشرنا اليها احتواؤها على ظاهرة معمارية عسكرية تعد فريدة في نوعها وهي ظاهرة المدخل المنحني او المزور The Bent Entrance فقد روى الخطيب ( اذا دخل الداخل من باب خراسان الاول عطف على يساره في دهليز ازج معقود بالآجر والجص وعرضه عشرون ذراعا وطوله ثلاثون ذراعا المدخل اليه في عرضه والمخرج فيه من طوله ) ويؤيد ياقوت ما ذهب اليه الخطيب فيقول : وقيل انما سميت بالزوراء وذلك لان المنصور حين عمرها جعل الابواب الداخلة مزورة عن الابواب الخارجة أي ليست على سمتها .

ومعنى هذا ان الداخل من الباب الى الرحبة او الساحة التي تلي الباب الخارجي لا يستطيع المرور اليها بطريق مستقيم بل لا بد له من الانحراف الى جهة اليسار فالمدخل والحالة هذه ملتو او على شكل زاوية قائمة وهذا الطراز من المداخل يخفي وراءه اسلوبا عسكريا في الدفاع .

وكان هذا المنصر المعماري المبتكر مثار مناقشات بين علماء الآثار الذين ادعى بعضهم انه كان معروفا من قبل في بعض القلاع البيزنطية في شمال افريقية في حين انكر البعض الاخر هذا الادعاء ووضح ان المثل البيزنطي المعروف انما يرجع تاريخه الى سنة ٨٢٤٥/٨٥٩م أي بعد بناء بغداد بما يقرب من مائة عام .

وقد اهتم الاثاري البريطاني ( كريزويل ) بهذه الظاهرة المعمارية العسكرية فجمع بعض الامثلة من حضارة العراق القديم والبيزنطيين والرومان والمصريين القدماء ونتيجة دراسته اشار بانه لا اثر لظاهرة المدخل المنحني بالشكل الذي ظهرت في ابواب بغداد في مدينة سنجرلي واشور وخورصabad وبابل وكذلك لم تظهر واضحة لدى الرومان والبيزنطيين وبهذا تكون ظاهرة

المدخل المنحني التي ظهرت في ابواب مدينة ابي جعفر المنصور هي اقدم امثلة حقيقية للمدخل المنحني ظهر بصورة واضحة وطبية .

هذا وقد جعل ابو جعفر المنصور مدينته مدورة تدويرا كاملا وان ابعاد ابوابها الاربعة متساوية ولا رب ان الدفاع عن مدينة ذات اسوار دائرية يكون افضل من الدفاع عن تلك المدن ذات الاسوار المربعة او المستطيلة اذ ان الاركان الاربعة في المدن ذات الاسوار الدائرية تختفي حيث من الممكن ان يختفي خلفها الغزاة المهاجمون للمدينة .

وهكذا فان مدينة بغداد قد حظيت باهتمام مؤسسها وقالت من رعايتها حظا كبيرا فكانت حصنا يدرا عن الخليفة واهله ورجال حكومته غزو الاعداء وانما كانت كما قال عنها المنصور ( معسكر صالح ) .

وكذلك يتوضح العامل العسكري في تأسيس مدينة سامراء ولعل الباحث يستطيع ان يدرك ان لموضع سامراء اهمية استراتيجية يضع المدينة في مكان ملائم للسيطرة على الاجزاء المختلفة من جميع الامبراطورية العربية العباسية اضافة الى ذلك فان المياه كانت تحيط بالمدينة من جميع جهاتها ويحدها نهر دجلة من جانبها الغربي ابتداء من اقصى موضعها شمالا حتى حدودها الجنوبية كما ان نهر النهروان بفرعيه يحف بموقع المدينة من جانبيه الشرقي وهكذا فليس هناك ادنى شك في ان كلا من نهري دجلة والنهروان يمنحان هذا الموقع اهمية عسكرية عظيمة وعلى وجه العموم فان مياه هذين النهرين يؤلفان سورا طبيعيا يجعل المدينة في موضع امين وقد اقطع المعتصم مؤسس سامراء قطائع لجنده الاتراك وغيرهم ولقد امرهم بالبناء ضمن هذه القطائع والحقيقة فان هذه القطائع كانت عبارة عن كتبات عسكرية متفرقة حول المدينة وهي اشبه بخطوط دفاعية متقدمة تدفع عن المدينة تقدم الغزاة اليها .

وعندما بنى الخليفة المتوكل المتوكلية لحاطها بسور ضخم في وسع الزائر

لأنها ان يشاهده ويبلغ طول مجموع هذا السور حوالي اربعة كيلومترات ونصف الكيلومتر كما ان هناك سورا آخر في جنوب المدينة بقليل يمتد بين ضفة القاطول الاعلى اليمنى ونهر دجلة فيفصل هذا السور مدينة المتوكلية ومشملايتها عن مدينة سامراء الواقعة الى الجنوب منه وفي هذا السور باب ضخم في وسطه يعتبر المدخل الرئيسي للمدينة .

### عسكر المهدي في الرصافة

يرجع نشأة عسكر المهدي في جاب الرصافة الى ايام الخليفة المنصور واغلب المؤرخين يميلون الى ان نشأته كانت في عام ١٥١ هجرية - ٧٦٨ ميلادية اما الاسباب التي حدث بالمنصور الى تأسيسها فانها ولا شك نابعة من نفس الاهداف التي حدثت الى تأسيس مدينة بغداد المدورة اذ كان المنصور يرى ضرورة جعل الجانب الشرقي من بغداد مقرا لولده المهدي ولي عهده مع جنده مفصولا عن مقر الخلافة في الجانب الغربي وسمي هذا المقر باسم ( عسكر المهدي ) .

وكان المهدي قد عسكر بجنده في هذا الموضع عند خروجه الى الري وعند عودته منها اتخذ معسكره في نفس المكان ولعل وجود معسكر على الضفة الشرقية لنهر دجلة قبالة المدينة المدورة بجند كثيف وقيادة تدين بالسولاء والطاعة للخلافة من الامور التي خطط لها الخليفة المنصور واوالاها اهتمامه .

ولاشك ان وجود هذا المعسكر كان يعد خطا دفاعيا متقدما يحمي العاصمة مركز الخلافة العباسية من اي هجوم عسكري من الشرق ويكون مع نهر دجلة وسيلة كبيرة يستحيل معها لاية قوة غازية وممتدية ان تغلح في العبور وتطوير المدينة المدورة .

وكان موقع معسكر المهدي في المنطقة المقابلة لمدينة المنصور المدورة

على الجانب الشرقي من نهر دجلة وكانت تشتمل على ثكنات الجند ثم عرف هذا المعسكر بـ ( محلة الرصافة ) ولعل اول ما اقيم فيها هو جامع الرصافة الكبير كان اكبر من جامع مدينة المنصور واقام المهدي قصره على مقربة من هذا الجامع واقطع رجاله وقادة جيشه الاراضي في الشمال الشرقي والجنوب الشرقي وبنوا دورهم وقصورهم فيها ويشير اليقوي الى اسماء تلك القطائع التي اقطعها المهدي لرجالہ وقد أصبحت هذه المناطق تدعى بمحلة الشماسية ومحلة المخرم .

والى الشمال من جامع الرصافة بمسافة قليلة وعلى مقربة من نهر دجلة تقع المقبرة المشهورة انذاك باسم ( ترب الخلفاء ) وقد دفن فيها العديد من الخلفاء العباسيين المتأخرين .

وكان يقع شمال جامع الرصافة ايضا قبر الامام النعمان بن ثابت المعروف بابي حنيفة وقد سميت المنطقة التي تحيط بقبره بمحلة ابي حنيفة وقد دفن فيها عند وفاته عام ١٥٠ هـ - ٧٦٧ م بالمقبرة التي كانت تسمى باسم مقبرة الخيزران نسبة الى الخيزران زوجة الخليفة المهدي وهي نفس مقبرة الامام ابي حنيفة .

ولاجل الاتصال بين الجانبين الجانبي الغربي ومركزه المدينة المدورة بالجانب الشرقي وفيه عسكر المهدي فقد اقام الخليفة المنصور جسرا فوق نهر دجلة وكان يعرف باسم ( الجسر الكبير ) وقد سماه اليقوي ( الجسر الاول ) وبعد هذا الجسر اول جسر يصل الجانبين بعد تأسيس المدينة المدورة وكان طريق خراسان العام الذي يبدأ من باب خراسان ( شمال شرقي المدينة المدورة ) يمر به فيبدأ عند رأس الجسر الغربي اولا بموضع العرض ثم باصطبلات الخليفة ودار صناعة الجسر ومجلس الشرطة ومنها يمر تحت الباب المعقود المعروف بـ ( باب الطاق ) فيسير الى الشرق حتى يصل الى باب خراسان والصور الذي شيده الخليفة المستعين للدفاع عن بغداد الشرقية .

### تحصينات المستعين في بغداد الشرقية

لعل اهم التحصينات العسكرية التي نفذت في الجانب الشرقي من بغداد هي التحصينات التي اقامها الخليفة المستعين بالله ( ٢٥١ هـ - ٨٦٥ م ) وكان قد غادر سامراء اثر ثورة الجنود الاتراك ضده فجاء الى بغداد محتفيا بها وشيد سورين حول مدينة بغداد للدفاع عنها السور الاول يحيط بالجانب الشرقي وكان هذا الجانب يشتمل على ثلاث محلات هي الشماسية والرصافة والمخرم .

والسور الثاني يحيط بالجانب الغربي الذي كان يشتمل على المحلات والارياض التي تلتف حول المدينة المدورة وكان الجانب الشمالي من هذا السور يتبدأ من نهر دجلة عند فرضة الخندق الطاهري حتى باب الانبار ثم يميل نحو الجنوب الشرقي بامتداد ضفة نهر عيسى حتى يلتقي بنهر دجلة على مقربة من قصر حميد احد قواد المأمون الذي كان موقعه على نهر دجلة .

اما سور الجانب الشرقي فكان يبدأ من ضفة نهر دجلة مقابل قصر حميد ويمر بباب سوق الثلاثاء وعند وصوله الى ( باب ابرز ) يميل الى الشمال الغربي نحو نهر دجلة مارا بباب سوق الدواب وباب خراسان ثم باب البردان ثم باب الشماسية فيلتقي بضفة نهر دجلة مقابل فرضة الخندق الطاهري في الجانب الغربي .

وهكذا اصبحت بغداد بجانيها الغربي والشرقي في اواخر القرن الثالث الهجري ( التاسع الميلادي ) محصنة قوية اشبه ما تكون بعلقة يدور حولها السور الذي بناه الخليفة المستعين من جميع اطرافها .

وفي الفترة التي تسلط فيها القرس البوهيون على مقدرات الخلافة بين

سنتي ٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م اصاب الخراب والدمار اسوار مدينة بغداد واستحكاماتها العسكرية فهدم سور مدينة بغداد المدورة كما شمل التهديم سورها الشرقي وبقينا ان البوصين انفسهم قاموا بنقض اجزاء كبيرة من هذه الاسوار عمدا .

### سور داخل الخلافة

واقم حول دار الخلافة سور كبير وكانت هذه الدار تضم العديد من قصور الخلفاء المروفة ودواوين الدولة ودار الوزارة ومحلة ( القرية ) وشارع دار الخلافة الذي كان موازيا لشاطيء دجلة واصبح هذا السور يحف بهذه الدار على شكل نصف دائرة وله عدة ابواب ولسنا نعرف على وجه التحقيق تاريخ انشاء هذا السور والخليفة الذي انشيء في عهده ويرجح بعض الباحثين ان الشروع في بناؤه كان على عهد الخليفة المعتضد واتمه الخلفاء الذين اعقبوه .

### سور المستظهر

ومن الاستحكامات العسكرية المهمة التي نهضت في الجانب الشرقي من بغداد السور الكبير وخندقه وقديوشر بانشائه في اول عهد الخليفة المستظهر الذي بدأت خلافته في عام ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م وقد شعر هذا الخليفة بضرورة احاطة الجانب الشرقي من بغداد بسور كبير لحمايتها لرد كيد الغزاة والطامعين عنها فشرع في عام ٤٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) باقامة هذا السور وانجز قسم كبير منه في عهده وانتهى انجاز اجزائه المتبقية في عهد الخليفة المسترشد في عام ٥١٧هـ/١١٢٧م وقد جعله محكما ليتمكن من اتقاذا الخلافة من سيطرة السلاجقة كما جعل له اربعة ابواب رئيسية وكان عرضه ٢٢ ذراعا .

ولزيادة تحصين المدينة فقد اقيمت في خلافة المقتدي والمستضيء حول

هذا السور مسناة تحفظ السور من تأكل مياه الخندق فيه وقد وصف هذا السور العديد من المؤرخين والرحالة ومما قالوه عنه في الفترة التي تلت الحصار المغولي : بأنه كان مبني بالآجر والخندق مرصوف بهذه الحجارة أيضا ويمتد السور على شكل نصف دائرة طولها ١٨ ألف خطوة من ضفة دجلة فوق المدينة الى ضفة دجلة ثالثة ووصفوا الخندق الذي يحيط بالسور انه كان عميقا يتصل بدجلة من فوق في بداية السور ومن اسفله في نهايته وكانت للسور اربعة ابواب يجتازها الداخل الى بغداد على جسر متحرك وهذه المداخل تتبع اسلوب المداخل المزورة ( المنعنية ) اذ ينبغي على الداخل ان ينحرف نحو اليسار عند اجتيازه للمدخل وقد اشرنا الى هذا العنصر المعماري العسكري المبكر عندما بحثنا تحصينات مدينة المنصور المدورة .

وقد وصف السور المطراقي في سنة (٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) وكان يرافق السلطان سليمان القانوني ووصفه الرحالة الفرنسي ( تافرييه ) في القرن السابع عشر الميلادي وذكر ابراجه الكبيرة والمدافع الستين التي كانت فوقه وذكر ان طوله كان ثلاثة اميال وفي سنة (١١٨٠هـ / ١٧٦٦م) وضع الرحالة (نيبور) خارطة لبغداد رسم فيها السور الكبير مع ابوابه الاربعة وفي سنة (١١٨٣هـ / ١٧٦٩م) ذكر (سمويل ايرز) ان سور بغداد عريض تسنده ابراج كبيرة ورمم في ولاية سليمان باشا الكبير ( ١١٩٣ - ١٢١٧ / ١٧٧٩ - ١٨٠٢ م ) وفي سنة ( ١٢٣٢ هـ / ١٨١٦ م ) وصف الرحالة بكنفهام ما شاهده من سور بغداد فأشار بأنه مشيد بالآجر وله ابراج كبيرة مدورة في الزوايا الرئيسية وابراج اخرى تقع على مسافات قصيرة بين احدها والاخر كما ذكر ان للمدينة ثلاثة ابواب الاولى في الجنوب الشرقي والثالثة في الشمال

الشرقي والثالثة في الشمال الغربي وإشار إلى الخندق المحيط بالسور فذكر بأنه عتيق ولا ماء فيه وشاهد مدخلين من مداخل المدينة على شكل يرجين كانا بحالة جيدة أحدهما عليه كتابة ذكرها نيور تشير إلى بانيه الخليفة الناصر لدين الله سنة (٦١٨ هـ / ١٢٢١ م) .

وفي سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م ثبته فيلكس جونس في خارطته لبغداد ووصفه بالضخامة وقدر طوله ١٠٦٠٠ ياردة وبقي هذا السور قائما إلى ان تقضه مدحت باشا باستثناء ابوابه الأربعة وإبراجه المتصلة بالقلمة .

وابواب السور الأربعة هي : الأول باب السلطان في القسم الشمالي منه وكان موقعه عند باب المظم العالي والباب الثاني باب الظفرية ولا يزال هذا الباب قائما ويعرف اليوم باسم الباب الوسطاني والباب الثالث باب الحلبة وعرف هذا الباب في العهد المتأخر باسم باب الطلسم والباب الرابع باب البصلية وكان يدعى أيضا باسم باب كلواذا وموقعه قرب شاطيء دجلة في موضع الباب الشرقي العالي .

لقد تهدمت جميع ابواب سور بغداد الشرقية ولم يتخلف منها في الوقت الحاضر سوى باب واحد بقي يحتفظ بعناصره المعمارية والزخرفية وهي باب الظفرية وتعرف الآن باسم الباب الوسطاني كما ذكرنا وموقعها على مقربة من ضريح الشيخ عمر السهروردي وسوف نصف بإيجاز هذا الباب نظرا لأهميته المعمارية ونبدأ من مدخله الذي يتألف من برج كبير اسطواني الشكل تقريبا يرتفع عن سطح الأرض حوالي ١٤ر٥٠ م له باب في الجانب الشمالي الغربي يعلوها عقد مدبب وتواجه هذا الباب قنطرة فوق الخندق كانت تستخدم للداخلين والخارجين إلى مدينة بغداد ( شكل - ١٥ ) وعند اجتياز القنطرة



شكل - ١٥  
الباب الوسطاني

نصل الى البرج وهو على شكل غرفة مشمسة تعلوها قبة وهناك في كل ضلع من اضلاع الغرفة الثمانية دخلة سقفها على هيئة قبو مدبب وفي اثنين منها بابان للدخل والخارج وفي الجانب الغربي لهذه الغرفة باب يؤدي الى قنطرة اوسع واعلى من سابقها يحف بها جداران سميكان ولعل اهم ما يمتاز به هذا الباب من الناحية العسكرية انه يعد من المداخل المنحنية ( المزورة ) وهي بذلك تشابه مداخل مدينة المنصور المدورة •

## المراجع والمصادر

- ١ - البلاذري .  
« فتوح البلدان » ، القاهرة ١٩٣٢ م .
- ٢ - الطبري .  
« تاريخ الامم والملوك » ، القاهرة ١٩٣٩ م .
- ٣- الخطيب البغدادي .  
« تاريخ بغداد » ، القاهرة ، ١٩٣١ م .
- ٤ - اليعقوبي .  
« البلدان » ، طبع مدينة لندن ، ١٨٩٢ م .
- ٥ - المقدسي .  
« احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » طبع مدينة لندن ١٩٠٦ م .
- ٦ - د . طاهر مظفر العميد .  
« نشأة مدينة البصرة » ، مجلة الجمعية التاريخية العراقية . السدد الخامس ١٩٧٧ م .
- ٧ - د . طاهر مظفر العميد .  
« تأسيس مدينة الكوفة » ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٦ ١٩٧٨ م .
- ٨ - د . طاهر مظفر العميد .  
« بغداد مدينة المنصور المدورة » ، النجف الاشرف ، ١٩٦٧ م .
- ٩ - د . طاهر مظفر العميد .  
« تأسيس مدينة الانبار » مجلة الجامعة ، جامعة الموصل ، العدد ١٠ ، ١٩٨٠ م .
- ١٠- د . طاهر مظفر العميد .  
« الاثر العسكري في اختطاط المدن الاسلامية » مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد .

- ١١- د . عبدالقادر المعاضيدي .  
« واسط في العصر الاموي » دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٦ م .
- ١٢- د . طاهر مظفر المميد  
« المظاهر العسكرية في بناء بغداد المتدورة » مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٢ ، ١٩٦٩ م .
- ١٣- د . مصطفى جواد و د . احمد سوسة .  
« دليل خارطة بغداد » المجمع العلمي العراقي ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- ١٤- بشير فرنسيس  
« بغداد تاريخها واثارها » ، مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٩ م .
- ١٥- كليمان هوار .  
« خطط بغداد » ترجمة د . ناجي مصروف ، مطبعة العائلي ، بغداد ١٩٦١ م .

## البحث الثاني الأنشطة ووظائف العسكرية

يعتبر الاخضر من الحصون الدفاعية المميزة بين حصون العالم لما يتمتع به من مظاهر عسكرية فريدة في العمارة العربية والاسلامية بل وعمارة الشرق في العصور الوسطى كما انه يعد في نظر الكثير من الباحثين والمتخصصين قصرا فخما محصنا كبيرا بين قصور العالم المحصنة وسوف نتناول في هذا البحث وصفا عاما لاقسامه والوقوف عند كل مظهر من مظاهره العسكرية التي ترد في كل قسم ولقد حظى حصن الاخضر باهتمام الكثير من علماء الآثار والحالة من عرب واجانب ومع هذا الاهتمام الكبير به فان الجانب العسكري ومظاهره المعمارية التي تتعلق بهذا الجانب لازالت تحتاج الى المزيد من البحث والتحليل والاستنتاج حتى تستكمل الدراسة عنه .

اما تاريخ بناء هذا الحصن فان الباحثين يختلفون في تحديده ، واغلب الدراسات تشير الى انه بني في صدر الدولة العباسية ، ونميل الى رأي الباحثين الذين يقولون ان بناءه كان في عهد الخليفة المنصور بالله .

### الموقع

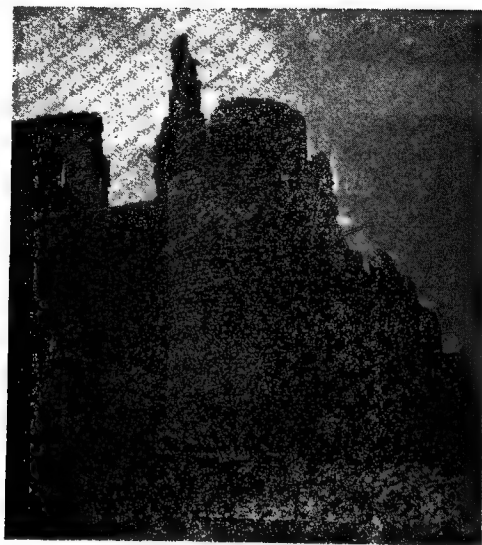
يقع الاخضر في منطقة لها اهمية تاريخية اذ تلتقي عندها العديد من

طرق القوافل التجارية القديمة منها الطريق الذي يبدأ بالكوفة الى الشام مارا بالاخير وتنتظم في هذا الطريق عدة مراكز منها موجدة وعطشان الى الجنوب من الاخير وقلعة شمعون وبرداويل الى الشمال كما انه يعتبر نقطة التقاء العديد من الطرق التي تربط العراق بالبحر الابيض المتوسط وبالخليج العربي والبحر العربي •

ويقع الى الجنوب الغربي من مدينة كربلاء بـ ( ٥٠ كم ) وحوالي ١٥٢ كم جنوى غربي بغداد وهو على مقربة من وادي الايض حيث يمتد في البادية الى مسافات بعيدة وتتجمع فيه مياه الامطار وتأخذ طريقها الى هور ابي دبس •

### وصف الحصن

يحيط بالحصن وسوره الداخلي ومجموعة البيوت سور من اللبن طول جداره الشمالي ( ٦١٠ م ) والجنوبي ( ٦٣٥ م ) والشرقي ( ٣١١ م ) والغربي ( ٥٤٠ م ) ويدعم هذا السور ابراج نصف دائرية وسوره الداخلي على شكل مستطيل طول ضلعه من الشمال الى الجنوب ( ١٧٥ر٨٠ م ) وعرضه من الشرق الى الغرب ( ١٦٣ر٦٠ م ) وفي وسط كل ضلع من اضلاعه الاربعة مدخل كبير وفي كل ركن من اركان هذا السور الاربعة برج دائري يبلغ قطر كل برج منها خمسة امتار وعشرة ابراج نصف دائرية في كل ضلع من اضلاعه الاربعة قطر كل برج ( ٣ر٥٠ م ) فيكون مجموع ابراج هذا السور ( ٤٨ ) برجا ( شكل - ١٦ ) وارتفاع السور في الوقت الحاضر ( ١٧ م ) وعلى الارجح فان ارتفاعه الحقيقي كان يصلود ( ٢١ م ) ويبلغ سمك هذا السور حوالي ( ٤ر٥ م ) الى ارتفاع ( ١٠ر٥ م ) اي الى مستوى ارضية المجاز الطوي اذ ان السور يتقسم

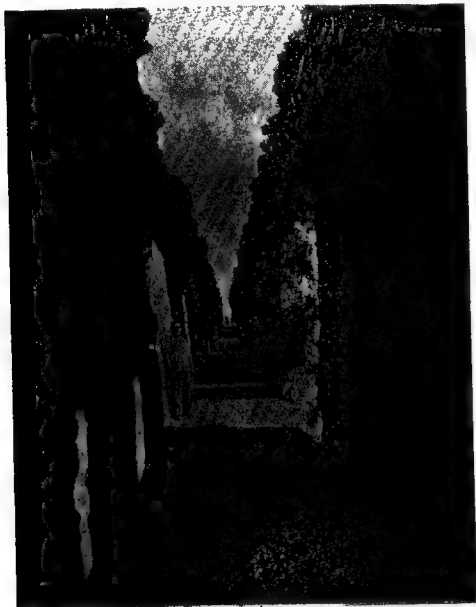


شكل - ١٦

برج دكني وابراج السور لحصن الاخضر

الى جدارين احدهما خارجي والاخر داخلي يطل على باحة الحصن يفصل بينهما مجاز بمرص (٢٢ م) ويدور هذا المجاز على امتداد اضلاع السور الاربعة وسقف المجاز معقود بقبوض نصف اسطواني وقد تساقطت هذه العقادة ولم يتخلف

منها الاجزاء قليل على مقربة من الباب الشمالي (شكل - ١٧) وبضياء بواسطة فتحات تمتد على الجدار الداخلي بارتفاع ١٨٠ م ويتصل المجاز بحجرة مدورة تقع فوق كل برج من الابراج .



شكل - ١٧  
المجاز في حصن الاخضر

### المظاهر العسكرية في السور

مما يلتفت النظر في تصميم السور الخارج ما بذل فيه من تحصين شديد وما اضيف عليه من مظاهر عسكرية فهو يشير الى ان مشيد هذا الحصن حرص ان يكون منيعا وحصينا الى درجة كبيرة .

ويظهر من وصف سور الحصن بان هذا السور ولاشك يعد من الاسوار الفريدة في القلاع والحصون التي بنيت في العصور الوسطى ذلك انه سور تتوافر فيه كل الوسائل الدفاعية المعروفة في ذلك العصر فسمكه المبني من الحجر كله يضفي عليه قوة ومتانة قلما لراها في اي حصن من الحصون اذ يصبح من المسير على اية قوة مهاجمة تفلح في الوصول الى مشارف السور ان تنجح في احداث ثغرة فيه عن طريق الحفر حيث تحتاج الى مجهود ووقت كبيرين لا يتوفر لها ازاء وابل من السهام التي ترمى عليهم من المزاغل اضافة الى المياه والزيت الساخنة والمعادن المصهورة التي سوف تتحدث عنها عندما نشير الى المزاغل .

وارتفاع السور جعل من الصعب على العدو والمهاجم محاولة تسلقه او اجتيازه كما زادوا في تحصين هذا السور فأوجدوا المجاز العلوي بان جعلوا له سقفا مقببا او مقوسا نصف اسطوانتي وغرضهم في ذلك ان يجعلوا السير عليه صعبا ثم النزول الى الداخل مستحيلا لان الذي ينجح في تسلقه يكون مصيره السقوط من هذا الارتفاع الى الجهة الثانية من السور وهي الناحية المطلة على الساحة الداخلية .

### المظاهر العسكرية للابراج

ان وجود الابراج الضخمة في الزوايا والابراج الاخرى في الجدران الاربعة تدعم السور وتزيد من تماسكه ومتانته اضافة الى ما تحتوي من فتحات للرصد وان اتصال زوايا الابراج مباشرة من الداخل بسلم يساعد على اداءه

أبراج الزوايا الأربعة بالتقوية والمعدات والمؤن لأنها تكون نقاط استناد رئيسية في الحصن أكثر من غيرها من الأبراج الأخرى إن تصميم زوايا الأبراج ذات لائحة تعبوية مهمة وتبرز هذه الظاهرة التعبوية كون هذه الأبراج تبرز عن محيط السور نسبيا مما يساعد على الرصد إلى (٣٦٠) وبذلك تحصل على تقاطع للرصد على جميع المناطق المحيطة بالحصن بحيث لا يفلت العدو من الرصد الموجه من قبل المدافعين عن الحصن وكذلك فإن بقية الأبراج فيما بينها تستطيع عن طريق المزاغل المثبتة فيها أن تتبادل الرؤيا والرصد لقرب هذه الأبراج وهذا يساعد على سرعة نقل الأوامر وتبادل المعلومات إلى جميع من في الحصن وبخاصة المدافعين الموجودين في الممر والأبراج .

### المزاغل

والجدار الخارجي مزود بحنايا تشرف على الفضاء خارج الحصن قياسات كل حنية حوالي (١٤٠ سم × ٥٠ سم) وفيها مزاغل شاقولية (عمودية) وفيلتها رمي السهام على المهاجمين للحصن وكان بين كل حجرة من الحجرات المدورة فوق كل برج من الأبراج والحجرة الواقعة فوق البرج الذي يليها أربع حنايا أما الحجرات فوق الأبراج فكان في جدار كل حجرة ثلاثة مزاغل وخمسة مزاغل في جدران كل برج من أبراج الأركان الأربعة ما عدا أربعة أبراج صماء لا توجد فيها مزاغل .

وأبعاد كل ولحة (١٥×٦٥ سم) موزعة على جدران البرج بفاصلة زاوية مقدارها (٥٥°) وبذلك يصبح قوس الرصد (٣٢٠°) وهكذا تتلاقح تقاطع اقواس الرصد والرمي فنحصل نتيجة لذلك على منطقة قتل من السهام المقراضية التي تشبه ما يعرف الآن في الحروب الحديثة بالنار المقراضية وعدد المزاغل الشاقولية ١٨٨ مزاغلا .

وبالإضافة إلى هذه المزاغل الشاقولية فهناك مزاغل أفقية بواقع مزاغل

واحد في كل حنية من مجموع الحنايا الموجودة في الجدار الخارجي وتليفتها رمي القذائف ومواد مصهورة قاتلة على كل عدو ينبجح في الوصول الى جدران الصور .

وفاعلية هذه المزاغل من الناحية الدفاعية تأتي بالدرجة الثانية بمد الشاقولية لانها لا تستعمل الا بعد ان يصل العدو الى اسفل الجدار فتكون مهمتها الدفاع عن الحصن نفسه وعلى هذا الاساس فانها قد تستعمل الى جانب السهام لرمي مواد اخرى سوائل محرقة او ملتهبة كالماء والزيت الحار او القار او الحجارة او اي شيء اخر يمنع عملية التسلق الى اعلى او الحفر او غيرها وعدد المزاغل الافقية ( ٤٨ ) مزغلا .

وهكذا يكون مجموع المزاغل الشاقولية والافقية ( ٢٣٦ ) مزغلا ومن مجموعها هذا ندرك القوة الدفاعية الكبيرة المهيأة لهذا الحصن .

#### مداخل الحصن

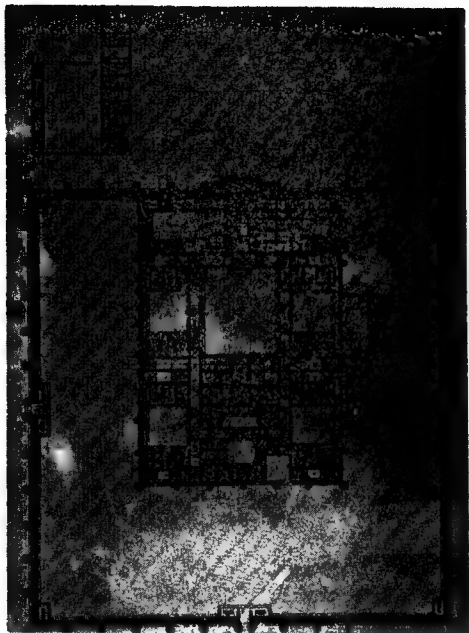
في وسط الضلع الشمالي للقصر واجهة بارزة بعرض ( ١٦ م ) وبرزو ( ٢٥ م ) يقع في وسطها المدخل الرئيس للقصر والذي يقضي الى رحبة ابعادها ( ٨٠ م ) على جانبيها غرفتان مظلمتان خصصتا على الارجح للحرس يلي الرحبة دهليز طوله ( ١٣ م ) ونلاحظ على ارتفاع ( ٢٧٠ م ) عند نهايته الداخلية حفرة مربعة قياسها ( ١٨×١٨ سم ) على جانبي الجدارين الشرقي والغربي والتي على الجدار الشرقي أعرق واطول من الجدار الغربي تدل على انها كانت مخصصة لخشبة الزلاق الذي يفلق الباب وسقف هذا الدهليز مقبى بسبعة اقبية متتالية بين كل قبو مزاغل افقية يرشق المدافعون من الغرفة الكائنة فوق هذا الدهليز القذائف والسهام او اي مادة قاتلة اخرى لكل عدو يفلح في اجتياز المدخل الرئيسي وينتهي هذا الدهليز بمقد يقضي الى مساحة مربعة تعلوها

قبة تخرج منها ثلاثة عقود الشرقي والغربي يؤديان الى مجاز كبير سقفه قبة  
والجنوبي يفضي الى الجو .

#### المميزات العسكرية للابواب

على الأرجح تشتمل باب حصن الاخضر على ظاهرة معمارية عسكرية  
تعد فريدة وهي الباب الحديدي المنزلق رأسيا وتسمى في العمارة بالسقطة  
او المتراس وفكرة هذه الظاهرة تتلخص في عمل باب من اسياخ قوية من الحديد  
تتقاطع مع بعضها وتصنع شبكة ثقيلة توضع خارج الباب السيك الخشبي  
لمدخل الحصن ودليلا الى وجود الباب الخشبي خلف الباب الحديدي هو  
وجود فتحتين على جانبي المدخل يظن انها لمزلاقة هذا الباب ويفتح الباب  
الحديدي يرفعه الى اعلى بواسطة حبال قوية تلتف حول بكرة بوابة المدخل  
وترتفع شبكة الباب الحديدية بحيث ينزلق طرفها الجانبيان في مجريين رأسيين  
تركبا في البناء وعند التهديد بالخطر يلفك رباط الحبال للشبكة فتسقط بثقلها  
الكبير لتسد المدخل ويحتاج الامر في رفعها الى اعلى بغير حبال الى جهد عدد  
كبير من الرجال المهاجمين والى وقت ليس بالقليل يتعرضون فيه للرمي بالسهام  
والحراب واسقاط المقذوفات فوق رؤوسهم من المزاغل الاقمية .

والمعروف ان استخدام المتراس الحديدي أو السقطة خلف الباب في  
حصن الاخضر حظي باهتمام بعض المتخصصين في العمارة العربية والاسلامية  
ويعتقد الدكتور فريد شافعي بان هذا التصميم من الابواب لم يكن معروفا  
الا في حصن الاخضر اذ تبذل بقايا المجاري الرأسية في جوانب البناء على وجود  
تلك الابواب في المداخل الاربعة وانه لا يوجد مثل اخر في العالم الاسلامي كله .  
ولسهولة تتبع اقسام هذا الحصن الكبير في وسعنا ان قسمه الى خمسة  
اقسام وهي كما يلي ( شكل - ١٨ ) .



شكل - ١٨  
مخطط حصن الاخيفر

- (١) القسم الشمالي : وهو يتألف من ثلاثة طوابق في جانبه الاوسط والشرقي ويحتوي على البهو والمسجد وغرف الضيوف والعاشية والحراس .
- (٢) القسم المركزي : ويحيط به رواق معقود من جميع جهاته ويفصله عن بقية اقسام الحصن وفي هذا القسم الرحبة الكبرى .
- (٣) القسم الثالث : ويقع خلف القسم المركزي وعلى الاغلب يضم غرف الخدم القسمان الرابع والخامس : ويقعان شرقي القسم المركزي وغريبه وهما متشابهان في التصميم وكل قسم منها يتألف من دارين .

### القسم الشمالي

هذا القسم مفصول عن السور الخارجي بواسطة مجاز كبير وهناك العديد من الابواب في هذا القسم تقضي الى المجاز وهي الباب الذي يواجه دهليز المدخل الى الشمال واخرى تقضي الى الجهة الجنوبية التي تؤدي الى البهو وبابان يقعان غربي البهو يؤديان من المجاز الكبير الى المسجد وهناك باب رابع يقع في النهاية الغربية للمجاز ويفضي الى الساحة التي تقع غربي الحصن والتي تفصله عن السور الخارجي وباب خامس يقع في الجزء الشرقي من الضلع الجنوبي للمجاز يفضي الى غرف الضيوف والعاشية وباب سادس في النهاية الشرقية من المجاز يؤدي الى الساحة الواقعة شرقي القصر كما يؤدي الى المباني الملحقة بالحصن .

### البهو

والبهو يؤلف قاعة مستطيلة ابعادها ( ١٥٠ × ٧ م ) وتعتبر اوسع قاعات الحصن وترتفع بارترهاع الطابقين وفي ضلعها الشرقي والغربي اربع اساطين نصف اسطوانية تقوم عليها خمس عقادات كما فيها فتحات تقع وراءها غرف مظلمة ويقع المسجد الى الغرب من هذا البهو والى الجهة الشرقية من هذا البهو تقع مجموعة غرف سقفوها مغطاة باقية وعلى ارتفاع ثلاثة طوابق .

## المسجد

للمسجد مدخلان يفضيان اليه من المجاز الكبير الذي يفصل القسم الشمالي من الحصن عن الضلع الشمالي لل سور الخارجي ويتألف المسجد من صحن تحف به أروقة من جهاته الشرقية والغربية والجنوبية عرض كل رواق ( ٣ م ) وطوله ( ١٠ م ) سقفه بأقبية نصف اسطوانية تطل هذه الاروقة على صحن المسجد بواسطة عقود محمولة على دعائم مستديرة والصحن مستطيل ابعاده ( ١٦,٢٠ × ١٠,٣٠ م ) .

لقد اثبتت التنقيبات والدراسات الاثرية في هذا المسجد على ان الحراب يرجع الى عهد بناء الحصن وليس مضافا او مستحدثا في فترة لاحقة عنه وهذا يدل على ان الحصن يعود الى فترة اسلامية وليس الى فترة اسبق منها .

## غرف الضيوف

اما غرف الضيوف في القسم الشمالي فانها تقع في الجهة الشرقية من البهو ويدخل اليها من الباب الذي يقع في شرق المجاز الكبير وفي وسط غرف الضيوف قاعة تقع شرقها سقيفة بمقدين والى غربها سقيفة اخرى بمقدين ايضا تتقدم غرفة تشرف عليها من الجهة الشمالية واربع غرف متصلة بها من الغرب وكان فوق غرف الضيوف والجزء الاوسط من القسم الشمالي من الحصن طابقان علويان يضمنان العديد من الغرف .

## القسم المركزي

يحيط بهذا القسم مجاز يفصله عن بقية اقسام القصر ويدخل من هذا المجاز الى الرحبة الكبرى وهذه الرحبة تشكل مستطيلا ابعاده ( ٢٧ × ٢٣ م ) تفضي اليه اربعة ابواب من المجاز وجدران الرحبة المطلة على مساحتها تؤلف سلسلة من تجاويف عدها سبعة في كل من الضلع الشمالي والجنوبي وتسعة في كل من الضلعين الشرقي والغربي .

والضلع الشمالي للرحبة الكبرى اكثر ارتفاعا من سائر الجدران المتصلة بالقسم الشمالي ويتألف من ثلاثة طوابق في جزئيه الشرقي والوسطي .  
اما الضلع الجنوبي فتوسطه فتحة كبيرة تفضي الى الايوان الكبير واما الضلعان الشرقي والغربي فيتألف كل ضلع منهما من تجاورف وهما متشابهان.

### الايوان الكبير

قاعة مستطيلة ابعادها ( ١٠.٧٥ × ٦ م ) يحف بها عدد من الغرف وتتصل به قاعتان من الجهة الشرقية وقاعتان من الجهة الغربية ويبدو ان هذه القاعة والغرف الاخرى كانت مخصصة لصاحب الحصن وحاشيته وكان الايوان الكبير يستخدم لاستقبال الضيوف .

### القسم الجنوبي

ويقع هذا القسم الى جنوب القسم المركزي من الحصن ويتألف من حصنين وتمايلي قاعات وبالنظر لانزال هذا القسم عن البيوت السكنية فمن المرجح ان هذا القسم كان يضم مقر الخدم .

### القسمان الرابع والخامس

ويتألف هذا القسمان من اربعة بيوت اثنا عشر منهما يقعان الى يمين القسم المركزي والاثنا عشر الاخران الى يسار هذا القسم وتفضي هذه البيوت على المجاز الذي يحيط بالقسم المركزي للحصن وهذه البيوت الاربعة مستقلة عن بعضها والبيتان الواقعان الى اليمين يختلف احدهما عن الاخر في التصميم البنائي الا ان كل واحد منهما يماثل في التصميم البيت المناظر له في الجهة المقابلة .

### الملحقات

هناك بنيتان ملحقتان بالحصن احدهما داخلية والاخرى خارجية والملحق

الداخلي يقع في الساحة الواقعة بين السور الداخلي الشرقي والسور الخارجي وتضم طابقاً واحداً يتألف من غرفة ذات اقبية .

وأما الملحق الخارجي فيقع خارج الحصن على بعد عشرين متراً من ركنه الغربي وعمودياً على الضلع الشمالي ويتألف من بناية مستطيلة أبعادها ( ١٢×٧٦ م ) تضم سلسلة من غرف متوازية عددها ( ١٤ ) غرفة ذات اقبية .

### قلعة الموصل ( باشطابيا )

تقع شمال الميدان وتشرف على نهر دجلة وتمتد أقدم قلاع الموصل التي لا تزال بعض بقاياها شاخصة اليوم ولكننا لا نعرف تاريخ بنائها كما نجهل اسم بانيها وهناك من يعتقد أن العقيليين هم أول من أسسها ولقد كانت تشغل مساحة من الأرض تزيد على ستة آلاف متر مربع تمتد اليوم من برج شطابيا شمالاً إلى خريج أبو القاسم جنوباً يحدها شاطئ دجلة شرقاً وباب الحرية غرباً .

وأول ذكر لها جاء ضمن حوادث سنة ( ٤٥٠ - ١٠٨٥ م ) في تاريخ الكامل لابن الأثير أثناء كلامه عن النزاع بين البساسيري وإبراهيم بن منال ومحاصرة البساسيري وقزيش بن بدران لها بعد خروج إبراهيم من الموصل هدمها وعفى أثرها وقد أعيد بناؤها بعد ذلك إلا أننا لا نعرف من هو الذي أعاد بنائها .

وقد عني بعمارة القلعة زين الدين بن فخر الدين عبد المسيح سنة ( ٥٦٣ هـ - ١١٦٧ م ) وزير سيف الدين بن عماد الدين زنكي فجسد عمارتها وأحكم أسوارها وجعلها من أمتع القلاع وعلى الأكثر أن عمارتها هذه هي التي شاهدها الرحالة ابن جبير سنة ( ٥٧٩ هـ - ١١٨٣ م ) ووصفها بقوله : ( وفي أعلى البلد قلعة عظيمة وقد رص بناؤها رصاً يتظلمها سور عتيق البناية مشيد

البروج وتتصل به دور السلطان وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من اعلى البلد الى اسفله ودجلة شرقي البلد وهي متصلة بالسور ) .

ومع الاسف الكبير فان المؤرخين لم يذكروا اقسام القلعة او اي تفاصيل معمارية عن اجزائها فضلا عن وصف ابراجها واستحكاماتها العسكرية ما خلا اشارات الى ما بين ، هما باب القلعة وباب السر . .

مرت القلعة بادوار سياسية عديدة منذ تأسيسها واقرن اسمها بالكثير من الاحداث التاريخية المهمة كما لازمت الكثير من المآسي والحروب والنكبات حفلت بها كتب التاريخ وبقيت معقلا يرد كيد الغزاة ومكانا تخزن فيه الاسلحة المختلفة ومجمعا للجند المقاتلين حتى عام ( ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م ) حيث حاصر الموصل ( سنداغو ) قائد الجيش المغولي الذي قذف المدينة والقلعة بالمنجنيقات وفتح المغول الغزاة الموصل وهدموا قلعتها وعاثوا في المدينة فسادا وتدميرا وفي سنة ( ٧٩٦ هـ - ١٣٩٣ م ) استولى تيمورلنك على مدينة الموصل فدمر ما تبقى منها وقام بتهديم ما سلم من قلعتها واحالها الى انقاض .

## المراجع

Creswell, Fortification in Islam before A.D. 1250.

Creswell, Early Muslim Architecture, 11, (London 1932-40).

Bell, A palace and Mosque at Ukhaidir. (Oxford 1914).

Bell, Amurath to Amurath, (London 1911).

٤ - اللواء الركن المتقاعد صبيح محمد رؤوف والدكتور صلاح حسين البيدي .  
« المظاهر العسكرية لحصن الاخضر » سومر ( ٣٢ ) سنة ١٩٧٦ م . وقد  
اعتمدنا على هذا البحث القيم في ابراز المظاهر العسكرية لحصن الاخضر .

٥ - علي مهدي محمد .  
« الاخضر » وزارة الثقافة والاعلام ، مديرية الانبار العامة ، مطابع  
الجمهورية ١٩٦٩ م .

## الفصل الخامس

# النقود العربية ودورها الاعلامي والتاريخي والفني

د. محمد باقر الحسيني

مدير عام آثار ومتاحف المنطقة الغربية

اهمية النقود العربية

اعلاميا وتاريخيا وفنيا

للنقود العربية دور اساسي في الحياة الاقتصادية ، كما هو معروف لدى العامة والخاصة من الناس ، وحتى لدى بعض الباحثين او الدارسين القدامى منهم والمحدثين ، متضحا ذلك في مؤلفاتهم التي بين ايدينا ، ولم يتجاوز في نظرهم ذلك الى ابعاد اخرى .

الا ان الدراسات الطيبة الحديثة اثبتت ان للنقود دورا اخر لا يقل اهمية عن سابقه في ابراز الحضارة واعني به الدور الاعلامي والتاريخي والفني معتمدين في ذلك على النقود المكتشفة ، ولا مجال للاخذ في هذه الدراسة بالنقود التي لم تر النور بعد ، او التي اقتصر ذكرها في المراجع التاريخية وغيرها وانما المتحف العراقي الذي يضم عشرات الالاف من النقود هو مصدرنا

الرئيسي في هذا المجال وله الاوليتمن بين متاحف العالم في ذكر امثلة منه ،  
وقد ضمت هذه الدراسة بعض اللوحات للنقود المشار اليها في هذا البحث .

فالدور الاعلامي في النقود العربية كان له اثر كبير في نفوس الناس ،  
وربما يزيد تأثيرا في بعض الحالات عما تلعبه الصحافة والاذاعة والتلفزيون  
والمؤتمرات في الوقت الحاضر ( سأتحدث مفصلا عن هذا الجانب في الصفحات  
القادمة ) .

والعجائب الفني للنقود ، كونها تعد مدرسة للتصوير في مراحلها المختلفة ،  
اذ تعطينا في كل فترة زمنية ، تصورا كاملا عن مميزاتها العامة والخاصة ، ولنا  
من نقود الموصل وبغداد واربيل وآمد وديار بكر وغيرها الشواهد العديدة ،  
وهي مزينة بالصور الادمية والحيوانية ، وفي العصر الاموي ، وبالأذات قبل  
الاصلاح النقدي عام ٧٧ هـ / ٦٩٦ م ظهرت النقود المصورة ، خاصة زمن الخليفة  
عبد الملك بن مروان ( انظر شكل - ١ ) الا انها اختفت وظهرت ثانية في العصر  
المباضي خاصة في أواخره اكثر اتقا وجودة ، وكانت معظمها على النقود  
النحاسية ( انظر الاشكال ١ و ٧ - ٩ ) .

وعلى النقود نقشت العناصر الزخرفية بأنواعها ، النباتية حيث كانت في  
بدايتها بسيطة المظهر وغير معقدة، ثم أخذت تتطور، وتشمل خيزا كبيرا من الفراغ،  
اذ ظهر فيها التكرار والتقابل والتناظر ، كما ظهرت عناصر زخرفية ، هندسية  
كالمثلث والمربع والدائرة والاشكال الخماسية وغيرها والتي كانت تستخدم  
كإطارات تحدد او تحيط بالعناصر الزخرفية الأخرى ، ولحيانا تكون مستقلة  
لوحدها ، كما نقشت العناصر الزخرفية الفلكية كالنجوم والهلال ، إضافة  
الى ظهور العنصر الكتابي، حيث اذ الحروف العربية تتناسب والاعراض الزخرفية،  
ولعل السبب في ذلك يعود الى تكوين الحروف في معظم الاحيان من خطوط  
عمودية واقفية يسهل وصل بعضها ببعض ، كما يسهل وصلها بالرسوم الزخرفية

الاخرى وصلا يظهر فيه الجمال والاتزان ، واهتمام الفنان العربي بالمنحصر الكتابي كان واضحا في ترتيب الحروف والكلمات على النقود ترتيبا اكسبها جمالا وروقا ، اضافة الى ثروتها الزخرفية كمنحصر مهم من عناصرها الفنية : فنصوص الهامش الداخلي والخارجي اضافة الى نصوص المركز على النقود المضروبة بالعراق وخاصة في مدينة السلام نراها منسقة ومنظمة تنظيما دقيقا توجي للناظر اليها انها ذات جمال وفن ، كما نلاحظ ان الفنان او النقاش عندما يحس بوجود فراغ في الوجه والظهر من النقد نراه يحاول ملئه بطريقته الفنية كأن يتصرف في اشكال الحروف وابعادها والمسافات التي تربط الكلمات بعضها مع البعض الآخر ، وكذلك تقسيم اللفظ الى مقطعين كل مقطع منهما في فراغ خاص بطريقة زخرفية جميلة غرضه ملء الفراغ ( انظر شكل - ١١ و ١٢ ) .

والجانب الفني للنقود ايضا هو أنها مدرسة للخط العربي وتطوره بانواعه ، اذ امتازت الكتابة عليها بالخط الكوفي والخط النسخي ، وكان للخط الكوفي لصيب وافر على النقود وله النواع المختلفة منه الكوفي البدائي او البسيط ، ويظهر بوضوح على النقود النحاسية التي ضربت في العهد الاموي ، ومنه الكوفي ذو النهايات المتطورة ( اي تنتهي الحروف بخط واحد او خطين او دائرة لو مثلت ) ومنه الكوفي المورق والكوفي المزهر والكوفي المضفور والكوفي المربع والعراق غني بهذه الانواع وخاصة في العصر العباسي ( انظر الاشكال ١ - ٤ و ١٠ - ١٢ ) .

ولقد ظهرت في النقود العربية اخطاء نحوية واملائية خاصة النحاسية منها في اواخر العهد العباسي ، ويعزى ذلك الى اهمال المثرفين او القائمين على ضرب النقود او ربما كون الفنان او النقاش الذي يرسم النصوص على القالب قليل الخبرة باللغة العربية ، وبقواعدها ، ورسم حروفها وربما لا يعيدها ، بل كل جهده هو نقش النص كما هو مرسوم في نموذج خاص يسلم اليه واذا كان الصنف عن مثل هذه الاخطاء جائزا على الامار الاخرى المعاصرة ،

كالحجر والخشب والنسيج والمعادن وغيرها ، فان هذا الامر على النقود ، لا يقره الحرف والقانون ، لان النقود تمثل الجانب الرسمي للدولة ، وتعد ركنا من اركانها ، فالخطأ في نصوصها معناه تقصير في الواجب القومي ، اضافة الى التقصير في حق الحاكم نفسه ، حيث تبرز عيوبه مما يؤدي الى استهانة الناس به ، وتجبر في النهاية الى خذلائه .

واهمية النقود تبرز ايضا في كونها ميدانا واسعا لدراسة الكنى والالقاب ( انظر شكل - ١١ - ١٢ ) فهي تعين الباحث على تفهم بعض النظم ، والاتجاهات التي قد يغفل ذكرها ، ولا تبرز بوضوح في المؤلفات التاريخية ، كما توضح الالقاب ميول الحكام ، وما يسيطر عليهم من نزعات ، بل انها في كثير من الاحيان تشير الى برنامج حكوماتهم ، وتلقي الضوء من زاوية على كثير من الاحداث السياسية والاجتماعية والعسكرية ، لذا عدت هذه الدراسة مصدرا مهما في دراسة التاريخ .

والحصول على الالقاب في العصر العباسي كان من جوانب متعددة منها عن طريق الوراثة او نتيجة توسيع قووذ الحاكم وقوته في البلاد او ان يكون التلقب اثر حادثة معينة لها اهميتها التاريخية ، كالاتصار في معركة ما مثلا ، او ان تأتي عن طريق البيع والشراء والهدايا او عن طريق الالتحال بها لتنطية عيوب الحاكم الضعيف او لصفة يحملها الحاكم كالكرم والحلم والشجاعة والعلم وغيرها .

وفي العهد الاموي لم تظهر الالقاب على النقود الا في حالات نادرة كما هو الحال مثلا لماوية عندما تلقب بلقب ( امير المؤمنين ) وعبد الملك بن مروان الذي تلقب بـ ( خليفة الله ) و ( امير المؤمنين ) على الدراهم القضية قبل الاصلاح النقدي عام ٧٧٧م / ١٩٩٦م الا ان الالقاب برزت بشكل واسع في العصر العباسي على نقود العراق المضروبة في مدينة السلام والموصل والجزيرة وسنجاز والبصرة

والكوفوقواسط وغيرها للخلفاء والولاة والامراء وغيرهم) انظر  
الاشكال ٨ و ١٠ (١١) .

والنقود العربية تضم في نصوصها أيضا الشعارات المختلفة التي يتخذها  
الحكام بشكل مؤقت او دائم ، واحيانا تكون هذه الشعارات على  
شكل صور او رموز او علامات .

كما ان دراسة مدد الضرب على النقود تعتبر من المواضيع المهمة لمعرفة  
اهمية تلك المدينة جغرافيا وحضاريا وتاريخيا علاوة على طابعها الفني .

ولعلي لا اكون مبالغا اذا ما قلت ان النقود العربية في العهد الاسلامي  
عبارة عن مجمع يضم بين جوانحه مختلف علوم المعرفة ، لا يستغنى عنها في  
ابراز حضارة العراق وكتابة تاريخه ، بصدق وامانة ، لان النقود شارة من  
شارات الدولة ، وعنوان مجدها ، تتصل باقتصادياتها ، وتشريعها ، وبسياساتها ،  
وسائر اوضاعها ، وعلاقاتها بالدول المجاورة والمعاصرة لها وسائر اوضاعها ، فهي  
تبسط اللثام عن خفايا كثيرة وتمد صفحة كاشفة عن حكومات الدول المتعاقبة  
لا يستغنى عنها في تاريخ حياة الدولة ، لذا عدت النقود من اهم المصادر بل  
من اجلها .

كان للعراق دور قيادي في سك النقود العربية باشراف الخليفة او من  
ينوب عنه من الوزراء والكتاب والولاة وارسالها الى لقاليم العالم الاسلامي ،  
لكونه مركزا حضاريا وعاصمة للخلافة ومصدر اشعاع ثقافي أصيل ، لان  
ضرب النقود يعتبر حقا من حقوق الخلافة تمسك به الخلفاء انقسم ، علاوة  
على اهتمام الحكام والولاة وغيرهم من الولاة المسلمين بتسجيل اسم  
الخليفة على قودهم ليضفوا عليها الشرعية فضلا عن تمسكهم بالعلاقة الروحية  
التي تربطهم بالخليفة نفسه حتى في أسوأ الحالات والظروف التي كانت  
توتر فيها العلاقات بينهم ، لذا لا نجد الدنانير والدراهم خالية من ذكر اسم

الخليفة عليها الا اذا كان اصحابها انفصاليين عن الدولة او ثائرين عليها او غيرها من الحالات كالتي ظهرت مثلا على قعود الموصل عندما احتلها المغول عسكريا عام ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م وكانت البلاد في حالة طوارئ واصبح حاكمها الاتابكي بدر الدين لؤلؤ مؤتمرا بأمر الدكتاتور المغولي ، مما اضطره ان يضرب دنانير في هذا العام خالية من ذكر اسم الخليفة العباسي الشرعي المستعصم بالله ، لأن اسمه معناه تقليل من قيمة المغول الذين كانوا اعداء الخليفة او ربما يفهم منها خطأ حسن العلاقة بين الخليفة والمغول الذين كانوا متوجعين اصلا لفتح بغداد ، ولكن بدر الدين لؤلؤ لم يتوان عن نقش اسم الخليفة على نقوده فسي العام التالي ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م بعد ان ترك المغول الموصل .

اما النقود النحاسية فكان الولاة يشرفون على ضربها في اقاليمهم ولم يتقيدوا بذكر لصوص معينة ( انظر شكل - ٣ ) كما ورد على الدينار والدرهم ، اذ نقشوا اسماءهم والقابهم وكناهم وحيانا اسماء الحكام المعاصرين او المجاورين لهم بحكم العلاقات النيابية او الاجتماعية . او غيرها ، ومن هذا المنطلق اصبحت للنقود النحاسية عند اكتشافها ودراستها الان اكثر فائدة بنادتها العلمية في تدوين التاريخ لما فيها من جديد ، وتصحيح ما قيل خطأ في تدوينه في المراجع بالرغم من ان الفلوس النحاسية كانت في الاصل نقودا مساعدة ، الا ان الدولة منذ صدر الاسلام ، وبالتحديد بعد اصلاح النقدي عام ٧٧هـ / ٦٩٦م اهتمت بضبط اوزانها ، وتحديد كميها من النقود الذهبية والفضية بصنع ( اوزان ) زجاجية خاصة لامتورها زيادة او نقصان مقدرة بالقراريط او الخرايب ( ١٩٤ غرام ) واضافة الى ذلك اصبحت في يسوم ماعلة مساعدة ، وهذا التغير في قاعدة النظام المتداولة من علة مساعدة الى رئيسية ، جعلتني اقول ان النقود النحاسية كان لها قيمة نقدية كسائر النقود الذهبية والفضية منذ فجر الاسلام على الرغم من انها اعتبرت في فترات معينة مساعدة .

## النقود المتداولة في العراق منذ فجر الاسلام

وحتى نهاية العصر العباسي

عندما جاء الاسلام اقر الرسول الكريم (ص) التعامل بالنقود الاجنبية المتداولة في الحجاز (الدناير والدراهم والفلوس) كما اقرها الخلفاء من بعده طوال المهديين الراشدين والاموي حتى الاصلاح النقدي الذي قام به عبدالملك بن مروان عام ٧٧ هـ / ٦٩٦ م وكان نصيب العراق واقاليم ايران من النقود المتداولة مقتصر في هذه الفترة على الدراهم الفضية ونصيب الشام ومصر الدناير الذهبية والفلوس النحاسية .

وفي زمن الخليفة عمر (ر) ضربت الدراهم ونقش عليها ، كما ذكر المقرئ ( الحمد لله ) وفي بعضها ( محمد رسول الله ) وعلى بعضها الآخر ( لا اله الا الله وحده ) وعلى جزء منها ( عمر ) انظر ( المقرئ - الكرمل - النقود العربية ) ولم تصلنا مثل هذه الدراهم وانما وصلتنا دراهم ضربت عام ٢٠ هـ وعليها اللفظ ( بسم الله ) والمتحف العراقي يضم نماذج منها .

وكان الخليفة عثمان (ر) كما ذكر المقرئ ايضا ( هس المصدر ) قد ضرب الدراهم وعليها ( الله اكبر ) ونقش عليها الات ووصلنا من هذا الخليفة دراهم فضية ضربت في البصرة عام ٣٩ هـ / ٦٤٩ م نقش عليها ( بسم الله ) .

والحجاج ضرب الدراهم باسمه وعليها ( بسم الله - لا اله الا الله - وحده - محمد رسول الله - الحجاج بن يوسف ) والمتحف العراقي يضم نماذج منها .

وفي عهد الخليفة عبدالملك تم الاصلاح النقدي بجعل النقود ذات التأثيرات الاجنبية المتداولة بفضة خالصة منها عام ٧٧ هـ / ٦٩٦ م بالنسبة للدينار الذهبي ( انظر شكل - ٢ ) و ٧٨ هـ / ٦٩٧ م بالنسبة للدراهم الفضي و ٨٥ هـ / ٧٠٤ م بالنسبة للفلوس النحاسية .

وعلى الدراهم والفلوس ظهرت أسماء مدن الضرب منذ أن أصبحت عربية وهي الكوفة والبصرة وواسط وميسان وغيرها ( انظر شكل - ٣ ) ولم تظهر هذه الأسماء على الدنانير إلا في العهد العباسي وبالتحديد عام ١٩٨ هـ / ٨١٣ م عندما وردت ( مدينة السلام ) وفي عام ١٩٩ هـ / ٨١٤ م ظهر اسم ( العراق ) ( انظر شكل - ٤ ) لذا يشهد معرفة دار ضرب النقود الذهبية ومصدرها قبل هذا التاريخ .

## ٢ - الإصلاح النقدي لعبدالمالك بن مروان :

إن الخطوة الإصلاحية للنقود والتي قام بها عبدالمالك بن مروان عام ٧٧ هـ / ٦٩٦ م هي ثورة على النظام الأجنبي ، وتعتبر حدثاً تاريخياً بارزاً ، لأنها تحرير للعملة العربية من المظاهر غير العربية ولهذه الخطوة أهمية سياسية واقتصادية كونها فاصلاً بين التبعية والاستقلال ، ولمعرفة أسباب هذا الإصلاح وخطواته وصولاً إلى استقلال النقود من القيود الأجنبية لارتباطها بالعراق مباشرة لابد من وقفة لايضاها .

من الواضح أن الهدف من الإصلاح الذي قام به عبدالمالك بن مروان هو حصول الخلافة على الاستقلال النقدي وحصر ضرب النقود في شخصية الخليفة نفسه دون ذكر اسمه عليها ، بعد قضائه على الحركات والفتن الداخلية ، والمناوئة له ونجاحه في توحيد العالم الإسلامي تحت سلطانه ، وكان قد ساهم في هذا الحق كثير من الولاة والعمال منذ أن قامت الحروب الأهلية بين المسلمين في أعقاب مقتل الخليفة عثمان (ر) عام ٣٥ هـ / ٦٥٥ م وهي الحروب التي جعلت كل القواد والمعارضين ، والانفصاليين يضربون نقوداً مستقلة باسمائهم في العراق ، والجزيرة العربية ، كما حدث لعبدالله بن الزبير وأخيه مصعب ، والخارجي قطري بن النجاعة ، وبهذا الإصلاح المالي قضى عبدالمالك على كل الفوضى ، تحقيقاً للاستقرار السياسي .

وكان يرتبط بهذا الاستقرار السياسي كحيه هي اعطاء الدولة الصفة العربية ، نتيجة لسياسة رسمها عبدالمملك وقام بتنفيذها في الميادين الادارية بمختلف الولايات الاسلامية ، وذلك حين امر بتعريب الدواوين في العراق والشام ومصر واقاليم الهضبة الايرانية ، وكان لابد لاتمام هذه السياسة من الاتجاه الى النقود ، وجعلها بنصوص عربية ، وتخليصها من التقليد الاجنبي ، ويمكن ان نضيف سببا اخر ، هو رغبة عبدالمملك في العمل على استقرار الدولة العربية اقتصاديا ، بعد ان هيا لها الاستقرار السياسي ، اذ لا سبيل الى هذا الاستقرار الاقتصادي ، ما دامت مقومات الدولة المالية في دائرة الاقتصاد الاجنبي وترتبط باوزانه واسعاره ، والحق ان اتساع دائرة النشاط التجاري للدولة الاسلامية في عهد عبدالمملك ، ترتب عليه ( عدم استقرار قيمة النقد وما سيتبع ذلك من تلاعب في الاسعار ) فرأى ضرورة العمل على توحيد اسعار واوزان النقود باخضاعها لقانون معين ، وقد اشار الى هذه الحقيقة ابن خلدون بقوله ( رأى عبدالمملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين الجارين الدراهم والدنانير في معاملة المسلمين من الفتن فعين مقدارها ) .

وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي دفع به الى القيام بهذا العمل ، ويمكن الوقوف على هذا الواقع من وجهة النظر العربية اولا والاجنبية ثانيا .

فمن وجهة النظر العربية يتضح ذلك من تلك النصوص التي ذكرها النيهقي ، والدميري ، والبلاذري ، والمقرزي ، وابو المعاسن وهي لصوص تلخص في ان السبب في ضرب النقود العربية هو اوراق البردي التي كانت تصدر من مصر الى بيزنطة تسجل عليها عقيدة الايمان المسيحية ( باسم الاب والابن وروح القدس ) فعندما امر عبدالمملك عامله على مصر عبدالعزيز بن مروان بتغيير هذه الكتابة وجعلها شهادة التوحيد شهد الله ﷻ لا اله الا هو ) احتج الملك البيزنطي على ذلك ، عندما وصلت اليه قراطيس البردي الاسلامية ، هدد عبدالمملك باله سيضطر الى ضرب نقود بيزنطية منقوش عليها

فباراث تسيء الى شخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) فغضب عبد الملك من هذا التهديد ، واستشار اهل الرأي من المسلمين ، ومنهم خالد بن يزيد بن مغلوة الذي قال ( يا امير المؤمنين ان العلماء من اهل الكتاب الاول يذكرون انهم يعدون في كتبهم ان اطول الخلفاء عمرا من قدم الله تعالى في درجته ) فمزم عبد الملك على ذلك ووضع النقود ، كما استشار عبد الملك في هذا الاصلاح الامام محمد الباقر الذي لصحه بضرب نقود عربية عليها شهادة التوحيد والرسالة المحمدية ، وصب صنع من زجاج لا تستحيل الى زيادة او نقصان لتعير عليها هذه النقود وتضبط اوزانها .

اما من وجهة النظر الاجنبية فان العالم الفرنسي ( لافوا ) يرى ان اوراق البردي التي كانت تصدر الى بيزنطة من مصر وعليها عقيدة الايمان المسيحية لم تكن هي الدافع الى ضرب نقود عربية من قبل عبد الملك ، لان عبارات التوحيد والرسالة المحمدية كانت تظهر على اعداد ضخمة من النقود العربية قبل عبد الملك وهذه النقود بلا شك وصلت الى ايدي البيزنطيين وعلمهم ، والدافع الى الاصلاح كما يذكر ( لافوا ) سببه النزاع الذي وقع بين عبد الملك والامبراطور البيزنطي المعاصر جستنيان الثاني وتلخص هذا النزاع في ان معاهدة عقدت بين الدولة العربية والدولة البيزنطية عام ٦٧ هـ / ٦٨٦ م لمدة عشر سنوات تقضي بنقل الجنود غير النظاميين من الجراجمة من حدود الدولة الاسلامية الى داخل الاراضي البيزنطية نظير دفع عبد الملك اتاوة سنوية الى الامبراطور البيزنطي قدرها الف دينار ذهب ولكن الهدنة قطعت في السنة السادسة من حكم جستنيان عام ٧٣ هـ / ٦٩٢ م لان الاتاوة العربية السنوية لم تدفع بنقد تحمل صورة الامبراطور البيزنطي بل دفعت بنقود عربية عليها صورة عبد الملك ، ولم يكن من المسموح به ان تضرب النقود الذهبية على غرار طراز امبراطور الروم .

اما متى بدأ الاصلاح النقدي على يد عبد الملك ؟ فان المؤرخين يختلفون

في تحديده ، فيذكر المقرري انه بدأ في سنة ٧٦هـ / ٦٩٥م وقد وصلت نقود بصورة تبدو انها لعبدالمملك من هذا التاريخ ( انظر شكل - ١ ) ويذكر البلاذري وابن خلدون ان الاصلاح التقدي بدأ عام ٧٤هـ / ٦٩٣م وقد ظهر مؤخرًا نقد مؤرخ بهذا التاريخ بصورة عبدالمملك معنى هذا ان بداية الاصلاح كانت قبل سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م، لان صورة عبدالمملك جاءت في المرحلة الثالثة من خطوات الاصلاح ، ولربما تكون بداية التطور النقدي عام ٧٣هـ / ٦٩٢م وهو تاريخ فسخ المعاهدة البيزنطية العربية التي عقدت بين عبدالمملك وجستيان الثاني عام ٩٧هـ / ٦٨٦م واصبح دينار عبدالمملك يحمل النصوص العربية لأول مرة عام ٧٧هـ / ٦٩٦م ( انظر شكل - ٢ ) قرأ عليه :-

لا اله الا

مركز الوجه :- الله وحده

لا شريك له

الهامش :- محمد رسول الله ارسله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين

كله

مركز الظهر :- الله احد الله

الصد لم يلد

ولم يولد

الهامش :- بسم الله ضرب هذا الدين

سنة سبع وسبعين ( انظر شكل - ٥ )

ب - المميزات العامة للنقود العربية بعد الاصلاح النقدي :

ان اول درهم فضي وصلنا بنصوص عربية بعد الاصلاح كان عام ٧٨هـ / ٦٩٧م ضرب في ارمينية وهو فريد في العالم محفوظ في المتحف العراقي

ونصوصه تشابه نصوص دينار عام ٧٧٧هـ / ٦٩٦م باستثناء بعض الإضافات لوسع المساحة فالمباراة ( ولو كره المشركون ) اضيفت الى هامش الوجه ، وكذلك ( ولم يكن له كموا احد ) اضيف الى مركز الظهر واقدم ما ضرب في العراق من الدراهم الفضية كان في عام ٧٩هـ / ٦٩٨م في مدينة الكوفة بنفس نصوص درهم عام ٧٨هـ / ٦٩٧م .

كان وزن الدرهم الذي قام عبد الملك باصلاحه ٢٫٩٧ غرام والدينار ٢٥٫٤ غرام . وهذا الوزن خاضع لتغيرات كبيرة خلال الفترات التاريخية بسبب الاوضاع السياسية والاقتصادية والجغرافية التي مر بها العالم الاسلامي في العصرين الاموي والعباسي .

وفي العصر العباسي لم تتغير النصوص على النقود باستثناء ما كتب ( محمد رسول الله ) بدل ( الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ) .

وفي عهد الرشيد حدث تطور في نظام النقود اذ امر بنقش اسمه وولاية عهده وحكامه في الامصار الاخرى ، وفي زمن المأمون ظهرت عبارة دينية في هامش خارجي ( لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ) كما واكملت البسلة ( بسم الله الرحمن الرحيم ) .

وفي العصر العباسي ظهر ولاول مرة ذكر المرأة على نقود هارون الرشيد وكان بأسلوب دعائي ( يبق الله لام جعفر ) وام جعفر زوجة الرشيد والدة ولي عهده الامين وهي المرأة العربية الوحيدة من بين امهات الخلفاء العباسيين السبع والثلاثين ( انظر شكل - ٦ ) .

كما ظهرت على النقود العباسية الالاقاب حيث اصبحت ميزة من مميزاتا واعطت بعد دراستها مؤشرا سياسيا اضافة الى الناحية الاجتماعية والعسكرية .

## الدور الاعلامي والتاريخي للقود العربية في العراق

لم يقتصر دور القود العربية، كما ذكرت على التعامل والتبادل التجاري فحسب ، وانما تجاوز ذلك الى الدور الاعلامي ، بنوعيه الحسن والسيئ ، او ما يسمى اليوم بـ ( الاعلام والاعلام المضاد ) ولنا من الشواهد النقدية العشرات بل المئات محفوظة في المتحف العراقي وغيره من المتاحف العربية والعالمية ، ما يؤكد ذلك .

والقود الاعلامية ، كانت تضرب اما بطريقة رسمية من قبل الدولة ، او بطريقة غير رسمية من قبل الخاصة او العامة من الناس ، سرا او علنا معارضين كانوا ام غير معارضين ، وكانت تظهر في ظروف ومناسبات مختلفة ، سياسية ، او اجتماعية ، او دينية او غيرها لايصال اراء اصحابها ومبادئهم ومناسباتهم وغيرها الى عامة الناس ، وغالبا ما تكون نقود المعارضين قادرة بل فريدة احيانا لان الدولة القائمة لا تسمح التعامل بها لانها في نظرهم غير شرعية ، ودائما ما كانوا يصادرونها ويماقبون اصحابها ومن يتعامل بها او يحفظها ، والجدير بالذكر ان القود الاعلامية لا يمنع ان تكون نقود تعامل وتبادل تجاري ، بيد ان هذا الغرض يأتي بالدرجة الثانية .

ودور القود الاعلامي والتاريخي في العراق غني بمادته العلمية وسأورد على عجل على سبيل المثال لا الحصر ، ما يمكن ذكره ، وابدأها بنقود الاعلام ذات الطابع السيئ .

١ - فالنقود التي ضربها وزير المأمون الفضل بن سهل عام ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م وعليها اسم اخيه الحسن جاءت خالية من ذكر اسم الخليفة الشرعي المأمون ، صاحب السلطتين الدينية والدنيوية في العالم الاسلامي ،

والذي يقدم على مثل هذه الخطوة ، لابد ان تكون له نوايا سيئة من  
ضربها ، اضافة الى قوة هوده في الحكم ، لكونها تمثل الجانب الرسني  
للدولة ، وانها الوسيلة الاعلامية للتعبير عما يكنه صاحبها من نوايا  
لكافة الناس الخاصة منهم والعامة .

فالفضل بن سهل وزير المأمون كان عظيم دولة سيده ، وكان يطمح  
بالاستئثار بحكمه ، وانه غلب على امره ( بخلافه الجميلة من الوفاء ، والبلاغة ،  
والكتابة حتى صار امر المأمون كله بيده لا سيما انه لما ولي الخلافة ولام  
الامال الجليلة ) وكان صاحب الامر والنهي في الدولة الى درجة انه استطاع  
ان ينزل الخليفة المأمون في قصره ويحجبه فيه عن اهل بيته ووجوه الناس  
ليبرم الامور على هواه ، وكان غافلا عما يجري في بعض اقاليم مملكته وخاصة  
( اقليم العراق ) بسبب اخفاء وزيره الامور عنه .

فبعد انتصار المأمون على اخيه الامين عام ١٩٨هـ / ٨١٣م على يند  
قائديه طاهر بن الحسين وهرثمة بن اعين ، اصبحت امور البلاد بمرؤ يديرها  
الفضل بن سهل ، ولم يستقر به بال والعراق بين يدي القائدين طاهر وهرثمة ،  
فأصدر الفضل امرين في المام نفسه ، اولهما بتولية اخيه الحسن على جميع  
ما اقتتحه القائد طاهر من بلاد وكور ومنها العراق الذي اصبحت مركزه ومقره  
والامر الثاني ارسله الى هرثمة بالتوجه الى خراسان ، وبذلك خلا العراق  
من هذين القائدين ليسيير الامور على هواه .

وهنا تتساءل عن اسباب جعل هذه الدقائق خالية من ذكر اسم الخليفة  
الشرعي المأمون واقتصارها على الفضل واخيه الحسن ؟

الجواب على ما اعتقد ان في الامر سببين : الاول سياسي والثاني قومي :  
اما السبب السياسي فهو ان الفضل بن سهل واخاه الحسن انتهزا فرصة  
غضب اهل العراق على الخليفة المأمون ، بسبب سياسته المتخيزة ضد العرب ،

اضافة الى انتهاز الحسن نفوذ اخيه ، وقوة سلطته الفعلية ، لكونه صاحب الكلمة العليا في الدولة مما جعلهما ان يتحديا الخليفة بضرب دلائير لم تكتمل مقوماتها الشرعية وهي حذف اسمه منها .

اما السبب القومي : فإن اسرة بني سهل فارسية تتمثل في شخصية الفضل واخيه الحسن اللذين شعرا ان النفوذ الفارسي عاد ثانية الى ما كان عليه ايام الرشيد ، وقبل ضربه البرامكة الذين سكوا تقودا منسجلة باسمائهم دون ذكر اسم الخليفة عليها ، واستحوذوا على السلطة وارادوا بذلك استغلال نفوذهم لاسترجاع مجدهم السابق وهو ما كلن ينادون به دائما . عمل الفضل والحسن على ضرب دلائير بالعراق لها صبغتها الرسمية دون ذكر اسم الخليفة الشرعي عليها لابرار كيانها ، وليس هذا بالامر الغريب ان يكون لهاية الفصل كنهاية البرامكة ، وهو القتل على يد المأمون عام ٢٠٢هـ / ٨١٧م بعد ان شعر الخليفة ان الفضل خرج عن ارادته وتحرك نحو اهداف بعيدة عن سياسته . . .

٢ - ومن النقود الاعلامية ذات الطابع البيبي ايضا ، مجموعة النقود الذهبية والفضية التي ضربت بعضها في مدينة السلام ( شكل - ٨ ) والآخرى لم يرد عليها دار الضرب ، نقشت بصور اشخاص يبدو منها المنادمة وشرب الخمرة ، كشخص جالس ويده كأس او آلة طرب وحوله جاريتان ، او صورة حيوان ( حصان او جمل او بقرة ) كتب حول هذه الصور الأدمية او الحيوانية اسم احد الخلفاء العباسيين المقتدر بالله او الطائع لله او القائم بامر الله ( انظر الاشكال ٧ - ٩ ) وقد نسب بعض الباحثين هذه النقود الى الخليفة نفسه ، الا ان الحقيقة التاريخية أكدت انها ضربت من قبل الاعداء او المنافسين الحاقدين المقربين للخلفاء انفسهم بعد ان استهانوا بالخلافة العباسية المتمثلة في شخصية الخليفة نفسه ، فهي نقود اعلامية مضادة ، لان شرب الخمرة

وضرب العود ووجود الجوّاري وما يتبع ذلك من أعمال منكّرة تتنافى وصفات الخليفة الشرعي الذي يمثل الجانب الديني علاوة على الديني ، فالإعلان عن هذه الأعمال على وثيقة رسمية تصدرها الدولة بإشراف الخليفة ويتداولها الناس امر غير وارد ، وحتى مع غيره من عامة الناس ، ولا متعارف عليه لا شرعا ولا عرفا ولا يميزه عقل او منطق ، كما ان ذكر اسم الخليفة فوق صورة حيوان امر واضح بطلانه ولا يحتاج الى تفسير .

٣ - ومن النقود الاعلامية ذات الطابع الحسن النقد الفضي الذي ضربه الخليفة الراضي بالله في مدينة السلام عام ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م وعليه العبارة ( الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ) بمناسبة تسليمه منصب ( امرة الامراء ) الى ابن رائق ، وهذا النقد يعتبر نادرا بسبب فريدا في العالم ( انظر شكل - ١٠ ) .

والنظام الجديد الذي استحدثه الخليفة الراضي وهو منصب ( امرة الامراء ) كان القصد منه اقالة الخلافة من عثرتها ، وارجاع هيبتها الى ما كانت عليها سابقا ، وذلك بالتخلص من الوضع السيئ نتيجة فساد الادارة وعجز الخزينة وافلاسها ، وتزايد نشاط الحركات المعادية للخلافة داخل البلاد وخارجها ، وكذلك التخلص من الوزراء الضعاف الذين تنابحوا على الحكم وعددهم خمسة ، وعجزهم عن ادارة شؤون البلاد ، كما عجز الخليفة نفسه ايضا عن هذه الادارة فالراضي بعمله هذا كان مرتاحا ومطمئنا من هذه الخطوة فالعبارة السابقة توضح اعلاميا للعالم الاسلامي بان تسليم مقاليد الامور لابن رائق عام ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م كان قد اذهب عنه الحزن والمتاعب وان الخلافة ستعاد لها هيبتها ومكابقتها ، كما ستعود للخليفة شخصيته وحقوقه وفي اعتقادي ان الصلاحية الواسعة التي منحها الخليفة لابن رائق لم ترق له بعد ذلك كما لم يرتفع للمنصب الجديد الذي استحدثه ، اذ انعكست الصورة امامه واصبحت حالته سيئة الى حد انه لم يستطع الحصول على ايسر حقوقه وهي

حمته من المال لذا حاول التخلص من المآزق الذي هو فيه وارجاع شأن الخلافة الى سابق عهدها .

٤- والدناير الاعلامية النادرة التي ضربها المقتدي بامر الله في مدينة السلام عام ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م باسمه ( انظر شكل - ١٢ ) تمثل هي الاخرى تقودا ذات طابع حسن ، يتضح منها استقلال وهيبة الخلافة العباسية السياسي الذي فقدته منذ اكثر من قرنين ونصف ابتداء من عهد المتوكل على الله ٢٣٢ - ٢٤٩ هـ / ٨٤٦ - ٨٦٣ م . باستثناء فترة قصيرة اتعثت فيها الخلافة ما بين عامي ٢٥٦ و ٢٩٥ هـ / ٨٦٩ و ٩٠٧ م ) كما فقدت الاستقلال النقدي الذي سيطر عليه النفوذ الاجنبي منذ عام ٣٣٤هـ - ٩٤٥م مرورا بالاحتلال البويهي والسلجوقي ، حيث ضربت هاتان الاسرمان تقودا مستقلة باسماء حكامهم في مدينة السلام وغيرها من المدن مسجلين عليها اسم الخليفة العباسي ، كي يضيفوا عليها الصفة الشرعية ( انظر رقم - ١١ ) .

لم تكن محاولة الخليفة المقتدي للتخلص من السيطرة الاجنبية السياسية او النقدية او كلاهما معا ، هي الاولى من نوعها في حياة دولة بني العباس ، والما سبقه في ذلك غيره من الخلفاء منذ ان بدأ النفوذ التركي في الظهور ، الا ان محاولة المقتدي قد نجحت بعد ان فشل اسلافه ، ومن هنا جاءت اهمية قود هذا الخليفة ، لانها تمثل قفزة نوعية وحضارية والمتحف العراقي يضم نماذج من هذه الدناير .

٥ - كما ان المتحف العراقي يضم دناير اعلامية ضربها بالموصل عام ٥٤٠هـ عماد الدين زنكي ، اذ تمطينا سن قراءة لتوصفها مؤشرا لحالتين الاولى تنم عن المحبة لكبير امراءه عز الدين ابي بكر الديلمي والثانية تعطي روح المجاملة لعضد الدين الب ارسلان ، وهو ابن السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه الذي كان صاحب الفضل في تولية عماد الدين

زلكي الموصل عام ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م وتأسيس الدولة الاتاكية التي امتدت  
حتى عام ٦٦٠ هـ / ١٣٦١ م .

ومما يؤكد تلك المحبة وعلو شأن ومنزلة ابي بكر الديسي ما اشار  
اليه ابن الاثير من انه كان ( يأخذ نفسه مأخذ الملوك ، وانه لم يضع علامته  
على اطلاق مال ابدا قل ام كثر ، وكان عاملا حازما ذا رأى ، وكيد، ومكر )  
وظلت تلك المحبة بعد وفاة عمادالدين ، اذ اقطع ولده غازي ابو بكر الجزيرة ،  
حتى وفاته عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م .

وعن نقش اسم الب ا رسلان بن محمود ، فلان ابن الاثير يذكر انه كان  
يظهر للخلفاء ولعمه مسمود ( سلطان العراق ) واصحاب الاطراف ، ان البلاد  
التي يحكمها عمادالدين انما هي ملك له ، وانه نائب فيها ، وكان اذا ارسل  
رسولا او اجاب عن رسالة فانما يقول ( قال الملك كذا وكذا ) ولم يقف بطموحه  
في البلاد عند هذا الحد بل وصل به الوضع الى درجة انه قتل نائب عمادالدين  
بالموصل وسائر البلاد الشرقية نصر بن جقر في عام ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م لاعتقاده  
انه يقتله هذا النائب قد ملك الموصل وغيرها ، وان عماد الدين سيمجز بعد ذلك  
بين يديه ، وبالرغم من ذلك فقد منحه عماد الدين لقب ( عضدالدين ) وقبضه  
على الدقاير السالفة الذكر ، لا خوفا منه ، بل مجاملة له وارضاء لوالده  
السلطان محمود صاحب الفضل في تعيينه ، ولم ينس عمادالدين ذلك الفضل  
والثقة الكبيرة ، فاراد ايداعها لابنه الب ا رسلان وتأكيدا على الوثيقة  
الرسمية ، ولكنها لم تؤت ثمارها .

### سك النقود العربية

ان موضوع سك النقود العربية ، صعب الخوض فيه ، لقلة ما وصلنا  
من هذه الصناعة من المؤرخين العرب ، لعدم اهتمامهم  
بها ، بدليل اننا لا نجد في مؤلفاتهم غير بيانات ضئيلة

عن النواحي التقنية الخاصة بالنقود ، وتكاد تنحصر هذه  
اليافات بما جمعت في المخطوطة الرئيسية عن اسرار سك الدنانير والدراهم  
والفلوس التي كتبها منصور بن بكرة الذهبي بعنوان ( كشف الاسرار العلمية  
بدار الضرب المصرية ) وكذلك في مخطوطة ( الدوحة المشتبكة في ضوابط  
السكة ) لابن الحسن علي بن يوسف الحكيم وهي تتحدث عن النقود العربية  
في القرن الثامن الهجري ( ١٤ م ) بينما تتحدث الاولى عن النقود العربية منذ  
القرن الاول الهجري ( ٣٧ ) .

ومما لا شك فيه ان الوسيلة الوحيدة للوقوف على طريقة صناعة النقود  
اضافة الى ما ورد في المخطوطات هي دراسة النقود المكتشفة والمتداولة في حينها  
وعطينا ان نقف عند صناعة النقود على نقطتين هامتين، الاولى اعداد قوالب السك  
والتي تضرب بها النقود والثانية اعداد خامة النقود اي السبيكة التي تختم  
بهذه القوالب .

اما النقطة الاولى فهي اعداد قوالب من نتائج قوالب معينة ، تنقش عليها  
الكلمات والنقوش مقلوبة ، فيضرب بها فتخرج رسوم تلك الكلمات  
والنقوش على النقود مستقيمة ولو اخذنا بعين الاعتبار الاعداد الضخمة  
من النقود العربية التي ضربت في الفترة الاسلامية وخاصة بالعراق منذ الاصلاح  
النقدي عام ٧٧ هـ / ٦٩٦ م فانه لا يتفق والاخذ بفكرة القوالب التي حفزت  
كل منها على حدة ، لانها وسيلة بطيئة جدا لامتساير حاجة الدولة الى اتاج  
نقودها اللازمة لكافة العمليات التجارية فضلا عن ان السك بقوالب محفورة  
مباشرة تحتاج الى نسخ كثيرة من هذه القوالب تتناسب واعداد النقود التي  
تستطيع اتاجها بالقالب الواحد حفرا مباشرا ، مع العلم بان مثل هذه القوالب

المحفورة مباشرة لا تستطيع ان تقاوم عملية الضرب المستمرة لمدة طويلة دون ان تتعرض للتشقق او تتعرض حافات نقوشها للتلف بشكل لا يساعد على ابراز هذه النقوش بوضوح تام على وجهي النقش .

وهنا لابد ان تكون قوالب السك متوفرة بكثرة عن طريق صبها عن نسخة اصلية محفورة حفرا مباشرا ويمكن تسميتها بـ ( القالب الام ) ولنا من الفوائد النقدية العديدة من نتاج هذه القوالب بنوعها المحفور والمصبوب خلال مراحل عهد الاصلاح زمن عبدالملك بن مروان وعليها صورته ، اورد منها على سبيل المثال لا الحصر :

الاول ديناراه المضروب عام ٧٦م هـ / ٦٩٥ م من نتائج قالب محفور حفرا مباشرا والمثال الثاني ديناراه المضروب عام ٧٧ هـ / ٦٩٦ م من نتائج قالب مصبوب واذا ما قارنا بين هذين الدينارين نجد الاول يتميز بحروف دقيقة مع ظهور تفاصيل الحفر في شعر الرأس والنقن والدينار الثاني من قالب مصبوب نجده يعمل نقوشا نتيجة الفقايع الهوائية التي لا يجدها في الدينار الاول ( انظر الشكل - ١ ) .

اما الدنانير المضروبة بعد عهد الاصلاح بدء من عام ٧٧ هـ / ٦٩٦ م فنجد القالب محفورا حفرا بارزا وواضحا مع دقة الكتابة وعدم طمس فجواتها ، كما ان حافات الكتابات تبدو قائمة ولا اثر للاستدارة فيها ، فضلا عن ان سطح هذه الكتابات ليس في مستوى واحد بسبب حفرها على القالب الاصلي بمستوياتها المختلفة .

اما على دنانير القوالب المصبوبة فتظهر البثور بارزة وواضحة على وجهها ، كما ان على بعضها حروفا مطموسة وتتجمع بها تنوءات بارزة .

ويبدو ان القوالب المحفورة كان الانتفاع منها محدودا لانها سواء كانت من الحديد او البرونز فهي لم تكن ذات مقاومة شديدة على الضرب لاستعمالها عدة مرات لاتنتاج اعداد كبيرة من النقود على نمط واحد بواسطة الطرق المستمر على هذه القوالب هذا الى ان انتاج نقود معينة باسم الحاكم او السنة كان يقتضي توفير قوالب منحفورة ، مباشرة بهذا التاريخ ، ومثل هذه القوالب كان في حاجة الى مدة طويلة لتنقش عليها كتابات كثيرة ومعكوسة ، وهو امر لم يكن يتيسر لعدد كبير من الفنانين الذين كان كل منهم في حاجة الى مران طويل لذا عوض عنها باتنتاج قوالب مصبوبة اسرع انتاجا من القالب الاصلي المحفور .

وهكذا يمكن القول بان طريقة سك النقود بالقوالب المحفورة قد ظهرت في النقود الاسلامية منذ سنة ٧٦هـ / ٦٩٥م واستمر العمل بمثل هذه القوالب جنبا الى جنب مع القوالب الاخرى المصبوبة ( انظر شكل ١ ) في المصور الاسلامية التالية .

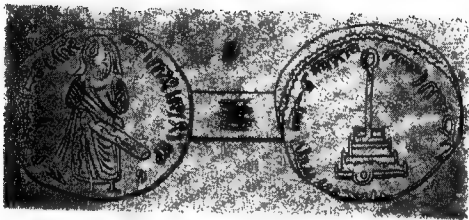
اما النقطة الثانية فهي اعداد خامة النقود اي السبيكة التي تختم بها قوالب السك فان اعدادها يمر بادوار رئيسية ، اهمها التي تعرف بـ ( الجافة ) او ( طريقة التجفين ) وهي سبك الذهب المخلوط بالفضة او غيره من المعادن عدة مرات كي يصبح الذهب صافيا خاليا مما يشوب معدنه ونحصل على سبيكة اما ان تكون مطروقة او مصبوبة .

اما الحصول على سبيكة الفضة فان اعدادها اسهل من سبيكة الذهب خاصة اذا عرفنا ان جميع الدراهم المضروبة منذ صدر الاسلام عبارة عن صفائح رقيقة من الفضة ضرب عليها قوالب الدراهم من الوجهين .

اما سبيكة النحاس ، فان المراجع التي بين ايدينا لم توضح ما فيه الكفاية .  
عنها سوى ما ذكره القلقشندي من ( ان يسبك النحاس الاحمر حتى يصير  
كالماء ثم يخرج فيضرب قضبانها ثم يقطع صغارا ، ثم ترصع ، وتسك بالسكة ،  
وسكتها ان يكتب على احد الوجهين اسم السلطان ولقبه ، وعلى الآخر اسم  
بلد ضربه وتاريخ السنة التي ضرب فيها .

وان ما يفهم من نص القلقشندي هو ان الطريقة الوحيدة لضرب هذه  
الفلوس هو صهر النحاس وتشكيل قضبان تقطع وتسك عن طريق الضرب عليها  
بالقالب .

ولكن ليس من المعقول ان تكون السبائك النحاسية المشكلة على هيئة  
قضبان قد خضعت لاي نوع من الطرق لمو التصفيح سيما وان معظم هذه  
الفلوس في مختلف عصورها سبيكة وذات ارضية مشققة وخاصة عند محيطها  
الخارجي وربما كان ذلك يرجع الى عدم الضرب بالقالب على خامة السكة  
النحاسية فور تسخينها ، فضلا عن ان السبيكة ، لم تكن قوية تماما مما جعل  
تماسك جزيئات المعدن النحاسي غير كافية .



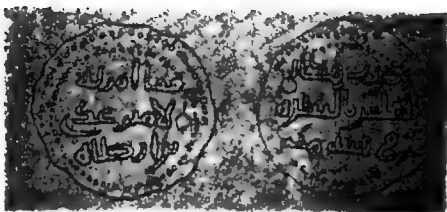
### شكل - ١

دينار ضرب في سنة ٧٦٦هـ/٦٩٥م لمعبد الملك بن مروان وهو يمثل أحد  
مراحل الإصلاح النقدي مضروب بقالب مصبوب وتظهر على الوجه  
الفقاعات الهوائية .



شكل - ٢

اول دينار عربي ضرب به عبد الملك بن مروان عام ١٠٠هـ / ٦٩٦م بعد الاصلاح النقدي



شكل - ٣

فلس ضرب في البصرة عام ١٠٠ هـ / ٧١٨ م على يد عدي بن اربعة



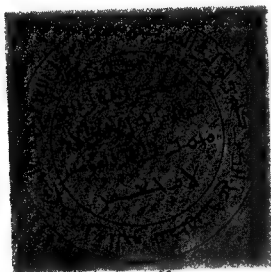
شكل - ٤

دينار الخليفة المأمون وعليه لفظ ( العراق ) ضرب عام ١٩٩ هـ / ٨١٤ م



شكل - ٥

عملة ورقية متداولة عراقية ( فئة دينار واحد ) طبع عليها  
نصوص دينار عبدالملك بن مروان المصروب عام ٧٧ هـ / ٦٩٦ م



شكل - ٦

نقد فطحي لهارون الرشيد عليه ذكر المرأة في العبارة  
( يبق الله لام جعفر ) ولولي عهده محمد الامين



شكل - ٧

نقد فضي نقش فوق صورة الحيوان ( المقتدر بالله )  
وفوق صورة الفارس ( لله جعفر )



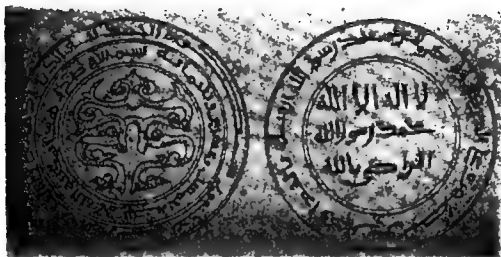
شكل - ٨

من نقود الاعلام المضاد نقش عليه اسم الخليفة الطائع لله وموالدولة ،  
ضرب بمدينة السلام عام ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م .



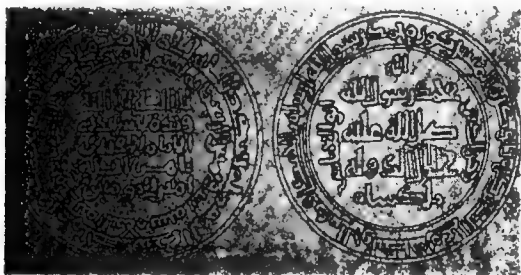
شكل - ٩

من نقود الاعلام ذات الطابع السيئ نقش عليه ( المقتدر بالله )



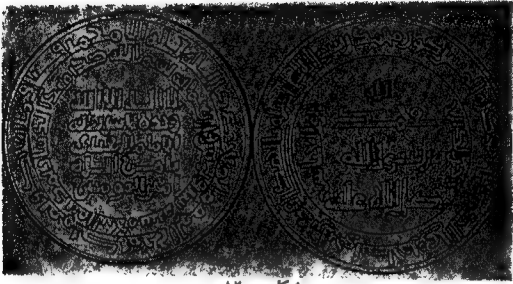
شكل - ١٠

نقد فضي ضرب به الخليفة الراضي بالله في مدينة السلام عام ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م  
من النقود الاعلامية ذات الطابع الحسن ( لريد في العالم )



شكل - ١١

دينار ضربه ملكشاه السلجوقي عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م في مدينة السلام  
وهو لا يمثل استقلال الخلافة العباسية النقدي والسياسي



شكل - ١٢

دينار الخليفة المقتدي بالله وهو يمثل الاستقلال النقدي والسياسي  
للخلافة العباسية ضرب في عام ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م في مدينة السلام

## المراجع

- (١) ابراهيم البدوي (دكتور) الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية - القاهرة / ١٩٥١ م .
- (٢) ابن بكرة ( منصور بن بكرة الذهبي الكامل ) كشف الاسرار العلمية بدار الضرب المصرية - تحقيق الدكتور عبدالرحمن فيومي - القاهرة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .
- (٣) ابن الاثير ( علي بن احمد بن ابي الكرم ) ت ٦٣٠ هـ .  
٢ - الكامل في التاريخ ( بولاق ١٢٧٤ هـ ) .  
ب - التاريخ الباهر في الدولة الايوبية - تحقيق عبدالقادر طليمات - القاهرة / ١٩٨٣ م .
- (٤) ابن خلدون ( عبدالرحمن بن محمد ) ت - ٨٠٨ هـ .  
٢ - المقدمة : المطبعة البهية بالازهر ) .  
ب - العبر وديوان المتن والخبير ( القاهرة - ١٢٨٤ هـ ) .
- (٥) ابو المحاسن ( جمال الدين يوسف بن تقي الدين ) ت ٨٧٤ هـ .  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ( طبعة دار الكتب من سنة ١٩٢٩ م )
- (٦) استاس الكرملي . النقود العربية وعلم النميات ( القاهرة ١٩٣٩ م )
- (٧) حسين مؤنس ( دكتور ) : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد عدد ( ١ - ٢ ) ١٩٥٨ م
- (٨) الدميري ( كمال الدين ) ت - ٨٠٨ هـ .  
حياة الحيوان الكبرى ( جزئين - القاهرة سنة ١٩٥٤ م )
- (٩) زامباور : معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وزميله - جزئين القاهرة ١٩٥١ و ١٩٥٢ م .

- (١٠) عبدالرحمن فهمي ( دكتور ) .  
 (أ) صنع السكة في فجر الاسلام ( القاهرة / ١٩٥٧ م ) .  
 (ب) فجر السكة العربية ( القاهرة - ١٩٦٥ م )  
 (١١) الماوردى ( ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب ) ت - ٤٥٠ هـ الاحكام  
 السلطانية ( القاهرة ١٣٢٨ هـ ) .  
 (١٢) محمد باقر الحسيني ( دكتور ) .  
 (أ) تطور النقود العربية الاسلامية - بغداد ١٩٦٩ م  
 (ب) المسكوكات : مجلة العدد (٥) ١٩٧٤ ص ٣٥ - ٤٥  
 العدد (٦) ١٩٧٥ ص ٩ - ١٦  
 العدد (٧) ١٩٧٦ ص ٣٣ - ٤٣ .  
 (ج) العنقة الاسلامية في العهد الاتيكي - بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م  
 (د) سومر : مجلة العدد (٢١) ١٩٦٥ ص ٢٥٥ - ٢٦٦  
 العدد (٢٤) ١٩٦٨ ص ١٠١ - ١١٨  
 العدد (٢٥) ١٩٦٩ هـ ١٥ - ٣٤ .  
 العدد (٢٧) ١٩٧١ ص ١٨٥ - ٢٣١  
 العدد (٢٨) ١٩٧٢ ص ١٥٣ - ١٨٥  
 (١٣) المقرئوي ( تقي الدين احمد بن علي ) ت - ٨٤٥ هـ .  
 النقود القديمة الاسلامية ، نشرة الاب انستاس الكرملي في كتابه النقود  
 العربية وعلم النميات .  
 (١٤) النقشبندى ( ناصر محمود ) .  
 أ - الدينار الاسلامي في المتحف العراقي - بغداد ١٩٥٣ م  
 ب - نقود الصلة والدماية - المسكوكات العدد ٣ لسنة ١٩٧٢ م  
 ج - الدرهم الاسلامي المضروب على الطراز الساساني - بغداد  
 ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

# الفصل السادس الفنون الخزفية

د. عبد العزيز حميد

كلية الآداب - جامعة بغداد

## البصم الاول النسوجات

لقد كانت للعراق منذ فجر الاسلام وعبر العصور العريسة الاسلامية المتلاحقة شهرة واسعة في انتاج مختلف ضروب المنسوجات . ولا عجب في ذلك فللعراقيين منذ اقدم الازمنة دراية عميقة في فن النسيج ، فعرفت كبريات مدنه بما كانت تفيض به مناسجها من الاقمشة الجيدة والثياب الناعمة . وتفيدنا المصادر التاريخية الموزعة بالوثائق الاثرية ان الاقمشة الكتانية كان يتم نسجها في بعض المدن العراقية منذ العصر السومري الاول حيث انتشرت زراعته في وسط وجنوب العراق عصرئذ . كذلك دخلت زراعة القطن اليه في العصر الاشوري المتأخر حيث هناك اشارات الى ذلك في النصوص مسامرة ، احدها مؤرخ في حدود سنة ٧٠٠ قبل الميلاد ومن عصر الملك سنحاريب . ولا شك ان اثمار العراق العظيمة وخصوبة ارضه قد ساعدت

الى درجة كبيرة في غزارة انتاج الكتان والقطن كما سهل بالتالي انتشار معامل النسيج في مختلف المدن العراقية .

وفيما يتعلق بالمنسوجات الصوفية فانها ترجع بلا ادنى ريب الى عصور ما قبل التاريخ في بلاد الرافدين . وهنا لابد من الاشارة الى المراعي الطبيعية الشاسعة التي حباها الله سبحانه وتعالى هذا البلد قد سهلت الى درجة عظيمة تربية الاغنام ذات الاصواف الجيدة الصالحة للنسيج .

وفي العصر الاسلامي قطعت صناعة النسيج في المراق خطوات كبيرة الى الامام . ولا شك ان هذه النقلة الجديدة على طريق التقدم والازدهار تعود بشكل اساس الى التشجيع والعون والرعاية التي حصل عليها اصحاب هذه الصناعة من قبل العرب الفاتحين سواء كان هؤلاء اصحاب معامل كبيرة او من صغار الحرفيين .

وهكذا فقد دفعت بمجلة هذه الصناعة للوصول الى درجة عظيمة من رقي وكمال لم يسبق لها مثيل وبشكل يتماشى مع الذوق الجديد والمتطلبات العربية المستعدة . ومن المدن التي كانت صناعة النسيج فيها مزدهرة في العصور الاسلامية وما قبلها مدينة تكريت التي ما فتئت تصدر منسوجاتها الصوفية الى مختلف الاقاليم الاسلامية .

كذلك مدينة الموصل التي عرفت بانتاج المنسوجات القطنية والصوفية مما . كما اشتهرت مدينة الانبار على نهر الفرات بانتاج الاقمشة الكتانية والقطنية على حد سواء .

اما عن الحيرة فقد عرفت بانتاج افضل انواع الاقمشة الصوفية . وقد ازداد هذا الانتاج في العصر الاسلامي الاول حتى ليذكر ان اهلهاء بانوا ينفقون ضمن جزيتهم للدولة ايام خلافة عمر بن الخطاب ( رض ) وما بعده بعض ما كان ينتج في معامل النسيج فيها من ملابس . كما عرف عن مدينة

النعمانية بأنها كانت تضاهي الحيرة وغيرها من مدن العراق الرئيسة في المنسوجات الصوفية • ويذكر الاخباريون العرب ان هذه الصناعة ما فتئت زاهية مزدهرة فيها ابان المصور الاسلامية المتلاحقة • كما عرف عن الابله القريبة خرائبها اليوم من مدينة البصرة الحالية شهرتها بشباب الكتان الرقيقة في المصريين الراشدي والاموي •

واشتهرت المدن العربية التي مصرها العرب الفاتحون في العراق منذ العصر الاموي بالمنسوجات الجيدة • وربما جاء ذلك بتأثير من المدن الكبيرة القريبة منها والتي كانت لها شهرة ودراية واسعة بالنسيج •

فالبصرة مثلا ، وهي اول مدينة تمصّر في العصر الاسلامي ، والقريبة جدا من الابله صارت لها شهرة كبيرة في المنسوجات القطنية والصوفية ، اضافة الى دراية عظيمة في بعض انواع الملابس المخططة الجاهزة والتي كانت تصدر الى بقية المدن والاقاليم الاسلامية مثل الاكسية والمطارف والربط ، ومعروف ان الكساء هو اللباس الخارجي او كل ما يرتدى في العادة فوق بقية الملابس • فقد يكون الكساء البهامة او الجبة او القباء ولا يزال المغاربة يطلقون كلمة كساء على المعطف مثلا •

اما المطرف فهو قطعة من النسيج المربع المعلم الطرفين أي ينتهي طرفاه بحاشية متميزة • وقد عرفه ابن سيدة في ( المخصص ) بأنه « ثوب مربع له اعلام » • والمطرف لباس عربي اصيل وردت كثير من الاشارات اليه في الشعر العربي الجاهلي واستمر قيد الاستعمال عبر المصور الاسلامية المتعاقبة • وفي العصر العباسي كانت المطارف من المنسوجات الثمينة خاصة اذا ما طرزت بشيء من خيوط الذهب ، حتى صارت من جملة الملابس التي تدخل ضمن الخلع التي يندىها الخليفة للشخصيات الهمة وكبار رجال الدولة • ويذكر لنا القاضي الرشيد في كتابه ( الذخائر والتحف ) ان المقتدر بالله

(٢٩٥-٣٣٠ هـ / ٩٠٨-٩٣٣ م) خلع على سفير الدولة البيزنطية عندما قدم الى بغداد خلعا كانت من جملتها مطارف مذهبة . وغالبا ما كانت المطارف تنسج من القز ، والقز هو كل نسج تدخل في حياكته خيوط الحرير والصوف . وصارت المطارف في العصر العباسي ايضا لباسا خاصا من ملابس الظرفاء الذي غالبا ما كانوا يطرزونه بايات من الشعر .

واخيرا نذكر الریطة التي هي ملاءة واسعة رقيقة النسيج كانت تلتحف بها النساء عندما كن یرمن الخروج من منازلهن .

واشتهرت البصرة ايضا في العصر الاسلامي الاول بالمنسوجات الحريرية بشكل عام . ومن المعروف ان صناعة المنسوجات الحريرية قد دخلت الى بلدان الشرق الاوسط في حقبة زمنية متأخرة نسبيا اذ لم يتم ذلك الا قبل الفتح الاسلامي بقليل .

وكانت الصين قد احتكرت سر الحرير لقرون عديدة فقد احتفظت طيلة حقبة طويلة من الزمن بسر الاتاجه من دودة القز وتربية هذه الدودة ، حتى ليقال انه قد فرضت عقوبة الاعدام على من يذيع سر الحرير . وصارت الصين كذلك البلد الوحيد المصدر للمنسوجات الحريرية الثمينة جدا الى الامبراطوريات العظمى الفنية في الشرق والغرب . حتى ان صار هناك طريق بري خاص يعرف بطريق الحرير يبدأ من الصين مارا بشمال بحر الخزر متوجها الى العراق والشام ومنتها يحر مرمرة عند مضيق البسفور . وقد كان هذا الطريق نشطا جدا في كثرة القوافل التي تستخدمه لقرون طويلة . ثم يشاء القدر ان يكشف هذا الامر فعرّف سره في ايران ثم العراق ، ويقال ان ذلك قد تم عن طريق اميرة صينية تزوجت بحاكم لبعض اقاليم ايران ، وعند انتقالها الى مقر زوجها خارج الصين خبأت في ثيابا شمرها بمض بويضات دودة القز ، فتم تفقيسها وكثيرها . وكان نتيجة ذلك ان

نشأت صناعة المنسوجات الحريرة ، في ايران والعراق . ثم مال بث ان  
اكتشف سر الحرير للبيزنطيين ايضا وذلك في عصر الامبراطور جستنيان  
( ٥٢٧ - ٥٦٥ م ) ، ويقال ان الامر قد تم عن طريق بعض الجواسيس الذين  
دسهم الامبراطور الروماني بصفة رهبان .

لقد اطلق العرب على الحرير قبل ان يتم غزله « القز » وسموه بعد الغزل  
« الابرسم » ولم يعرف بالحرير او الديباج الا بعد ان يصبغ الابرسم بالوان .  
وقد كان هناك بعض التحفظات على استعمال الحرير في الاسلام . والسبب قد  
يعزى الى الخوف من اقبال الرجال المسلمين على الترف الزائد  
والتبذير وخصوصا لان الحرير كان ولا يزال باهض الثمن . ومع ذلك فان  
الاحاديث النبوية الشريفة التي تطرقت الى الحرير اجازت استعماله من قبل  
النساء المسلمات دون تحرج ، في حين لم يرخص به للرجال الا بمقدار  
اصبعين الى اربعة اصابع في حاشية ثيابهم .

اما الكوفة القريبة من الحيرة العاصمة القديمة لدولة المناذرة العربية  
فقد نافست البصرة في شهرتها في المنسوجات . وقد كسبت شهرتها بما  
كانت تنتجه من اقمشة قطنية وحريرية وبخاصتها ايضا بالتاج ضروب معينة  
من الملابس مثل المناديل والازر والريط والخمر، ومن المعروف ان الازار والريطة  
والخمار ملابس عربية عريقة في الاصاله عرفت في العرب واستخدمتها قرونا  
طويلة قبل الاسلام . فالمنديل قطعة مربعة من قماش قطني رقيق يوضع  
على الرأس او يلف به . وعرف المنديل ايضا بـ ( الكوفية ) نسبة الى الكوفة  
ولا يزال يعرف بهذا الاسم حتى اليوم . والازار قطعة من لسيج مستطيلة  
الشكل او مربعة يؤتز بها ، اي يلف بها القسم الوسطى والسفلى من البدن .  
او يلتحف بها اي يلف به الجزء العلوي من البدن مروراً باحد الكتفين او  
تكليهما . وفي بعض الاحيان يؤتز ويلتحف بقطعة واحدة منها اذا كان طول

القطعة يسمح بذلك • ويكتب الزييدي في ( تاج العروس ) بأن الأزار هو ما كان يرتديه الرجل من تحت العاتق الى مadox الوسط الاسفل •

ويسمى الأزار مئزرا اذا ما استعمال فقط لستر القسم الوسطي والسفلي من البدن • اما اذا التحف به فقط فيسمى عندئذ بالرداء • وقد سمت العرب الأزار والمئزر مجتمعين معا بالثوبين ، وهي تسمية معقولة اذ ليس هناك فرق واضح بين الأزار والمئزر والرداء الا عند الاستعمال • لقد كان الأزار منذ اقدم الازمنة لباسا مميزا من ملابس العرب ، حتى ان هيرودوت الذي عاش في حدود الفترة الزمنية الواقعة بين سنة ٤٨٤ - ٤٢٥ قبل الميلاد ذكر بأن العرب كانت تأزر بقطعة طويلة من النسيج تسميها ( زيرة ) Zelra .

ولا شك ان اللفظة تعريف لكلمة ازار العربية • ويضيف هيرودوت ان العرب كانت تشد فوق الأزار نطاقا وتتكب على الكتف الايمن قوسا ، وهذا وصف يذكرنا برسوم بعض رجال القبائل العربية في المنحوتات الاشورية التي يرتقي زمنها الى الفترة الزمنية المحصورة بين عامي ٦٥٣-٦٥١ قبل الميلاد وذلك في منحوتات قصر آشور بانبيال الشمالي في مدينة نمرود •

واستمر الأزار لباس العرب الرئيس في عصر النبي (ص) • كذلك كان لباس المقاتلين العرب ايام الفتوحات الكبرى في عصر الخلفاء الراشدين • وما ثياب الاحرام المستعملة من قبل حبيب بيت الله الحرام اليوم الا الأزار والرداء او الثوبان ، كما كان يطيب للعرب الاوائل تسميته •

اما الخمار فهو البرقع • قطعة من نسيج رقيق مربعة او مستطيلة كانت تستعين بها المرأة العربية لستر مقدمة العنق وجزء من الرأس • وقد وردت اشارة صريحة للخمار في القرآن الكريم : ( وقل للمؤمنات يفضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ماظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن ٠٠ ) (سورة النور، آية ٣١) •

ومن طرف ما يروى بشأن تجارة الخمر وتصديرها ان تاجرا من العراق قدم  
المدينة المنورة لبيع الخمر فيها فبيعت كلها الا الخمر السود . فشكا امره  
الى الشاعر الاموي مسكين الدارمي فقال فيها :

قل للمليحة في الخمار الاسود      ماذا فعلت بناسك متعب  
ردى اليه صلاته وصيامه      لا تقتليه بحق دين محمد

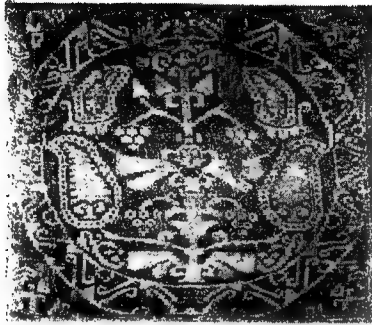
غلم بقى خريفة في المدينة المنورة الا ابتاعت خمارا اسود فنفلت خمره كلها .

وفي العصر الاموي صارت مدينة واسط مركزا مهما من مراكز صناعة  
النسيج حيث اشتهرت بشكل خاص بالمنسوجات الصوفية والقطنية ، وظلت  
على شهرتها تلك في العصر العباسي . وكانت لواسط أيضا شهرة في نسج الستور  
حتى صارت الستور الواسطية مضرب المثل بالجودة وارتفاع الثمن في طول  
العالم الاسلامي وعرضه .

وقبل ان نستعرض في الكلام عن صناعة النسيج عند العرب لابد وان  
نقف قليلا على كلمة ( الطراز ) وما تعنيه في صناعة المنسوجات . ان اللفظة  
( الطراز ) هذا مدلولها خاصا فهي ليست الكلمة العربية التي تعني النمط  
او الشاكلة او الطريقة ، بل لفظة معربة تعني ( التطريز ) ثم صارت تعني في  
العصر الاموي الشريط الكتابي المضاف بواسطة التطريز الى حافة قطعة  
النسيج ، وكان ذلك يتم عادة بخيوط مغايرة لخيوط النسيج الاصلية سواء  
كان ذلك في اللون او النوع . وقال الشاعر العباسي في هذا المعنى :

كان دجلة طليسان ايض      والجسر يبدو كالطراز الاسود

وفي العادة تتضمن النصوص الكتابية على المنسوجات اسم الخليفة مقرونا  
ببعض العبارات الدعائية والتاريخ ( شكل - ١ ) . وفييد المؤرخون العرب  
بان الطراز ظهر لأول مرة في العصر الاموي . ويشير واحد من هؤلاء المؤرخين



شكل - ١

قطعة نسيج من الحرير من صناعة العراق في القرن الثاني او الثالث الهجري . محفوظة في متحف المتروبوليتان بنيويورك

ان ذلك كان ايام خلافة سليمان بن عبد الملك بالذات ( ٩٦-٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م ) ، في حين يكتب آخر ان هشام بن عبد الملك ( ١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣ م ) هو الذي اتخذ الطراز اولاً .

ومع ذلك فيمكننا القول بشيء من الاطمئنان ان تطريز الكتابات التذكارية على المنسوجات قد سبق ايام خلافة سليمان على الاقل ، حيث وصل الينا جزء من عمامة من الكتان الابيض محفوظ في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ذيل اسفلها بشرط كتابي بخط كوفي غير منقوط ، افضل قراءة له : « هذه العمامة لسويل بن موسى عملت في رجب من الشهور المحمدية فسي سنة ثمان وثمانين » فمن الواضح ان سنة ثمان وثمانين تقع في خلافة الوليد ابن عبد الملك ( ٨٦-٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٤ م ) . ومع ذلك فيمكننا القول

ان ما قصده المؤرخون العرب في روايتهم انه منذ ايام سليمان او اخيه هشام صار يطرز اسم الخليفة والعبارات الدعائية الاخرى التي سبقت الاشارة اليها على ماكان ينسج لتغطية حاجة الخليفة او اهل بيته ، ثم صارت كلمة طراز تطلق على اية قطعة نسيج مذيّلة بمثل هذا الشريط الكتابي ، ثم تطور الامر فاصبحت الكلمة تطلق على معمل النسيج . لقد خضعت دور الطراز في انعصور الاسلامية لرقابة حكومية مشددة وربما كان الغرض منها هو حماية المواطنين من الغش في صناعة النسيج . ومع ذلك فان اشراف الدولة على معامل النسيج لم يكن وليد العصر الاسلامي وانما هناك من الدلائل ما يفيد ان مثل هذا الاشراف كان معروفا في المصور القديمة . اذ اتبع عند البابليين والاشوريين وكذلك عند الرومان والبيزنطيين .

ومع ذلك فيمكننا القول بأن اهتمام الدولة في المصور الاسلامية خاصة في العصر العباسي بمعامل النسيج ربما كان اكثر مما كان عليه في السابق . حتى صارت دور الطراز توضع تحت الاشراف العام لشخصيات لها مكاتنها السياسية المرموقة . ومن هؤلاء الذين كان لهم الاشراف على دور الطراز جعفر بن يحيى البرمكي وزير هارون الرشيد ( ١٧٠-١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م ) . ومن ثبتت اسمائهم على المنسوجات كآمرين بالنسيج في العصر العباسي علي بن عيسى وزير المقتدر بالله ( ٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٣٢ م ) . وحامد بن العباس وزير الراضي بالله ( ٣٢٢-٣٢٩ هـ / ٩٣٤-٩٤٠ م ) . وكان لكل دار طراز ناظر يسمى في العادة بصاحب الطراز مهمته النظر في كل مايتعلق بدار الطراز من امور وقد خصص له راتب شهري كبير اضافة الى امتيازات خاصة لا مجال للتطرق اليها في هذا الكتاب . كما كان لكل دار طراز عدد من الموظفين يتولون الاشراف على الآلات واصلاحها وصلاحية الغزل وغير ذلك .

من امور • وللعامل رئيس واحد واجبه الاشراف المباشر على العمال والنظر في شؤونهم • كما كان لكل دار طراز محاسب يتولى الامور الحسابية فسي الدار • ولا شك ان دور الطراز قد تقدمت تقدماً عظيماً في العصر العباسي حتى صار هناك نوعان من هذه الدور • النوع الاول عرف بطراز العامة وخصص انتاجها لتغطية ما تحتاجه طبقات الشعب المختلفة من ملابس ومنسوجات • والنوع الثاني عرف بطراز الخاصة وهي المصانع التي كانت مناسجها مكرسة لسد حاجة الدولة من منسوجات ، بما في ذلك كسوة الكعبة المشرفة • اذ من المعروف ان الكعبة المشرفة كانت منذ ايام النبي محمد صلى الله عليه وسلم تكسى بالمنسوجات الجيدة ، ثم صارت تكسى في العصر الاموي بالديباج • وفي العصر العباسي اصبحت كسوة الكعبة تحمل سنوياً من العراق • ففي يوم التروبة تكسى بالديباج الاحمر ، وبالقباطي في اول يوم من رجب وفي السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك تكسى بالديباج الابيض • وقد استمر الامر كذلك طوال العصر العباسي • وكرّس جزء من انتاج طراز الخاصة ايضاً لسد حاجة الخليفة واهل بيته وخاصته من ملابس ، اضافة الى ما كان يقوم بتقديمه الخليفة من خلع لمن يريد تكريمه من رجال الدولة او ملوك وامراء وسفراء الدول الاجنبية • ويبدو ان خلفاء بني العباس قد ساروا على خطى النبي الكريم في هذا الشأن • اذ من المعروف ان محمداً ( ص ) قد خلع برده على الشاعر كعب بن زهير حين القى بين يديه قصيدته اللامية الشهيرة والتي مطلعها :

بانت سعاد قلبي اليوم متبول متيم ائرها لم يفد مكبول

ويقال ان هارون الرشيد كان اول من خلع على وزرائه من الخلفاء من باب التشريف والتكريم حين يوبع له بالخلافة سنة ١٧٠ هجرية ( ٧٨٦ م ) • ثم

صار الخلفاء بحكم العادة يقدمون قطع الملابس الفاخرة في شكل خلع لرجال الدولة او غيرهم في مناسبات معينة خاصة عند توليتهم المناصب حتى صارت الخلعة علامة من علامات التشريف والتكريم فكان من يكرّم بالخلعة يحرم على التزوّي بها في الاعياد والمناسبات الرسمية . وكانت الخلع متنوعة ، وقد افادنا هلال بن الحسن الصابي المتوفى سنة ٤٤٨ هجرية ( ١٠٥٦ م ) انه كانت هناك خلع خاصة باصحاب الحرب وولاة الجيش، وخلع خاصة بالوزراء حين يتولون مناصبهم . وكانت في العادة عمامة سوداء ورداء اسود مبطناً وآخر مذهبا وقباء من الخز الاحمر وغير ذلك . والقباء لباس خارجي للرجال وهو مفتوح من جهته الامامية وهو شبيه جدا بالزّي الوطني العراقي (الزبون) في ايامنا هذه ، واتخذ القباء في العصر العباسي زيا رسميا لرجال الدولة الى جانب ازياء اخرى اتخذت معه ، واركدى القباء الخلفاء والوزراء والقواد والجند واركدته ايضا طبقات اخرى من المجتمع العباسي كالنقباء والخطباء والمؤذنين وغيرهم . ولكن كانت كل طبقة من هذه الطبقات تختلف في اقيبتها من حيث الشكل والالوان والقماش . وقد جرت العادة في العصر العباسي ان الخليفة عند جلوسه للناس يلبس قباءا اسود . كما كان كذلك عندما يبارح قصره في اول يوم من ايام عيد القطر المبارك اذ يسير في موكب مهيب مع رجال الدولة وعليهم الاقبيّة السوداء . ولما كان القباء لباسا رسميا فلم يكن يسمح لاحد ان يقدم الى المجالس الرسمية الا والقباء عليه .

ومهما يكن من امر فإن الخلع لم تكن مقتصرة على قادة الجيوش والوزراء والسفراء والرسّال بل كان الخلفاء يخلعون ايضا على الشعراء والندماء في بعض المناسبات .

وقد عرفت خلع الندماء باسم ( خلع المنادمة ) وغالبا ما كانت تشتمل على عمامة موشاة بخيوط الذهب وغلالة ورداء مبطّن أو ما يشبهها . كما كان هناك

ضرب آخر من الخلع تسمى بالخلع المجالسية تقدم لبعض من كان يحضر مجلس الخليفة .

كما كانت هناك خلع خاصة بالنقباء وقوامها قميص مذهب عليه شريط كتابي طرز بخيوط ذهب ودراعة سوداء وغير ذلك والدراعة جبة مفتوحة من جهتها الامامية في أعلى القلب . وكانت الدراعة من جملة ملابس الخليفة . كما كان المتبع في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ان يكون لباس الوزير دراعة وقميصاً ومبطنه وخفاه، وقد اتخذ الكتاب الدراعة لباساً لهم ايضاً . ثم صار يلبسها الشعراء والظرفاء وحتى الشيوخ والنقباء والقضاة . اما دراعة الصوف فكانت من نصيب الفقراء والنسائك والفزاة في سبيل الله . ولذكر هنا أن المعتصم عندما خرج لفتح عمورية كان عليه دراعة صوف وعمامة خاصة بالفزاة .

وكانت تتم مراسيم التكريم في دار عظيمة البنيان كانت تعرف بدار باب الحجرة وتقع ضمن مشتملات دار الخلافة ببغداد .

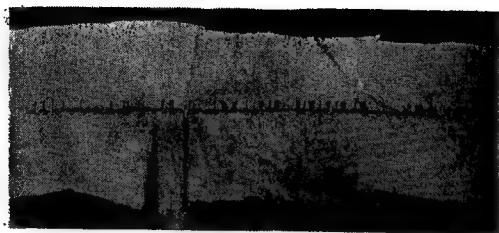
وتنتيجة لتطور وتنوع الخلع في ظل الخلافة العباسية صار لها دار خاصة بها تعرف بخزانة الخلع السلطانية يقوم بإدارتها عدد من الموظفين ، اضافة الى الخزائن الكبرى الاخرى الخاصة بالمنسوجات الملحقه بقصور الخلفاء . وكان لهذه الخزائن ايضاً مشرفون وكتاب وسجلات يثبت فيها كل ما كان يرد اليها او يخرج منها من ثياب . ويفيدنا احد المؤرخين القدامى انه عندما تولى الخلافة الامين في سنة ١٩٣ هجرية ( ٨٠٨ م ) امر وزيره الفضل ابن الربيع ان يحصي ما في خزائن دار الخلافة من ملابس خاصة بالخلع فتم احصاء ذلك في اربعة اشهر فكان ما تحويه تلك الخزائن اربعة آلاف جبة خز، مبطنة بفراء وعشرة الاف قميص واثف سروال واربعة الاف عمامة وخمسة

الاف منديل ، اضافة الى آلاف قطع الملابس الاخرى وعدد كبير جدا من الستائر والطنافس وغيرها . ويذكر ايضا أنه في خلافة المعتضد بالله ( ٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م ) بلغت رواتب العاملين من الموظفين في خزائن الكسوة ثلاثة الاف دينار في الشهر .

ولا بد هنا من التنويه ان تقديم الخلع من باب التشريف والتكريم شيء والاهداء أو تقديم الكسوة للناس شيء آخر . فقد عرف عن النبي الكريم انه كان معتادا على اهداء بعض ما كان يرد اليه من ملابس لبعض الصحابة من مهاجرين وأنصار ، اضافة الى ما كان يوزعه على فقراء الناس . ويروي ان الخليفة عمر بن الخطاب ( رضي الله عنه ) كان يحتفظ بخزائن بيت المال بجملة ثياب يوزعها على المسلمين بالطريقة التي كان يراها . واستمر الامر هكذا طيلة العصرين الراشدي والاموي ثم ازداد الامر في العصر العباسي حتى ليذكر ان المهدي ( ١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٦ م ) قد وزع مائة وخمسين الفا من قطع الثياب الخام على حبيج بيت الله الحرام في موسم سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م . لقد صار اقبال الدولة على المنسوجات في العصر العباسي يعني ازدياد الضغط على دور الطراز في مختلف الاقاليم الاسلامية لسد حاجة الدولة من المنسوجات وقد صارت بالتالي تستعين بدور طراز العامة لتغطية بعض ماكانت تحتاج اليه اضافة الى ماكانت تنتجه مناسج دور طراز الخاصة . وغير مثال على ذلك قطعة من نسيج الكتان وصلتنا من مصر جاء في حاشيتها « بسم الله بركة من الله لعبد الله الامين محمد أمير المؤمنين اطال الله بقاءه . مما امر بصنعه في طراز العامة بمصر على يد الفضل بن الربيع مولى امير المؤمنين » ومن اتاج طراز الخاصة بمصر قطعة نسيج من الحرير جاء في

حاشيتها « بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله لعبد الله الامام المؤمنون  
 امير المؤمنين أعزه الله مما عمل في طراز الخاصة سنة ستة عشر ومائتين » .  
 لقد ساعدت ارض مصر الجافة على حفظ عدد لا يستهان به من  
 المنسوجات الاسلامية القديمة التي ظهرت عن طريق الخافز الاثرية . ليس  
 هذا فقط بل تم العثور في مقابر مصر الفرعونية على منسوجات يرجع بعضها  
 الى الالف الثالث قبل الميلاد . ومع رطوبة ارض العراق غير الصالحة للحفاظ  
 على المواد العضوية داخلها لآمد طويل فقد اكتشفت في اراضيها ايضا عدد  
 لا يستهان به من قطع المنسوجات التي ترجع الى صناعة عراقية خالصة منها  
 قطعة نسيج من الحرير تضم رسوما لعناصر نباتية وهندسية ضمن خامات  
 دائرية يرجع تاريخها الى القرن الثاني أو القرن الثالث الهجري ( الثامن أو التاسع  
 الميلادي ) محفوظة في متحف المتروبوليتان بنيويورك ( شكل ١ ) . ومنها قطعة نسيج  
 قطني محفوظة اليوم بمتحف بوسطن في الولايات المتحدة الامريكية مطرز في  
 حافتها السفلية بالحرير ذي اللون البني وبخط كوفي غير منقوط نصه :  
 « بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت . . بركة من  
 الله وسلامة وغبطة وعز للخليفة عبدالله . . المقتدر بالله امير المؤمنين ايده الله  
 امير بمعله في طراز الخاصة بمدينة السلام . سنة عشرين وثلثمائة » ( شكل  
 ٢ ) .

ولاشك ان مثل هذه الاشرطة الكتانية المنسوجة على حالات المنسوجات  
 كانت خاصة بالخلفاء واهل بيتهم او قطع النسيج المخصصة للخلع وربما ايضا  
 قطع المنسوجات التي يقدمها ولاة الامصار للخلفاء . وتأتي بعد هذه  
 المنسوجات التي كان يتم نسجها للقادة او لاشخاص لهم وزهم او لموالم



## شكل - ٢

قطعة نسيج باسم الخليفة المعتضد بالله مؤرخة في سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م  
محفوظة في المتحف الاسلامي بالقاهرة

معيّنة • فكان نسيج في حواشيها بعض الجمل المناسبة • ومن تلك المنسوجات التي وصلتنا قطعة من قماش قطني غير مصبوغ من نسيج العراق محفوظة في متحف بوسطن فقد جاء في حاشيتها انه تم نسجها لاسرة بني احمد بن القاسم الكوفي في سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م • ومن قطع المنسوجات الشهيرة من هذا النوع قطعة نسيج كاملة من الحرير محفوظة في كنيسة القديس ايزودور Colegiatade de San Isidaoro باسبانيا تزينها جامات دائرية كبيرة تؤطرها اشربة تضم كتابات بالخط الكوفي المزهر غير المنقوط كتب جزء منها بشكل اعتيادي وكتب الجزء الاخر بشكل معكوس ونصها : « مما عمل في بغداد لصاحبه ابو نصر • البركة من الله • البركة من الله واليمن • » وتزين الجامات رسوم فيلة بينها شجرة وعلى ظهر كل فيل من هذه الفيلة اسد في وضعية معكوسة أي أن هذه الاسود تتدابر مع بعضها • وعلى ظهر كل اسد من هذه الاسود طاووس • وقد استخدم فيها اللون الاحمر والاصفر والاسود

والابيض ويستند معظم المختصين في المنسوجات لاسلامية أن تاريخها يعود الى نهاية القرن الرابع الهجري ( العاشر الميلادي ) أو بداية القرن الخامس ( الحادي عشر الميلادي ) ( شكل ٣ ) .



شكل - ٣

قطعة نسيج من الحرير من صناعة بغداد مؤرخة في سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م محفوظة في كنيسة القديس ايزودور في اسبانيا

ثم تأتي تلك المنسوجات التي تبرز بكتابات معينة وحسب رغبة المشتري . وفي كثير من الاحيان كان صاحبها يطرزها بما يريد من كتابات . والكتب التاريخية الاسلامية تضم الكثير من الاشارات الى مثل تلك الكتابات . ومن طرف ما يذكره ابن عدي ربه في كتابه ( المقد القريد ) ان عصابة احدى جوارى الخليفة هارون الرشيد طرز عليها :

ظلمتني في الحب يا ظالم والله فيما يغنا حاكم

ويذكر الوشاء انه طرز على ستارة لاحد اولاد المتوكل :

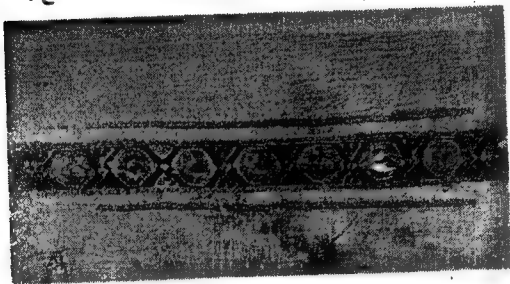
يالائمي فيها لا صرفها      اكثر لو كان يننى عنك اكثار  
ارجع فلت مطاعا ان وثيت بها      لا القلب سال ولا في حبها عار  
كما وجد على قميص جارية من جوالي القصر في العصر العباسي الثاني :  
فاني لاهواه مسينا ومحسنا      واقضي على قلبي له بالذي يقضي  
فحتى متى روح الرضا لا ينالني      وحتى متى ايام سخطك لا تمضي

اشتهرت بغداد بالذات ومنذ ايامها الاولى بمناسجها العظيمة سواء  
كانت دور الطراز العامة والخاصة او بمشترات المناسج الصغيرة الموزعة في  
محلاتها المختلفة . ولم تمد دور الطراز منذ القرن الثالث الهجري مقتصرة في  
ادارتها على الدولة فكثير منها صارت ضمن القطاع الخاص . ويذكر ابن  
الجوزي في ( المنتظم ) انه كان من اثرياء المراقين في العصر العباسي من يمتلك  
الكثير من دور الطراز، منهم علي بن احمد الراسبي المتوفى سنة ٣٠١هـ / ٩١٣م  
والذي قيل عنه انه كان له ثمانون دارا للطراز ينسج فيها مختلف انواع  
التياب . وازدادت بغداد شهرة في العصر العباسي الثاني الى الدرجة التي  
جعلت الجغرافي الاضطخري المتوفى سنة ٣٤١ هجرية ( ٩٥٧ م ) يكتب لنا ان  
شهرة بغداد في المنسوجات قد بلغت في ايامه الحد الذي حمل العديد من  
اصحاب معامل النسيج في الاقاليم الاخرى ان يطرزوا اسم بغداد على ماكانوا  
يتجرونه وذلك على سبيل التقليد والتدليس . ومن الثياب التي اشتهرت  
بغداد بها الثياب القطنية الناصعة البياض ، فيكتب في هذا ابن القتيبة :

« ثم قل في عجائب بغداد ماشئت التي قد اجتمع فيها ما هو متفرق في  
جميع الاقاليم من انواع التجارات والصناعات ولهم الذي لا يشاركهم فيه احد

التياب البيض » . وقد اشار الى الموضوع نفسه الرحالة الصيني ( شياو يا كوال ) الذي قال بان ثياب بغداد القطنية في ايامه كانت منقطعة النظير .

اما عن صناعة المنسوجات الحريرية فقد بلغت بها بغداد شأنا لم يبلغه اية مدينة اخرى في العالم في القرون الوسطى حيث اشتهرت بالتاج نوع خاص من المنسوجات الحريرية عرف بالبغدادي . والثوب البغدادي من المنسوجات الذي تدخل في زخارفه رسوم الطيور والحيوانات المختلفة الاخرى ( الشكل ٤ ) . كذلك تدخل في زخرفته خيوط الذهب والفضة ، ولما كان هذا الضرب من المنسوجات مرتفع الثمن فقد اقتصر في استعماله على خلع الخليفة والكسوة السلطانية ( شكل ٤ ) . ويذكر البيهقي انه اهدي الى المتوكل على الله ( ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م ) في مناسبة من المناسبات ثوبا ببغاديا من هذا النوع من الثياب فأعجبه جدا . كذلك اتجت مناسج بغداد



شكل - ٤

قطعة نسيج من الحرير من صناعة بغداد في القرن الرابع الهجري  
( العاشر الميلادي ) محفوظة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة

ضرباً آخر من المنسوجات الحريرة الثمينة الذي تدخل ضمن زخارفه أيضاً  
خيوط الذهب الرقيقة عرف بـ ( السقلاطون ) • وهنا أيضاً نجد ان هذا  
الضرب من المنسوجات كان يقدم في العادة ضمن خلع الخليفة للسلطين وملوك  
الدول الاجنبية لارتضاع ثمنه ( شكل ه ) • واشتهرت في بغداد محلة من



شكل - ه

رسم منفصل الزخرفة على قطعة نسيج من الحرير من صناعة العراق  
في القرن السابع الهجري ( الثالث عشر الميلادي ) • محفوظة في متحف  
واشنطن بالولايات المتحدة الامريكية •

محلاتها في طول العالم الاسلامي وعرضه هي محلة المتايية بنسج ضرب معين  
من الثياب التي تدخل في نسجها خيوط الحرير والقطن معا • وهو الثوب  
الغنامي نسبة الى تلك المحلة التي كانت تقع في بغداد الغربية بين المحلة  
الحرية شمالا ومحلة سوق شكر جنوبا • وقد سميت كما يقال نسبة الى الصحابي  
عتاب بن اسيد الذي ينتهي نسبه الى امية بن عبد شمس والذي يقال ان ذريته  
قد سكنت في هذا الحي فسميت باسمه •

وقد اشار ابن جبير عند زيارته لبغداد في سنة ٥٨٠ هجرية ( ١١٨٤ م )  
الى هذه المحلة فقال بانها كانت من ازهى المحلات ببغداد حيث تمنع هناك

التياب العتائية الزاهية الالوان . ويذكر ابو القدا في حوادث سنة ٦٠٥ هجرية ( ١٢٠٨ م ) ان الملك الاشرف موسى الملك العادل عندما وصل الى حلب في طريقه الى دمشق تلقاه صاحبها الملك الظاهر واتزله القلعة وكان يحمل اليه في كل يوم خلعة في كل واحدة منها خمسة اثواب عتائية . والعتابي نسيج من القطن والحرير رقيق الملمس بديع الصنعة يصبغ بعد نسجه بما لا يقل عن لوتين مثل الاسود والاييض او الاحمر والاصفر او غيرها . وتشكل هذه الالوان خطوطا تجمع بين المتوازية والمتعرجة .

لقد بلغت شهرة هذا النسيج المتقن الحد الذي تسربت معه صناعته الى عدد لا يستهان به من كبريات المدن في العالم الاسلامي حيث قلد فيها واطلق عليه نفس التسمية . من هذه المدن اصفهان ويسابور وهمدان في ايران ، ومدينة المرية في الاندلس حيث اقيم هناك معمل خاص لنسج التياب العتائية . كما انتقلت صناعة النسيج العتابي الى مصر في ايام الخليفة الفاطمي العزيز ابي منصور تار ( ٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م ) وذلك عن طريق ايفاد مجموعة من نساجي بغداد الى مصر ليقوموا بمصانع مختصة بالمنسوجات البغدادية وبشكل خاص العتابي .

ولبغداد شهرة واسعة في التياب الجاهزة ايضا . من ذلك المعائم الثمينة والقلائس المختلفة . والقلائسوة غطاء للرأس كانت تستعمل اما لوحدها او تلف حولها المعامة . وقد بلغ من شيوع استعمال القلائسوة في العصر المباني ان كثرت انواعها والوانها وتمددت اسماءها ومناسبات لبسها وطولها وقصرها . ففي زمن المنصور بالله كانت العادة ان تلبس القلائس الطوال حتى ليذكر ان المنصور كان يضع على رأسه في بعض المناسبات ( الطويلة ) . وفي زمن المستعين ( ٢٤٨ - ٢٥٢ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م ) قصرت القلائس بأمر الخليفة . وكان لباس الرأس عند الكتاب القلائس كما كان القضاء

يلبسونها عند جلوسهم في مجالس القضاة • اما قلائس التجار فكانت من النوع الطويل ذي اللون الاسود • في حين لبس الخدم القلائس ذات الالوان المتعددة • وكذلك اشتهرت بغداد بالطيالس الجيدة ومفردها طيلسان • وهي في نوعين : اما قطعة من النسيج كاملة الترييع او الاستطالة ، او مقورة من جانب واحد منها • وكان الطيلسان يطرح في العادة فوق العمامة فانه يغطي عندئذ اكثر الوجه ثم يدار طرفان منه من تحت الحنك الى ان يحيط بالرقبة ثم يلتقيان على الكتف • والواقع انه من الصعب ان نميز بين الطرحة والطيلسان في بعض الاحيان • لقد كان الطيلسان لباس الوزراء احيانا فسي العصر العباسي الاول فيذكر لنا الطبري ان يعقوب بن داود وزير المهدي كان يحضر مجلس الخليفة وعليه طيلسان هاشمي مصبوغ باللون الازرق • وكان الطيلسان لباس القضاة والفقهاء اكثر مما هو لباس بقية طبقات الشعب • فكان لباسا مميزا لهم في العصر العباسي الاول على الاقل ، حتى اطلق على القضاة عصرئذ باهل الطيالس • وربما كانت طيالس القضاة ، كما هو الامر في مصر ، ذات لون متميز • فنحن نعرف ان طيالس قضاة مصر في العصر الفاطمي كانت خضراء ، فليس من المستبعد ان يكون الاسود هو لون طيالس قضاة العراق ذلك لان السواد كان شعار الدولة العباسية • اما العلماء وطلبة العلم فقد كانت طيالسهم كما يبدو خضراء اللون ، اذ روى عن ابي سليمان ابن داود بن علي الاصمعياني المتوفى سنة ٣٩٠هـ / ٩٠٢م، وكان زاهدا عالما انتهت اليه رئاسة العلم ببغداد ، انه كان في مجلسه اربعمائة صاحب طيلسان اخضر • ومهما يكن من امر فقد اهتم العراقيون في العصر العباسي بشكل عام بالطيالس خاصة الطبقة المثقفة والتميزة • فقد ذكر المقدسي « ان اهل العراق رسومهم التجميل والتطيلس » • وبلغ من شيوع استعمال الطيلسان في العراق شيوع القول : « جمال الرجل في طيلسانه وفي طي لسائه » •

وإذا كانت بغداد شهر واسعة في صناعة المنسوجات في العصر العباسي فقد كان لمدينة عراقية أخرى شهرة لا تقل عن شهرة بغداد في هذا المضمار منها مدينة الموصل التي اقتصرت في القرون الوسطى بإنتاج نوع خاص من المنسوجات الحريرية عرف عالميا باسم ( الموصلي ) . وقد ذاع هذا النسيج واشتهر عند الأوروبيين في القرون الوسطى باسم الموصلين **Muslin** وكان ينسج من الحرير الخالص لو من الحرير والقطن ويصنع بالالوان المختلفة ويحلى بالزخارف النباتية واثرطة الكتابات ويستعين النساجون في ذلك بخيوط الذهب والفضة . وقد ذاعت شهرة هذا الضرب من المنسوجات في مدن الشرق والغرب على حد سواء فقد عرف في المدن الأوروبية كما عرف في الصين .

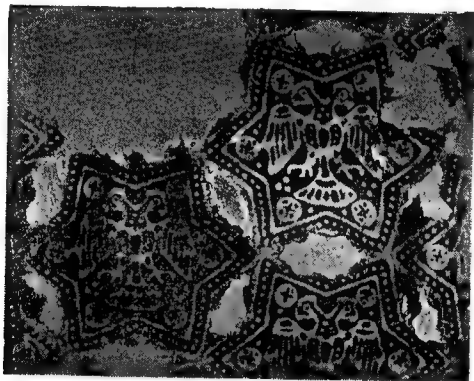
كذلك حازت الموصل شهرة بالثقة في إنتاج نوع من النسيج القطنى الرقيق عرف باسم ( الشاش ) الموصلي حيث كان يصدر الى مختلف الاقاليم سواء كان ذلك داخل العالم الاسلامي أو خارجه .

ويذكر لنا الرحالة الايطالي ماركوبولو ان النسيج الموصلي هذا كان يصدر الى الصين حيث كانوا يتخذون منه العمائم الثمينة . ومن المعروف ان هذا الرحالة قد زار الصين في العصر المغولي . فهذا يعني بالتالي ان شهرة الموصل في المنسوجات قد استمرت لفترة طويلة بعد سقوط الموصل بأيدي التتر المغول . في سنة ٦٥٩ هجرية ( ١٢٦٠ م ) . والواقع ان الشاش الموصلي كان غالبا ما يتخذ للعمائم فقط اويلف حول القلائس او الطاقيات فقد عرف في مصر وسورية وشمال افريقيا . وقد استمر الامر كذلك في القرن السابع عشر وما بعد . فيذكر لنا لبيب في رحلته لجزيرة العرب « ان اهل اليمن كانوا يلغون حول طاقتهم قطعة كبيرة من القماش الموصلي المسمى بالشاش » .

ولا زالت كلمة شاش مستعملة في يومنا هذا في العراق والتي باتت تعني

قماسا قطنيا طيبا رقيقا يستعمل كضادات تلف به الجروح وما شابه • وقد دخلت كلمة شاش حتى في اللغات الاوربية • فكلمة شاش Shash في اللغة الانكليزية تعني اليوم الطرحة المصنوعة من القطن •

فمن المدن العراقية الاخرى التي كان لها باع في صناعة النسيج في العصر العباسي الكوفة والبصرة ومدينة حربي الواقعة خرائها اليوم قرب مدينة بلد على بعد مئة كيلو متر شمالي بغداد • كذلك مدينة خاتقين التي كان يرتفع منها نوع من النسيج القطني الخالص عرف باسمها وهو الخاتقيني • كذلك ان معظم مدن الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات قد اشتهرت في العصر العباسي بمناسجها التي كانت تزود الاسواق المختلفة بالمنسوجات القطنية والصوفية والكتانية (شكل ٦) • وقبل ان نختم كلامنا عن المنسوجات



شكل - ٦

قطعة نسيج من الكتان من نسيج العراق من القرن الرابع او الخامس الهجري (١٠٠ او ١١٠٠ الميلادي)

لا بد لنا من القول بأن ما كان يستخدمه العراقيون من ملابس ومنسوجات لم يكن مقتصرًا على ما كان ينسج في المدن العراقية وحدها بل كانت الدولة العباسية والتجار في العراق يستوردون أيضًا أشهر وأجود المنسوجات التي كانت تنتجها الأقاليم العربية والإسلامية الأخرى والتي كان عليها أن ترسل إلى عاصمة الخلافة بعض ما كان ينسج في مدنها المختلفة وبشكل خاص من مصر التي اشتهرت بعض مدنها بفاخر أنواع المنسوجات مثل مدينة ( ديق ) و ( تيس ) و ( دمياط ) •

وعلى أن لا ننسى النسيج الدمشقي الشهير والذي كان يعرف باللغات الأوروبية باسم دماسك Damasque والتي اشتهرت بنسجه مدينة دمشق في العصر العباسي وما بعده • وغيرها من المدن الإسلامية التي لا مجال للتطرق إليها في هذا الفصل •



## البحث الثاني التحف المعدنية

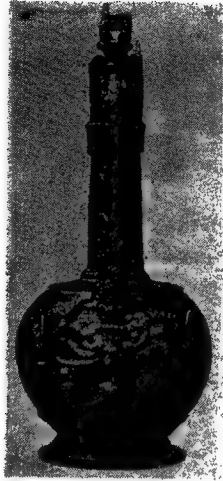
من الامور المسلم بها ان المصنوعات المعدنية كانت قد تقدمت وتطورت عند اصحاب الحضارات التي سبقت الاسلام ففي المتاحف العالمية اليوم نماذج عديدة لتحف معدنية قد تصل بعضها لعصور واغلة في القدم .

ولا شك ان هذه الصناعة ظلت نشطة وعلى ماكانت عليه بعد الفتح حيث شملها العرب المسلمون برعايتهم وتشجيعهم . ومع ذلك فان ما وصل الينا من تحف معدنية يرجع الى العصر الاسلامي الاول نادر جدا ، ولا يعود السبب في ذلك الى ان المصنوعات المعدنية لم تلعب دورا مهما في الحياة اليومية للعرب المسلمين ، اذ لا شك ان اجدادنا قد استعانوا مثل غيرهم في حياتهم اليومية بالالاواني المعدنية اضافة الى السلاح والنقود وغير ذلك ، وانما مرد ذلك يعود بشكل اساس الى الاختلاف بين عقيدة المسلمين وعاداتهم وبين ديانات وعادات الامم القديمة . فكان من عادة الشعوب الوثنية دفن عدد من الاواني (ربما بعضها من المعدن) كالصحون والقدر والابارق والكؤوس واحيانا شيء من الحلي مع الموتى ليستعينوا بها في حياتهم الثانية بعد الموت . والواقع ان غالبية ما وصل الينا من مصنوعات معدنية قبل الاسلام اكتشفت في المقابر القديمة . اما بالنسبة للمسلمين فلا يوجد سبب يحملهم على الاحتفاظ بالمصنوعات المعدنية او غيرها في القبور، ولا شك ان اغلب المصنوعات المعدنية

خاصة البرونزية لو مصوغات الفضة والذهب. او المسكوكات المتداولة وغالبيتها  
ايضا من الفضة والذهب كانت تصهر وبعاد تشكيلها . ابا ما صنع منها من  
حديد او نحاس فغالبا ما تتآكل او تتلف نتيجة التآكسد اذا طمرت تحت  
الارض وخاصة اذا وقع ذلك في اقليم مثل العراق حيث التربة المشبعة بالرطوبة  
والملوحة .

ومهما يكن من امر فتشهد التحف المعدنية القليلة التي وصلتنا من العصر  
الاسلامي الاول تطورا طبيعيا في الشكل والزخرفة فالعرب شجعوا اصحاب  
الصناعات من اهل الامصار المفتوحة على الاستمرار في صناعاتهم ولم يمنوا  
الا ما كان يتعارض مع معتقداتهم الدينية . وهكذا بقيت صناعة المعادن بأيدي  
اصحابها الاصليين بعد الفتح العربي الاسلامي ولستين طويلة .

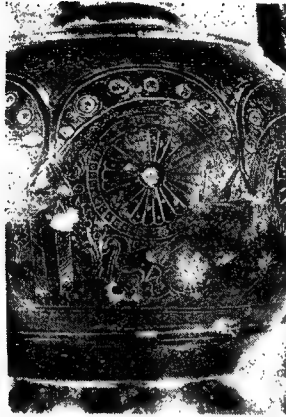
ومن اهم التحف المعدنية التي وصلتنا وترجع الى عصر الاسرة الاموية  
ايريق من البرونز ارتفاعه ٤١ سنتيمترا وقطره ٢٨ سنتيمترا ( شكل ٧ )  
عثر عليه في اقليم الفيوم بجهة ابي صير من صعيد مصر قرب قبر يقال ان المذفون  
فيه هو مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية الذي هرب الى مصر بعد فشله  
في اخر معركة مع العباسيين حيث قتل هناك سنة ١٣٣ هجرية ( ٧٥٠ م ) .  
وتمتاز هذه التحفة بدقة الصنع ورشاقة الشكل وجمال الزخرفة الموزعة على  
سطحها من جوانبها المختلفة تغلب عليها العناصر النباتية ورسوم الحيوانات  
كالطيور والغزلان . اما صنبور هذا الايريق الاصفر فقد ركب عليه تمثال  
صغير لديك ناشر جناحيه . ومما يؤسف له ان الايريق يخلو من الكتابة التي  
قد ترشدنا الى تاريخ الصنع او القطر الذي صنع فيه ولا لدري ان كان  
هذا الايريق المحفوظ في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة يعود حقا ، كما يعتقد  
بعض المختصين ، للخليفة مروان بن محمد اذ ان القرينة الوحيدة التي حملت  
هؤلاء الى نسبة هذه الايريق اليه هي اكتشافه قرب القبر الذي ينسب لمروان  
ابن محمد بن جعة والى صناعته التي تدل على انه سلطاني لا يستطيع اقتناؤه



شكل - ١٧

صورة كاملة للابريق البرونزي المنسوب للخليفة مروان بن محمد .  
يرتقي الى الربع الاول من القرن الثاني الهجري ( الثامن الميلادي ) .  
محفوظ في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة .

الامن يملك المال الوفير . ومن دراسة الشكل العام لهذا الابريق وزخارفه  
النباتية والحيوانية يستدل انه ليس من صناعة مصرية او سورية بل انه من  
صناعة شرق العالم الاسلامي ولا يستبعد ابدا ان يكون من انتاج العراق في  
العصر الاموي .



شكل - ٧ ب

صورة تفصيلية لجزء من بدن الأبريق البرونزي المنسوب  
للخليفة مروان بن محمد . يرتقي إلى الربع الأول من القرن  
الثاني الهجري ( الثامن الميلادي ) . محفوظة في متحف الفن  
الإسلامي بالقاهرة

ولا شك ان صناعة التحف المعدنية قد بلغت اوج عزها في العراق عندما  
انتقل اليه مركز الثقل السياسي من الشام على اثر قيام الدولة العباسية .  
فازداد الاقبال على هذه الحرفة في المدن العراقية المختلفة ولا شك ان الذي  
ساعد على ذلك ازدهار التجارة بسبب استتباب الامن وقلة الفتن والحروب  
الداخلية او الخارجية . فلم يمض الا بعض الوقت حتى بات اصحاب هذه  
الحرفة يطرقون ابوابا جديدة في الابتكار .

ولا شك ايضا ان بغداد حاضرة الدولة العباسية صارت مركزا مهما من مراكز هذه الصناعة ، غير انه مما يؤسف له ان معظم الحفائر الاثرية التي تمت في العراق لم يجر منها شيء في بغداد نفسها فلم يكن لها نصيب يذكر من التنقيبات الاثرية . اللهم الا تلك الحفائر القصيرة الامد والتي قام بها قسم الآثار بكلية الآداب التابعة لجامعة بغداد في ربيع سنة ١٩٧٠ . وذلك في محاولة للبحث عن مدينة المنصور المدورة ، والتي جرت في منطقة العطيفية في الجانب الغربي من بغداد حيث يعتقد ان احتمال وجود تلك المدينة فيها هو الأرجح .

ان السبب في ندرة الحفائر الاثرية في بغداد يعزى بشكل اساس الى ان بغداد لا زالت عامرة وفي توسع مستمر وان القديم منها مطمور تحت الحديت من العمارات . هذا بالإضافة الى ان مستوى نهر دجلة اعلى اليوم عما كان عليه في الماضي حيث يتفجر الماء عند الحفر الى عمق قد لا يتجاوز المتر ونصف في معظم اجزاء المدينة . وهكذا لم تبق اماننا الا الصدف التي قد تعودنا الى بعض المكتشفات الاثرية .

ومن هذه الصدف اكتشاف كنز ضم ست عشرة من قطع الحلي الذهبية والفضية اضافة الى اكثر من ثلاثة الاف من الدنانير الذهبية في منطقة خضر الياس بالكرخ في سنة ٨٩٠هـ / ١٨٩٦م . وينحصر تاريخ ضرب تلك المسكوكات بين سنة ٩٥ و سنة ٤٠٥ هجرية (٧٦٣ و ١٠١٤م) وكلها محفوظة اليوم في متحف طابقو سراي باستنبول . كما عثر في صيف سنة ١٩٦٣ بطريق الصدفة ايضا على كنز من الدراهم الفضية العباسية وجدت داخل جرة كبيرة تحرق بين ايدي الناس وكان نصيب المؤسسة العامة للآثار حوالي ثلاثمائة درهم منها .

وفي حفائر مشروع مجاري بغداد تم العثور على الكثير من كسر الخزف والمساج وشمعدانات الخزف واللقى الاخرى بعضها من العصور الاسلامية . غير انه ربما كان من اهم ما عثر عليه خلال تلك الحفائر في جانب الرصافة ببغداد













































































































































































































































































































































































































































































































































































































